

تمثيلات المسلم

في الصحافة الدنمركية المكتوبة

ما بين عامي 2000-2018

(مقاربة تلفظية مدمجة)

رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
2023/5/2354

071.489

عاصي، حسن محمد

تمثيلات المسلم في الصحافة الدنمركية المكتوبة - حسن محمد عاصي - عمان: دار فضاءات، 2023
الواصفات: /الصحافة//الدنمارك//وسائل الإعلام/

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.
* يتحمل المؤلف المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا
المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN: 978-9923-36-361-4



الطبعة الأولى: 2024

جميع الحقوق محفوظة بموجب اتفاق

تمثيلات المسلم في الصحافة الدنمركية المكتوبة - حسن محمد عاصي - الدنمارك

دار فضاءات للنشر والتوزيع - المركز الرئيسي

عمان - شارع الملك حسين - مقابل سينما زهران

تلفاكس: 4650885 (6 - 962) هاتف جوال: 911431 - 777(962)+

ص ب 20586 عمان 11118 الأردن

E.mail: Dar_fadaat@yahoo.com

Website: <http://www.fadaat4publishing.net/>

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة
المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر

تصميم الغلاف: فضاءات للنشر والتوزيع

صورة الغلاف: احتجاج المسلمين في الدنمارك على إهانة الكتب المقدسة؛ وفي مقدمتها القرآن الكريم

الصف الضوئي والإخراج الداخلي والطباعة: فضاءات للنشر والتوزيع

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي دار فضاءات للنشر والتوزيع.

د.حسن عاصي

تمثيلات المسلم في الصحافة الدنمركية المكتوبة

ما بين عامي 2000-2018
(مقاربةٌ تلفظيةٌ مدمجةٌ)

تقديم: د. محمد الداوي



الإهداء

أهدي هذه الأطروحة

إلى روح والدي محمد رحمه الله وأدخله فسيح جنانه.

وإلى أستاذي فضيلة الدكتور محمد الداوي

كنت خير سند ومعلم توجيهي وإرشادي إلى نهج الطريق السوي. لك

مني جميل العرفان والامتنان لما بذلته من جهد متواصل ومُضْنٍ طوال

خمس سنوات بتقان وانتظام ونكران الذات.

المخلص حسن عاصي

تقديم

د.محمد الداوي

زارني حسن عاصي في مكتبي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط منذ خمس سنوات خلت لاستكمال شروط التسجيل في "وحدة الدكتوراه آداب وفنون متوسطة" التي أشرف عليها. كان متحمسًا لإنجاز أطروحة في موضوع له بالسيمياثيات. وهو ما يميل إليه الطلبة جلهم لحرصهم على تعرّف هذا المجال المعرفي الذي ما فتئ- رغم وفاة رائده وملهمه أليجيرداس جوليان كريماص عام 1992- يتشعب ويتنوع لراهنيته وملاءمته من جهة، وقدرته على إعادة تشييد المعنى في مختلف الأنساق الدالة أيا كان نوعها ودعامتها من جهة ثانية.

عندما تبين لي -من خلال الدردشة- أن حسن عاصي لم يسبق له أن درس السيمياثيات من قبل، طلبت منه أن يختار موضوعا يناسب تخصصه ومهنته (الصحافة)، وينمي فضوله العلمي بصفته مواطنا فلسطينيا ودنمرشيا يعيش على حدود ثقافتين متباينتين، إن لم نقل متصادمتين. خطر ببالي وقتئذ الموضوع الآتي: "تمثيلات المسلمين في الصحافة الدنمركية"، فاقترحت عليه. رحب به وتحمس له بدعوى أن المهمة ستكون ميسرة على خلاف المواضيع التي قد تتطلب منه جهدا مضاعفا لأنها بعيدة عن مجالات اهتمامه.

بعد ستة أشهر فاجأني حسن عاصي بإعداد فصل ضخيم تمهيدا للأطروحة. عندما قرأته تبين لي أن صاحبه ظل وفيًا لأدائه الصحفي بالإكثار من الاستشهادات والآراء المختلفة على عواهنها، وإصدار الأحكام جزافا، والانحياز إلى الذات والإثارة لخدمة أغراض مسبقة. طلبت منه- بعد الاستغناء عن هذا الفصل والتوافق معه من جديد على التصميم وطريقة العمل- بتغليب الموضوع العلمي على الموضوع الإيديولوجي، واتخاذ المسافة اللازمة مع المتن الصحفي المعائن، ومعالجة المعطيات بتمهل وتؤدة ورفق، والرقى بالأدباء اللغوي والمنهجي إلى المستوى المنشود.

وبما أن الإشراف مسؤولية مشتركة يتحملها الطالب والأستاذ على حد سواء، حرصت على تتبع الأطروحة من بدايتها إلى أن استوت واستقرت على هيئتها النهائية، وسعيت إلى حفز الطالب على استيفاء جملة من الشروط وفق ما يلي:

أ- أن يستقصي المهاجية التي تلائم موضوعه (الصوريات Imagologie)، مستثمرا الإرث التلفظي لإبراز المؤشرات التلفظية (أصناف النعوت والأفعال الذاتية، والعُدَّة الحجاجية، والجهات، والمُعَيِّنات) التي يستعملها "المتحدث الدنمركي" (كلٌّ من يدلي برأيه في صحيفة معينة، ويتعاطف مع خطِّها التحريري) لمخاطبة ذاته أو لتمثيل الآخر الأجنبي وخاصة المهاجرين المسلمين في الدنمرك.

ب- ما كان يهمني -في مصاحبة حسن عاصي- هو أن يعرف بالإعلام والثقافة الدنمركيين، ويكشف مقاصد "المتحدث الدنمركي" وتوجهاته وخلفياته في خضم النقاش المحتدم حول موضوع حرج وشائك (الإسلام في الدنمرك)، أضى - بمرور الوقت- يورق الرأي العام الدنمركي بسبب تنامي التطرف الديني، واطراد العمليات الإرهابية، والخوف من تزايد عدد المسلمين بالتراب الدنمركي، والتوجس من خطر "أسلمة الدنمرك" في العقود القادمة.

استطاع حسن عاصي- باعتماد منهجية متناسقة- أن يقدم آراء "المتحدث الدنمركي" في صحيفة "السياسة" Politiken وصحيفة "يولاندس بوستن" Jyllands posten دون تقحُّم أو تصرف أو تحامل مسبق، ويحلّل المؤشرات التلفظية (الأثار الذاتية المنطبعة في التلفظ) لاستيضاح تمثيلات كلِّ متحدث حيال ذاته (الصورة الذاتية) وحيال المهاجرين المسلمين (الصورة الغيرية)، والمقارنة بين خطابيهما لتبيُّن مواطن الائتلاف والاختلاف، وإبراز الخلفيات الثاوية فيهما معا.

ج- من أهداف الكتاب الدخول في حوار علمي مع الذات والآخر بحثًا عن سبل التفاهم والتواصل والتأزر لوضع الحلول المشتركة وإقامة السلم المستديم في منأى عن الصخب الإعلامي، والمزايدات السياسية والإيديولوجية، والمعتقدات والأهواء الذاتية. تأتى ذلك بفضل صبر حسن عاصي وجهده وكده، وحرصه على إنتاج معرفة رصينة قد تُستثمر في تنوير الرأي العام الدنمركي، وتصحيح كثير من الصور النمطية والمسكوكة التي تسيء إلى

المهاجر المسلم، وتقديم سردية مضادة لما تروجه وسائل الإعلام الغربية عن المسلمين لتكريس التفوق العرقي والحضاري، وتأليب الرأي العام الدنمركي ضدهم بدعوى أنهم السبب في تفاقم المشاكل الاجتماعية، وتدنيس القيم الديمقراطية والعلمانية.

د- أسعفت اللغة والثقافة الدنمركيتان حسن عاصي على ترجمة المقالات والقصاصات الصحفية إلى اللغة العربية، وقراءة جملة من المصادر الدنمركية في مظانها ثم تحليلها بأدوات ومفاهيم إجرائية مستلهمة من النظرية التلفظية المُدْمَجَة (المؤشرات التلفظية والتداولية والحجاجية)، ثم وضعها في سياق النقاش العمومي الذي أضحى مهووسًا في العقود الأخيرة بموضوع "الإسلام" وتداعياته من جراء تواتر العمليات الإرهابية في مختلف أقطار المعمورة بما فيها أوروبا، وتزايد أعداد المهاجرين؛ مما قد يؤثر سلبا في الفلسفة الدنمركية (Hygge Denmark) (الوصفة الدنمركية للتمتع بالرفاهية الاجتماعية وببحوحة العيش وهنائه)، ويربك البنية الديمغرافية، ويوطّن عادات وقيما غريبة عن نمط عيش الدنمركيين وأسلوبهم في الحياة. واضطرت إلى التواصل مع الصديق الدكتور محمود عيسى بتاريخ 14 يوليو 2022 لاستشارته في سلامة ترجمة حسن عاصي من اللغة الدنمركية إلى اللغة العربية ومدى إلمامه باللغة والثقافة الدنمركيتين. لم يطمئن قلبي إلا بعد أن توصلتُ بتقرير مفصل يثبت أمانة الترجمة ووفاءها للنص الأصلي بتاريخ 10 أكتوبر 2022، وتأكّدت أيضا- باعتماد البرنامج إنتنكايت (*iThenticate*)- من خلو الأطروحة من السرقات العلمية التي تفاقم في العقود الأخيرة.

ه- يكشف الأدب العام والمقارن "الأساطير الجماعية" التي يروجها شعب ما عن الأجانب. وهو ما يقتضي تداخل المعارف والتخصصات (تاريخ الأدب، والتاريخ السياسي، وعلم نفس الشعوب، وعلم الاجتماع) لاستيعاب التمثيلات والصور من جوانب متعددة وبطريقة نسقية. لا ينبغي إغفال أيضًا التحولات الجيو-سياسية التي أدت إلى نعت العربي أو المسلم بـ "الإرهابي" أو المتطرف" بسبب الأحداث الإرهابية التي روعت العالم بأسره منذ عقود من الزمن، في حين كان يُنعت في إبان المرحلة الاستعمارية بـ "المتوحش الطيب" لتكريس تخلفه وتبعيته وتوحشه. تندرج التمثيلات أيضًا في نطاق المتخيل الاجتماعي بدعوى أن أفراد جماعة أو شعب ما يتقاسمونها في تفاعلهم إيجابا أو سلبا مع الآخر الأجنبي والمختلف (الهوية والغيرية)،

ويتناقضونها من جيل إلى جيل آخر (التاريخ)، ويصفون غيرهم بالنعوت الممجوجة والمستهجنة (العلاقات الدولية) لتعزيز "الوظيفة التدميرية" باعتبارهم مصدرا للشر أو لخطر داهم. وفي هذا الصدد يتمثل المغرب- في مؤلفات الرحالة والروائيين الفرنسيين- بكونه بلدًا "متخلفًا وغريبًا" يحتاج إلى دعم القوى الأجنبية وسندها لتعميره وتمدينه، وأضحت "اليابان المهانة" الموضوع الأثير لدى الروائيين اليابانيين في أثناء الاحتلال الأمريكي، وقدم الروائيون الفرنسيون المولعون بـ"روايات التجسس" ما بعد عام 1945 صورة نمطية عن العالم الثالث بصفته بؤرة للفوضى والعنف والفساد.

وهكذا يتضح أنّ الصورة تُؤطّر وتُعرض (بالمعنى المسرحي للكلمة)، وتخضع لإخراج محكم لخدمة أغراض مبيتة؛ ومن جملتها اجتثاث هوية الآخر وطمسها، وإحباط همته وعزيمته. وبالمقابل، تعمل الذات على تعزيز "الوظيفة الإدماجية" بإعادة استثمار المقومات الهوياتية وخاصة "الأحداث المؤسسة" التي تُسَيِّ نسيجَ الذاكرة الجماعية وتدعم معتقداتها المشتركة. و- من بين النتائج التي توصل إليها حسن عاصي هو أن الهجرة أضحت موضوعا يؤرق الرأي العام الدنمركي. وعوض أن تُدرس الظاهرة وتُحلَّل لتيسير اندماج المهاجرين وتعايشهم مع غيرهم في بوتقة متراعة، تُستثمر في النقاشات العمومية لخدمة الأغراض السياسية والانتخابية الضيقة.

اختار حسن- بحكم درايته بالمجال الذي يتحرك فيه- صحيفتين تتوافر فيهما -علاوة على معايير ارتفاع نسب السحب والمقروئية والانخراط- خاصيتا تمثيل تيارين كبيرين في الدنمرك، وتعبئة الجماهير العريضة المتعاطفة معهما، وهما: التيار اليميني المتطرف والتيار الليبرالي. وفي هذا الصدد، يستغل اليمين المتطرف موضوع الهجرة للدفاع عن فكرة إجلاء المهاجرين وخاصة المسلمين بدعوى أنهم يشكلون خطرا على عادات الدنمركيين وأسلوبهم في الحياة، وطريقهم في تدبير مشاكلهم بالسبل الديمقراطية والعلمانية. في حين يرى "المتحدث الدنمركي" الليبرالي أو اليساري أن الدين الإسلامي لا يشكل عائقا أمام اندماج المهاجرين المسلمين ما داموا يسهمون في تنمية البلاد، ويمارسون شعائرهم الدينية في إطار القانون الذي يسري على المواطنين جميعهم، ويكفل لهم حرية التعبد وحرية التعبير. لا يجبر هذا

المتحدث- عكس المتحدث اليميني المتطرف- المهاجرين على الانصهار والذوبان في الثقافة العرقية الدنمركية، بل ينادي بشكل جديد للمواطنة يقرُّ بتعدد الهويات والأعراق والثقافات (حرية التعبد والحق في الاختلاف)، ويميز بين المواطنين بالنظر إلى مؤهلاتهم وأدائهم الواجب الوطني، واحترام القيم الديمقراطية والعلمانية.

أتوقف عن الاسترسال في تعداد مزايا الكتاب الذي كان- في الأصل- أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه بجامعة محمد الخامس في الرباط. بعد المناقشة طلبت من حسن عاصي أن يتخلص ما أمكن من الحمولة الأكاديمية للأطروحة (كثرة الاستشهادات والإحالات والتعريفات والمصطلحات)، ويقلص حجمها، ويشذب ما تفرق وتشعب من صلبها مستأنساً بِشَفْرة أوكام (Rasoir d'Ockham) في الاقتصار على العناصر الأساسية والملائمة، ويраهن أكثر على إنجاز كتاب تتوافر فيه الخاصيات المنشودة للتواصل والتجاوب مع فئة عريضة من القراء، وتقديم أرضية خصبة لذوي القرار لعلمهم يتفكرون.

والله ولي التوفيق

تمارة بتاريخ 13 ماي 2023

المقدمة العامة

يعدُّ الإسلام من المواضيع الأكثر تداولاً في وسائل الإعلام والخطابات السياسية بالدنمرك، ويحظى باهتمام الباحثين أيضاً لاستيضاحه وفهمه وإثارة نقاش عمومي حول مجمل القضايا التي يتابعها الرأي العام عن كثب؛ وفي مقدمتها تمرد الشباب المسلم على الوالدين، واعتناق الدنمركيين للدين الإسلامي، وتنامي التطرف الديني والعمليات الإرهابية في أوروبا، وصعوبة تأقلم المهاجرين عموماً مع البيئة الجديدة والتعود على نمط الحياة السائد فيها.

تشرفتُ بلقاء الدكتور محمد الداوي في مكتبه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. كنت حينها راغباً في دراسة الخطاب الإعلامي الدنمركي من الوجهة السيميائية. وبعد أن بين لي صعوبة الاختيار بسبب عدم تعمقي في النظرية السيميائية، اقترح عليّ عنواناً يناسب تخصصي من جهة (الصحافة) وموقعي الثقافي في الدنمرك (مهاجر فلسطيني ومقيم في الدنمرك) من جهة ثانية (تمثيلات العربي في الصحافة الدنمركية)، ثم طلب مني أن أستأنس بالمنهجية التلغظية المدمجة التي يتقاطع فيها مجال الصوريات بالمكاسب التلغظية والتداولية والحجاجية حرصاً على اتخاذ المسافة اللازمة تجاه موضوع يثير حساسية مفرطة سواء بالنسبة لنا نحن- المسلمين- أم بالنسبة للآخر الغربي. شعرتُ حينئذ بالدهشة والخوف لأنني سألج عالماً غريباً بالنسبة إلي، لكن فضيلة الأستاذ الدكتور محمد الداوي وعدني بمساعدتي وتوجيهي ليس لإنجاز عمل جاد فحسب بل لتحسين مؤهلاتي الشخصية والمهنية والعلمية أيضاً.

في بداية العمل وفي أثناء تفقد الصحف بالمكتبة الملكية الدانمركية في كوبنهاغن لجمع المتن الصحفي، لاحظتُ أنّ وسائل الإعلام الدنمركية تستخدم لفظ "المسلم" بدلاً من "العربي". وعندما فاتحت الدكتور محمد الداوي في الموضوع، طلب مني الدكتور الداوي إدخال تعديل طفيف على العنوان ليكون في صيغته النهائية كما يلي: "تمثيلات المسلم في الصحافة الدانمركية المكتوبة بين عامي 2000 و2018 (مقاربةً تلغظيةً مُدمجة)".

أولاً- دواعي تبني الموضوع

اقتنعت بهذا الموضوع للأسباب التالية:

1- الأسباب الذاتية:

أ. يدخل موضوع البحث في صميم تخصصي في علوم الإعلام والصحافة، ويثير فضولي العلمي، ويحفزني على خوض تجربة جديدة في تحليل المعطيات الملموسة واستخلاص النتائج المناسبة منها.

ب. أمارس العمل الصحفي في الدنمرك منذ عقود؛ وهو ما يُمكنني من الإلمام بالموضوع وعناصره المختلفة والمتشعبة.

ج. أنا مقيم في الدنمرك منذ فترة طويلة، وأتقن اللغة الدنمركية فضلا عن اللغة العربية؛ وهذا ما ساعدني على قراءة المتن الصحفي المعتمد، وترجمة قصاصاته الملائمة، وتحليل محتوياتها وفق العُدّة المنهجية المعتمدة.

د. أنا من أبناء المهاجرين، ومن أبناء الجالية المسلمة في الدنمرك؛ لذلك يشغلني موضوع البحث إن لم أقل يؤرقني منذ سنوات بحثًا عن تفسيرات علمية له في منأى عن الصخب الأيديولوجي والأحكام المسبقة.

2- الأسباب الموضوعية:

أ. الموضوع-بحسب علمي المتواضع- غير مطروق من قبل؛ إذ لا توجد دراسات سابقة عن صورة المسلمين في الصحافة الدنمركية، في حين توجد دراسات عن صورتهم في صحافة دول أوروبية بعينها أو في إنتاجاتها الفنية والأدبية.

ب. الموضوع- وإن كان متشعبا ومعقدا- يبدو طريفا وجديدا وراهنيا لاستيعاب التوترات التي تقع على الحدود بين ذوي الأرومة الدنمركية والمتُجنّسين بالجنسية الدنمركية والمهاجرين من أقطار مختلفة.

ج. فهم صورة المسلم في المجتمع الدنمركي الذي أعيش فيه بصفتي كائناً حياً على الحدود (الفضاء الثالث) من جهة، وباعتباري مواطناً يسعى إلى العيش المشترك أياً كان اللون والمنزعة والانتماء الديني والسياسي.

ثانياً- الفرضيات

لما للموضوع من حساسيات مختلفة بحكم عملي الصحفي، وازدواجية جنسياتي (فلسطيني-دنمركي) واستقراري في "الفضاء الثالث"، صُغْتُ فرضيات للاستئناس بها في تحليل المتن الصحفي، والانضباط لإرغاماتها تطلعاً إلى الوصول إلى نتائج مناسبة تسعفنا على فهم الصورة التي ينظر بها "المتكلم الدنمركي"⁽¹⁾ للمسلمين قاطبة في منأى عن المشاحنات والحزازات السياسية الضيقة.

أ- الفرضية الأولى:

في سياق احتدام الصراع بين الشرق والغرب، وانتشار الأفكار القومية المتطرفة، وتزايد المشاعر المعادية للمهاجرين، يقدم الصحفيون الدنمركيون الصورة النمطية عن المهاجرين وفي مقدمتهم المسلمون سعياً إلى دغدغة مشاعر الدنمركيين لبواعث كثيرة، لعل أهمها هو المغالاة في الوطنية المتشددة (Ultrnationalism).

1- استلهمت المفهوم من كتاب محمد بن الراه البكري الذي استعمل "المتكلم الاستقلالي" ليعني به كل من يتكلم باسم "الحركات الوطنية المغربية" للمطالبة باستقلال المغرب عن الاستعمارين الفرنسي والإسباني (يدرج محمد بن الراه البكري علاوة على الأحزاب الوطنية الاستقلالية -التي كونت "الجمعة الوطنية" في 10 أبريل 1951- الحزب الشيوعي المغربي، ولجنة الدفاع عن المغرب العربي والاتحاد المغربي للشغل). يستوعب مفهوم "المتكلم الدنمركي" كل من يختار إحدى الصحيفتين المعتمدتين للتعبير عن رأيه أكان صحافياً أم كاتباً أم عضواً في الحكومة. سمينا من يتكلم في الصحيفة الأولى -بحسب الترتيب في المتن والتحليل- "المتكلم الدنمركي الأول" (صحيفة "السياسة" Politiken)، وأطلقنا المتكلم الدنمركي الثاني -للاعتبارات عينها- على المتلفظين أو المتحدثين في الصحيفة الثانية (صحيفة "يولاندرس بوستن" Jyllandsposten).

محمد بن الراه البكري، الخطاب السياسي للحركات الاستقلالية، من دجنبر سنة 1942 إلى مارس 1956: بنيته ووظيفته في ضوء لسانيات الخطاب، 2015. يتكون الجزء الأول من 468 ص، والجزء الثاني من 550 صفحة.

ب- الفرضية الثانية:

إنّ ميل بعض الجماعات الإسلامية إلى التطرف بحجة مواجهة "الكفار والنصارى" هو ما أدى إلى تألب الرأي العام الغربي ضد الإسلام عموماً دون التمييز بين تعاليم الدين السمحة وبين تسييس الدين الإسلامي وأدلجته. هناك من يستغل هذا الوضع لتأجيج "الحملات الصليبية" من جديد، وإجلاء المهاجرين من الدنمرك، وهناك من يدعو- على العكس- إلى الحوار والمصالحة للاستفادة من خبرات المهاجرين، وإدماجهم وإشراكهم في الحياة العامة حرصاً على النسيج الاجتماعي المتناقص.

ج . الفرضية الثالثة:

يستخدم اليمين الدنمركي خطاباً نقدياً شعبوياً مناهضاً للمسلمين خاصة لإذكاء مشاعر الكراهية تجاه الآخر المختلف باعتباره أصل المشاكل والقلق السياسية والاجتماعية في الدنمرك، وحيال المسلمين لأنهم - في نظره- يهددون القيم الدنمركية برفض العلمانية والديمقراطية، وبالدعوة إلى الإرهاب والتطرف. في حين أن أحزاب اليسار والقوى الديمقراطية لا تعادي المسلمين بالنظر إلى دينهم وانتماءاتهم القطرية، بل لصعوبة اندماجهم في المجتمع الدنمركي، والانضباط لقوانينه التي تسري على الجميع أياً كان الدين والملة والأصل واللون واللسان.

ثالثاً- أقسام الأطروحة

تتكون الأطروحة من فصل نظري، ثم من فصلين تطبيقيين، ثم من فصل للمقارنة بين الصحيفتين المعتمدتين، فضلاً عن المقدمة والخاتمة العامتين، وملخص الأطروحة، وملحق.

أ- تضمن الفصل الأول الموسوم بـ"الإطار المنهجي" ستة مباحث، وهي- في مجملها- كما يلي:

- المبحث الأول: يبرز مشكلة البحث وأهدافه وأهميته، ويوضح مغالطات الإعلام الغربي عموماً والصحف الدنمركية خصوصاً في التعامل مع المسلمين بصفتهم يشكلون كياناً واحداً

يعادي الديمقراطية، ويناهض القيم الليبرالية، ويسيء الظن بالثقافة الدنمركية وقيمها العلمانية.

إنَّ تبادل الصور النمطية والأحكام المسبقة بين الجانبين (الدنمركي والمهاجر المسلم)، تعود - في اعتقادي - إلى التصورات الخاطئة التي تروج لها وسائل الإعلام لبواعث مختلفة، وإلى الصراعات التاريخية المحتدمة منذ القدم بين الشرق والغرب.

وعليه تسعى الأطروحة إلى معرفة الصورة التي تروجها الصحف الدنمركية عن المسلمين، والتوقف عند الخلفيات التي تتحكم في صنع صورة نمطية عنهم لدواع وأسباب عرقية وسياسية.

- المبحث الثاني: اعتمدت الأطروحة على المنهجية الصورية التي تهتم بدراسة تمثيلات الشعوب والأمم عن بعضها البعض، كما اعتمدت أيضا على المنهج التلغفي المدمج لاستخلاص آثار "المتحدث الدنمركي" الجمعي (المعجم، والنوع، والجهات، والأفعال اللغوية، والأفعال الذاتية، والحجاج) في تفاعله سلبيًا أو إيجابًا مع المهاجرين المسلمين على وجه الخصوص.

إنَّ التمثيلات هي المتخيل الجمعي أو الصور الذهنية التي يكونها فرد أو جماعة حول أفراد وجماعات أخرى. ولهذه التمثيلات تأثير كبير في تكوين مواقف شعب وأحكامه تجاه شعوب أخرى. وفي كثير من الأحيان تلعب هذه التمثيلات الراسخة في نفسية الشعوب ومتخيلها الجمعي دورًا في بعث الأحقاد من مراقدها، ودوام الصور النمطية المتوارثة أبا عن جد.

- المبحث الثالث: اطلعت على جملة من المراجع الأساسية ذات الصلة بالصوريات للاستفادة منها، والاستئناس بها في تحليل المتن المعتمد.

- المبحث الرابع: إنَّ تمثيل الشعوب والثقافات غير الغربية يؤكد وجهة نظر المستشرقين التي تضع تمييزًا بين الشرق والغرب لتكريس الهيمنة الثقافية الغربية، وتبرير الاستعمار والأمبريالية بدعوى تعمير الشرق وتطويره. ولهذا اخترت متنا صحفيًا لدراسته في منأى عن الآراء المسبقة والمغالطات الإيديولوجية. ويتكون المتن من الصحيفتين الآتيتين:

الصحيفة الأولى هي صحيفة "السياسة" (Politiken) التي صدرت عام 1873م لتمثيل "الجناح اليساري الدنمركي"، وهي تعبر حالياً عن موقف "الوسط اليساري"، وتصدر يومياً باللغة الدنمركية، ولها خط ليبرالي اجتماعي يعارض السياسات الحكومية المتبعة.

الصحيفة الثانية هي صحيفة "يولاندس بوستن" (Jyllandsposten) التي تأسست عام 1871م، وهي صحيفة شعبية تصدر يومياً، وتمثل "التيار اليميني المحافظ"، وتدعم الأفكار النازية والفاشية. كانت لها مواقف معادية للاتحاد السوفييتي والحركة الشيوعية العالمية في إبان الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي.

المبحث الخامس: بدأت هجرة المسلمين إلى الدنمرك في نهاية القرن التاسع عشر للدراسة أساساً. وفي الستينيات والسبعينيات من الألفية الثانية، تزايد عدد المهاجرين من أصول إسلامية في القدوم إلى الدنمرك للعمل. بمرور الوقت، استقرت نسبة كبيرة منهم في الدنمرك سعياً إلى الاندماج في البيئة الجديدة لبواعث متعددة (الدراسة، العمل، الزواج المختلط، تعود الأبناء على الحياة الدنمركية). وكان معظمهم من اللاجئين الذين سعوا إلى الاستقرار في الدنمرك هروباً من القمع والاضطهاد في بلدانهم الأصلية.

ارتأيت أن أشتغل في القسم التطبيقي الأول الخاص بصحيفة "يولاندس بوستن" (Jyllands-posten) (المتحدث الدنمركي الأول) وفي القسم التطبيقي الثاني الخاص بصحيفة "السياسة" (Politiken) على محاور معينة بالحرص على استيعاب تمثيلات المسلم في كليهما من المنظور التلفظي من جهة، وبتفادي النمطية- كما نبهي مراراً الأستاذ الدكتور محمد الداهي- لإبراز خصوصيات كل متن صحفي على حدة. وهكذا اشتغلت عموماً على المحاور الآتية بتفاوت وتمايز حرصاً على المغايرة والجدة.

- محور الذات الدنمركية: تناولت فيه مفهوم الذات، وجذور الهوية الدنمركية، وسعيت إلى إبراز كيف يرد لفظ الدنمرك في المتن. يتواتر اسم "الدنمرك" و"الدنمركيين"- في جميع المقالات والقصاصات الصحفية- كمجموعة عرقية تنتمي إلى "الدنمركية" ثقافةً وقيماً، وهو المصطلح الذي يروجه السياسيون ووسائل الإعلام. يفتخر الدنمركيون بالانتماء إلى الدنمرك وبرموزها الوطنية، ويعتزون بكونهم من الشعوب الأوروبية المتقدمة والمتحضرة التي حققت

مستويات مرتفعة من التعليم والرعاية الاجتماعية والصحية، وقطعت أشواطاً في ديمقراطية المؤسسات وترسيخ القيم الديمقراطية.

- مفهوم الآخر: يستوعب مفهوم "الآخر" اللاجئين والمهاجرين المسلمين الذين يقيمون في الدنمرك، وقدموا من أقطار مختلفة: تركيا وباكستان وأفغانستان والمغرب ومصر ويوغوسلافيا سابقا ودول الشرق الأوسط. يُذكر المسلمون- في المقالات والقصاصات الصحفية، وفي النقاشات السياسية- بأنهم يشكلون "مجموعة دينية من المهاجرين" دون الإشارة إلى العرق، أو القومية أو المذهب أو الجنسية السابقة.

- مواصفات المسلم: سألحلت النعوت التي يستخدمها "المتحدث الدنمركي" في تعامله وتواصله مع المسلمين. وسيتضح - من خلال التحليل- تواتر صفات بعينها توجسًا من تنامي الإسلام المتشدد أو المتطرف في الدنمرك، وتخوفًا من استقواء الدين الإسلامي الذي يتنافى مع الحداثة والعلمانية والديمقراطية.

- أفعال الكلام: سأتوقف عند عينة من الأفعال اللغوية التي يستخدمها المتكلم الدنمركي في مخاطبة للمسلمين، وحضهم على نهج سلوكيات بعينها ونهيمهم عن سلوكات أخرى.

- الأفعال الذاتية: استخدم "المتحدث الدنمركي" - في حديثه وخطابه- مختلف الأفعال الذاتية التي تدل على كينونته وعاطفته وموقفه من العالم والآخر المختلف (ما يهمننا أساسًا هو الآخر المسلم). لما لهذه الأفعال من أهمية تلفظية فإنني سأخصص لها حيزاً من التحليل لبيان كيف يوظفها "المتكلم الدنمركي" للتعبير عن ذاته وعن المسلم.

- الحجاج: يستخدم "المتكلم الدنمركي" أنواعاً من الحجاج لإقناع الرأي العام الدنمركي بجدوى طروحاته وآرائه، وتحريضه ضدّ الإسلام المتشدد، وتشجيع المهاجرين على الاندماج في البيئة الجديدة واكتساب "هوية متحركة" عوض "الهوية القاتلة" بتعبير أمين معلوف.

خصصت الفصل الرابع للمقارنة بين الصحيفتين من أجل مواطن التشابه والاختلاف بين المتحدث الأول والمتحدث الثاني في التعامل مع الذات، ومخاطبة الآخر المسلم وترويج صورة عنه.

وفي الأخير عدت إلى الفرضيات التي صغتها في التقديم للتأكد من صحتها أو من عدم صحتها في سياق التحولات الجيوسياسية التي تشهدها الدنمرك في الوقت الراهن.

أمل أن أكون قد وفقت في عملي الذي أخذ مني سنوات من عمري، منوِّهاً بجهود أستاذي الجليل الدكتور محمد الداوي الذي تعهدني بالرعاية اللازمة، وساعدني في التغلب على الصعاب وتجاوز العراقيل بتتبع خطوات الأطروحة وإبداء الملاحظات السديدة للرفقي بها إلى المستوى المطلوب رغم ما سببته له من تعب وحر.

الفصل الأول: المهاد النظري

تمهيد

أصبح الإنسان المسلم - مع تزايد أعداد الجاليات الإسلامية في الغرب- حاضراً بقوة في الخطاب الإعلامي الغربي، ومقروناً بصورة مجازية اختلقتها منذ قرون الدراسات الأثروبولوجية والتقارير التي كتبها المستشرقون أو الرحالة الغربيون عن الشرق. ورغم التقدم الذي أحرزته الدول العربية والإسلامية ما زال ينظر إلى الإنسان المسلم بكونه "بدائياً" و"متوحشاً" و"منفعلاً" و"شهوانياً" و"متطرفاً"، وما فتئ الغرب يروج "الصورة الشرقية" التي ابتكرها واستحدثها لتعزيز نفوذه الاستعماري من جهة، ولتكريس هيمنته الثقافية من جهة ثانية. "فلقد كان الشرق شبه اختراع أوروبي، وكان منذ الزمن الغابر مكاناً للرومانس؛ أي قصص الحب والمغامرات، والكائنات الغريبة، والذكريات والمشاهد التي لا تنسى، والخبرات الفريدة الرائعة"⁽¹⁾.

يظنُّ معظم الغربيين أنَّ الشرق عبارةٌ عن صحراء مترامية الأطراف، يقطنها شعب واحد يشترك في صفات معينة: علاوة على اللغة والتاريخ والدين يتقاسم المسلمون النفط والتخلف والأمراض والحروب والتطرف. توسع إدوارد سعيد في تاريخ الاستشراق الغربي، ومراحل تطوره، وحلل الخطاب الكولونيالي مفككا مفاهيمه وخلفياته، وخلصَ إلى أنَّ الاستشراق- الذي بدأ في أواخر القرن الثامن عشر- كان "أسلوباً غريباً للهيمنة على الشرق"⁽²⁾، واستدامة السيطرة عليه لاستنزاف ثرواته الطبيعية، وتكريس تبعيته للغرب سياسياً وثقافياً.

عندما زار صحافي فرنسي مدينة بيروت في أثناء الحرب الأهلية في عامي 1985 و1986 عاين الفرق بين هول الخراب الذي آلت إليه المدينة وبين ما يوحي مظهرها في يوم من الأيام

1- إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط2 المزيّدة، القاهرة، 2006، ص.42.

2- المصدر نفسه، ص.46.

بأنها كانت تنتمي إلى الشرق الذي وصفه كل من فرنسوا- رونييه دو شاتوبريان وجيرار دو نيرفال. "لم يكن يعني الزائر الأوروبي إلا الصورة التي تمثل الشرق وما آلت إليه الآن، وكانت تلك الصورة ومصيرها يتمتعان بدلالة مشتركة ومتميزة في عيون الصحافي وقرائه الفرنسيين"⁽¹⁾.

ينظر الإنسان الغربي إلى الآخر المسلم بتعال، وبعقدة تفوق العرق الأبيض على باقي الأعراق الأخرى المختلفة، وقد أسهم بعض الكتاب الغربيين في ترسيخ الصورة المتخيلة عن المسلمين في العقل الغربي والترويج لها. أذكر مثلاً رواية "قلب الظلام" للروائي البريطاني من أصول بولندية "جوزيف كونراد" (Joseph Conrad)، والتي صدرت عام 1899م. تتناول حكاية بحارٍ ورحلته عبر نهر الكونغو للبحث عن رجل يتاجر بالعاج اسمه "كورتز". صوّر جوزيف كونراد الإنسان الإفريقي بأنه متوحشٌ، وذميمٌ المظهر، ومتخلف، وكسول، ويموت مثل الذباب. وينعت الأفارقة بأنهم "أشباح سوداء تجسد المرض والجوع؛ فينطرحون أرضاً في مكان مظلم ضارب إلى العفن"⁽²⁾.

تتجلى ثقافة الاستعلاء والعنصرية حين يقول البحار في حقهم ما يلي: "أكثر ما كان قبيحاً هو التفكير في طبيعتهم البشرية كطبيعتكم أنتم"⁽³⁾. يتحدث بلسان الرجل الأبيض الذي يفتخر ويعتز بتفوقه ثقافياً وعرقياً على الجنس الأسود كما لو كان معطى طبيعياً لا يقبل الدحض والجدل. "نحن البيض انطلاقاً من نقطة النمو، والتطور التي وصلنا إليها، يتحتم علينا الظهور أمامهم ككائنات خارقة للطبيعة"⁽⁴⁾.

أولاً-الصوريات

سنعتمد على المنهاجية الصورية أو الصوريات لاستيعاب تمثيلات الصحافة الدنمركية للمسلم.

1- المصدر نفسه، ص/ ص. 42-43.

2- جوزيف كونراد، قلب الظلام، ترجمة محمد شاهين، دار المصير للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 2004، ص.30.

3- المرجع نفسه، ص.62.

4- المرجع نفسه، ص.87.

تُعدُّ "الصوريات" أو ما يسمى بـ "علم الصورة"، أو ما اصطلح عليه أيضاً بـ "الصورية"⁽¹⁾ الوسيلة التي يعتمد عليها الباحث لرصد الرؤى والانطباعات والتمثيلات التي تتشكل في وعي شعب أو جماعة عن شعوب وجماعات أخرى. تقتحم -إذاً- ميدان "الآخر"، وتتخذ الموضوع الرئيس، لأنه مثار جدال وجهات نظر مختلفة سعياً إلى استيعاب حقيقته في منأى عن الآراء المسبقة والشائعات والصور النمطية الرائجة. وهي تهم - بحكم أنها فرع من الأدب المقارن- التمثيلات التي يروجها شعب ما عن الآخر الأجنبي. وهو ما زكاه عبد النبي ذاكراً معتبراً الصوريات "مبحثاً من مباحث الأدب المقارن، يهتم بدراسة وتحليل ورصد الصورة الثقافية، التي تكونها وتحملها الشعوب عن بعضها البعض"⁽²⁾.

يمكن اعتبار الصوريات ثقافاً بين الأمم، أو اتصالاً مفتوحاً بين الجماعات والشعوب المختلفة، ومراً شاسعة تنعكس فيها ثقافة الأمم وملامحها وصفاتها وعاداتها وأنماط عيشها وتفكيرها. تحتل الصورة -في دراسة الأدب وثقافة الشعوب الأخرى- مكانةً مميزة في البنية الأدبية والمعرفية، لذلك يولمها الباحثون اهتماماً كبيراً بدعوى أنها تسعفهم على معرفة الذات والآخر، وعلى تبديد كثير من الأوهام والمغالطات التي تروجها الشعوب عن بعضها البعض لبواعث متعددة. ذكر عبد النبي ذاكراً في هذا الإطار- نقلاً عن الألماني "فون هيغوديسينيك" (Von ugo Dyseninck)- أنه "كثيراً ما اعتبرت الصوريات من قبل بعض الأصول الأدبية والذاتية المُحاثة للصور بمثابة مبحث يستهدف أولاً وقبل كل شيء تبديد مئات الآراء الخاطئة عن الجماعات الإثنية واللغوية أو القومية"⁽³⁾.

ينتج غالباً سوء تفاهم سلبي أو إيجابي بين الأمم والشعوب والثقافات المختلفة؛ وهو ما يؤدي إلى اختلاق صورة معينة عن الآخر وفق شروط اجتماعية وتاريخية معينة. يفضي سوء التفاهم السلبي إلى صياغة صورة عدائية لشعب ما، في حين يعني سوء التفاهم الإيجابي رسم صورة مبالغ فيها عنه. ومن خلال رؤيتنا إلى الآخر تتحدد رؤيتنا إلى ذاتنا

1- نوافل يونس الحمداني، "الصورولوجيا في السرد الروائي عند مهدي الصقر"، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، العدد 55، 2012، ص. 59.

2- عبد النبي ذاكراً، "أفق الصورولوجيا نحو تجديد المنهج"، علامات في النقد، العدد 51، جدة، 2001، ص. 386.

3- المرجع نفسه، ص. 386.

بطريقة جدلية. ينبغي- في رأي "آلان تورين" -لـ "الفرد التعرف على نفسه، وعلى حضور ماهيته، وعلى إرادته في أن يصبح ذاتاً"⁽¹⁾ من أجل اكتساب الخبرة والمؤهلات التي تسعفه في الآن نفسه على إثبات ذاته، والانغمار في الحداثة، والتميز عن الآخرين.

تنشأ الصور التي نشكلها عن الآخر من خلال الوعي بالأنا في مواجهه الأخطار المحتملة على حدود ثقافتين مختلفتين في جغرافيتين متوازيتين. لا يمكن للأنا أن يعيش دون الآخر في جدلية مستمرة على مَر الزمن. كل واحد يعضد الآخر بالاختلاف أو التشابه معه لكن دون أن يؤدي الأمر إلى اتحادهما أو تناسخ روحهما في روح واحدة. من سمات الاغتراب الثقافي والمعرفي هو أن نبعد الآخر عن اهتماماتنا الشخصية. "من هنا معضلة المعرفة الإنسانية التي لا تحل. بل هي من الاغتراب المعرفي؛ إذ نبحت بمعزل عن الآخر، وندقق بالجزء خارج الصورة العامة"⁽²⁾.

ظهرت- خلال السنوات الأخيرة- الحاجة إلى دراسة صورة الشعوب في المخيال الشعبي والرسمي والثقافي وتحليلها، بهدف إرساء قواعد التعايش السلمي، والحوار والتواصل الثقافي والتبادل الحضاري والمعرفي، والبحث عن العوائق التي تعمق الفجوات بين الشعوب وتحول دون تصالحها وانخراطها في المشاريع المشتركة. ما فتئت شعوب كثيرة في المعمورة تعاني من "أزمات الذاكرة ونزاعاتها"، وتروج صورا مغلوطة عن شعوب أخرى في إطار الحرب النفسية لتصفية الحسابات المتوارثة. لا يقتضي الأمر تحسين صورة الذات في طوية الآخر وذهنه، بل يفرض أيضا نقد الذات لتطوير ملكاتها. يذكر دو لاسي أوليري (De Lacey O'Leary) - في هذا الصدد- أنَّ "العلاقة بين الذات والآخر لا تُفهم إلا في ضوء العلاقة بين الذات وذاتها"⁽³⁾. يلجأ الكاتب والمثقف أحيانا إلى ممارسة النقد الذاتي لتسليط الضوء على مكامن الخلل في المجتمع، والحرص على تغييره وإصلاحه للحاق بالدول المتقدمة. وهو مضطر أيضا إلى نقد

1- آلان تورين، نقد الحداثة، ترجمة أنور غيث، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 1997، ص.275.

2- بركات حليم، وآخرين، العقلانية العربية والمشروع الحضاري، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، ط1، الرباط، 1992، ص.118.

3- دو لاسي أوليري، الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1972، ص.16.

تمثيلاتة للآخر لأن ما يحمله عنه من معلومات قد لا تركز على معرفة سابقة ومعلومات حقيقية، بل هي عبارة عن انطباعات مستوحاة من رحلاته أو من مطالعته أو من الأفلام التي شاهدها، أو مما هو متداول وشائع.

إنَّ الصورة عبارة عن لغة تضم أفكاراً ومشاعر ورؤى، وهي قابلة لأن تحمل مواقف سلبية أو إيجابية من طرف الذات تجاه الآخر. تحليل الصورة إلى واقع ومكان محددين، وتعبير عن واقع مجتمع ما وثقافته، وهي تعكس أحوال الذات أيضاً؛ إذ بواسطة الصورة يمكن للفرد أن يرى ذاته والمجتمع، وأن يعيد النظر فيهما معا بحكم تغير الظروف والأحوال.

تتقارب دراسة صورة الآخر وتشارك مع العلوم الأخرى مثل التاريخ والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع. يذكر عبد النبي -في هذا الصدد- الصعوبات التي تعترض دراسة صورة الآخر للكشف عما يضمه من آراء ومواقف سياسية وإيديولوجية قد تصل إلى حدّ التحريض والكراهية والعنصرية. "إنَّ هذا النمط من الدراسات يجزّ الباحث إلى ملاق إشكالية، حيث تنزع الصورة إلى أن تكون كشافاً منيراً لاشتغال أيديولوجية معينة مثل التحريض والعنصرية"⁽¹⁾. ثمة أنواع متعددة من الدراسات التي تعتمد الصوريات، مثل: دراسة صورة شعب محدد أو شخصية معينة في أدب شعب آخر، أو صورة شعب ما أو أمة ما في وسائل إعلام شعب آخر.

صنّفتِ الصورياتُ بدايةً بصفتهَا فرعاً من الأدب المقارن، لكن فيما بعد أضحت مجالاً يستوعب تخصصات عديدة، وهذا ما أدى إلى توسُّع المفهوم وانفتاحه على الدراسات الأنثروبولوجية التي تُعنى بوضع الإنسان في إطار الخصوصيات الثقافية والقومية. وعليه، أصبح لزماً على الباحث في الصوريات -بحسب عبد النبي ذاكر- "دراسة خيوط القوة التي تحكم ثقافة ما، وكذا منظومات القيم التي يمكن أن تتأسس عليها آليات التمثيلية، أو بالأحرى الآليات الأيديولوجية. فدراسة انكتاب مختلف صور الأجنبي تعني دراسة تحديد الأسس والآليات الأيديولوجية التي يبني عليها مبدأ الغيرية"⁽²⁾.

1- عبد النبي ذاكر، "أفق الصورولوجيا نحو تجديد المنهج"، م.سا، ص.389.

2- المرجع نفسه، ص.390.

عزز أدبُ الرحالة الغربيين إلى بلاد المشرق التمثيلات المتراكمة عن صورة المشرق. ساعد كتاب "الاستشراق المفاهيم الغربية للمشرق" لإدوارد سعيد، والصادر عام 1978م، على فهم مقاصد أدب الرحلات في السياقات المعرفية المتنوعة، وتحليل الخطاب الغربي بالتركيز على طريقة تصويره للأجناس والأعراق الأخرى في المشرق. اعتبر إدوارد سعيد أنَّ الكتابات التي أنجزها رحالةٌ ومستشرقون غربيون، لا يمكن النظر إليها أنها تمثل "مصدراً تاريخياً بريئاً"، بدعوى أنهم "إمبرياليون وعنصريون" بحرصهم على تكريس "الصورة الشرقية" بسماتها المسكوكة (التخلف، الشهوانية، التوحش، الانفعال) حتى تعطى الشرعية لثقافة الإنسان الأبيض (الثقافة المهيمنة)، ويظل المشرق تابعاً وذاعناً له. "لم يكن سبب اكتشاف المشرق للصورة التي رُسم بها يقتصر على أنَّ من رسموه اكتشفوا أنَّه يمكن أن يصبح شرقياً بالصورة الشائعة لدى الأوروبيين العاديين في القرن التاسع عشر، لكنه يتجاوزها إلى اكتشاف إمكان جعله كذلك؛ أي إخضاعه لتلك الصورة الجديدة للمشرق"⁽¹⁾.

لم تبق الصوريات حبيسة الثنائية المانوية المشرق/ الغرب، بل تجسّدت أيضاً في قلب الغرب نفسه من خلال قطبي أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، أو من خلال الجارتين فرنسا وألمانيا. عبّر كينت كوبر (Kent Cooper) المدير العام لوكالة "أسيوشيتد بريس نيوز" الأمريكية (Associated Press News)، في الشكاية التي قدمها ضد ثلاث وكالات إخبارية أوروبية ("رويتر" للأنباء البريطانية، ووكالة "هافاس" للأنباء الفرنسية، ووكالة "وولف" للأنباء الألمانية. وقعت الوكالة الأمريكية حينها عقداً مع الوكالات الأوروبية الثلاث، لمنحها حق توزيع الأخبار خارج الولايات المتحدة، والحصول- في المقابل- على حق توزيع أخبار الوكالات الثلاث في أمريكا بصورة حصرية. شنَّ كينت كوبر حملةً على الوكالات الأوروبية الثلاث، واتهمها بتشويه صورة الولايات المتحدة في أوروبا بكونها دولة "تمزقها الصراعات والعنصرية والجريمة والفيضانات وحوادث القطارات"⁽²⁾.

1- إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للمشرق، م.سا.ص. 49.

2- Kent Cooper, "The Story of the News Agency Epoch", *The American Historical Review*, Vol 48, No 4, July 1943, New York, Farrar, and Rinehart. P.756.

وفي السياق نفسه، قامت الأدبية الفرنسية آن-لويس-جرمين نكير (المعروفة بالسيدة دو ستايل Madame De Stael) بجولة في ألمانيا مع بداية القرن التاسع عشر قبل أن تتوحد على يد "بسمارك"، ولاحظت أن ما يوحد الشعب الألماني ويجمعه هو تقاسم الثقافة نفسها، وأنهم متفتحون على أفكار الآخرين. حينها علمت أن الفرنسيين يجهلون أبسط الأشياء عن جيرانهم الألمان، "فرسموا في أذهانهم صورة لشعب فظ وغير متحضر. إنها- باختصار- صورة يرسمها شعب عن شعب آخر يعده عدواً"⁽¹⁾. تبعاً لذلك، حاولت الأدبية الفرنسية تغيير هذه الصورة عن الألمان لدى الفرنسيين، وألفت كتباً عدة، ونقلت مبادئ الرومانسية من ألمانيا إلى فرنسا، واعتبرها البعض أنها "المحرك الفعال للأدب الرومانسي من خلال كتاباتها التي قدمت فيها روائع الأدب الألماني"⁽²⁾.

ثانيًا- الدراسات السابقة

أعرض فيما يلي عينة من الدراسات التي تمّت بصلّة إلى المجال الذي أتحرك فيه (الصوريات) للاستفادة من طريقتها في تمثيل صورة الآخر من جهة، والتموضع ضمنها بوضع خطة عملية تسعفني على استيعاب صورة المسلم في الصحافة الدنمركية من جهة ثانية.

1- سعى كتاب "صورة تركيا في الصحف اليومية الفلسطينية، دراسة تحليلية مقارنة: من عام 2010 إلى غاية 2013"⁽³⁾ إلى تحليل صورة تركيا في الصحف اليومية الفلسطينية التي صدرت في مناطق السلطة الفلسطينية خلال الفترة الزمنية الممتدة من عام 2010 إلى عام 2013، ومعرفة تأثير "الخط التحريري" في تغطية الأخبار، وإبراز القضايا التركية التي تستأثر أكثر باهتمام الصحفيين الفلسطينيين، وتحديد المصادر التي يعتمدون عليها.

1- ماجدة حمودة، صورة الآخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 2010، ص.10.
2- زهير الغابي، الإنسان والطبيعة في شعرية ابن خفاجة والرومانسيين الفرنسيين، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 2002، ص.32.
3- ياسر البنا، صورة تركيا في الصحف اليومية الفلسطينية، دراسة تحليلية مقارنة، الجامعة الإسلامية في غزة، كلية الآداب، قسم الصحافة، ط1، 2015.

اختار المؤلف صحفيي "فلسطين" و"الحياة الجديدة"، لأنهما صحيفتان مختلفتان إيديولوجياً. تصدر صحيفة "الحياة الجديدة" في رام الله، وهي مقربة من حركة "فتح"، بينما تصدر صحيفة "فلسطين" في قطاع غزة، وهي مقربة من حركة "حماس". اعتمد الطريقة الوصفية لتحليل البيانات والمعطيات بهدف استخلاص صورة تركيا منها، كما استند إلى المنهج التاريخي لرصد علاقة تركيا بالدول العربية؛ وفي مقدمتها دولة فلسطين.

من أهم نتائج الكتاب نذكر ما يلي:

أ. إنّ كلتا الصحيفتين أظهرتا تركيا دولة داعمة للشعب الفلسطيني بدرجة أولى، ودولة قوية اقتصادياً بالدرجة الثانية.

ب. تبين أنّ معظم القضايا- التي تصدرت اهتمام الصحيفتين عن تركيا- تتعلق بالجانب السياسي أساساً، ثم الاقتصادي، فالاجتماعي.

ج. إنّ مصادر كلتا الصحيفتين هي وكالات الأنباء العالمية، وما يبعثه المندوبون والمراسلون المعتمدون. ويأتي الخبر في مقدمة المصادر الرئيسية التي تُعتمد في معالجة القضايا الراهنة والمستجدات الطارئة.

2- يروم الكتابُ المعنوّ بـ"صورة العرب في الكتب المدرسية الإيرانية"⁽¹⁾ معرفة صورة العرب في المناهج التعليمية الإيرانية، وتبيان تكامل المراحل التعليمية الثلاث "الابتدائي والإعدادي والثانوي" في تعليم المتعلمين وتهذيب سلوكهم، ومعرفة الأدوات التي يستخدمها النظام التعليمي الإيراني لرسم صورة عن العرب، وترسيخها في أذهان المتعلمين الإيرانيين.

1- نبيل العتوم، صورة العرب في الكتب المدرسية الإيرانية، مركز العصر للدراسات الاستراتيجية، دار الدراسات العلمية للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 2015.

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

أ- تقدم الكتب المدرسية الإيرانية صورة نمطية عن الإنسان العربي، وتعدّه أقل حضارة وثقافة من نظيره الإيراني.

ب- يظهر الإيراني فارساً ومحارباً في مواجهة العربي الجبان؛ ونبيلاً وأنيقاً مقابل العربي راعي الأغنام ذي الملابس الرثة، وطبيباً وعالماً ومفكراً مقابل العربي الجاهل الساذج والمزارع.

أ. تحذر الكتب المدرسية من العربي الذي يشكل -على مرّ التاريخ- تهديداً للحضارة الإيرانية وهويتها وثقافتها.

ب. يتعمد واضعو الكتب المدرسية عدم الإشارة إلى الأدباء العرب بمن فيهم ذوي الأصول الفارسية، وسبق لهم أن أغنوا الأدب والثقافة العربيتين برائع مؤلفاتهم ومنجزاتهم.

3- هدف كتاب "صورة إيران في الصحف العربية اليومية دراسة تحليلية مقارنة"⁽¹⁾

إلى معرفة الصورة التي تروجها الصحافة العربية عن الإيراني، وتبيان نوعية الأخبار والموضوعات الإيرانية التي تستأثر باهتمام الصحفيين العرب، وتحليل "الخط التحريري" للتأكد من تأثيرها على القراء العرب برسم صورة نمطية عن الإيراني.

حلل المؤلف علي أبو شبك عيّنة من الصحف العربية اليومية ("الأهرام المصرية"، و"الاتحاد الإماراتية"، و"صوت الأحرار الجزائرية"، و"الأخبار اللبنانية") -التي صدرت في الفترة الممتدة من تاريخ 2014/1/1 إلى تاريخ 2015/6/1- معتمدا الطريقة الوصفية لتحليل بيانات المتون الصحفية، وتوزيع الاستثمارات على الصحفيين سعياً إلى الخروج باستنتاجات ملائمة؛ ومن ضمنها:

أ. إنّ صورة إيران بدت سلبية في صحيفة "الأهرام" المصرية بنسبة 63%، وفي صحيفة الاتحاد الإماراتية بنسبة 35%.

ب. إنّ صورة إيران إيجابية في صحيفة "الأحرار" الجزائرية بنسبة 44,8%، وفي صحيفة "الأخبار" اللبنانية بنسبة 44,2 % .

1- علي أبو شبك، صورة إيران في الصحف العربية اليومية، الجامعة الإسلامية في غزة، ط1، 2016.

ج. إنَّ صحفيي "الاتحاد" و"الأخبار" من أكثر الصحف اهتماماً بتغطية الأخبار الإيرانية، ونشر المقالات ذات الصلة بإيران.

د. شغلت الموضوعات السياسية المساحة الأكبر في الصحف المعتمدة، تلتها -على التوالي- القضايا العسكرية والدينية والاقتصادية.

4- راهن كتاب "صورة الغرب كما يعكسها الإعلام العربي، دراسة تطبيقية على قناة الجزيرة القطرية"⁽¹⁾ على معرفة صورة الغرب في البرامج التي تقدمها "قناة الجزيرة" باعتبارها من القنوات التي تحظى بمشاهدة كبيرة في العالم العربي، وتحليل الأخبار -التي تقدمها القناة عن الولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوروبي- طوال ثلاثين يوماً (من بداية شهر مارس/آذار 2002م حتى نهايته). حُدِّت عينة الدراسة في أربع حلقات من برنامج "الاتجاه المعاكس"، وخمس حلقات من برنامج "أكثر من رأي"، وثلاث حلقات من برنامج "بلا حدود"، و"نشرة الأخبار الأخيرة" يومياً.

فيما يلي أهم نتائج الدراسة:

أ. تحظى الولايات المتحدة صاحبة القوة العسكرية الأضخم عالمياً بتقدير دول الخليج العربي و صداقتها لتقاسم المصالح نفسها وتبادلها.

ب. ترسم القناة صورة سيئة عن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه العرب عموماً؛ وفي مقدمتهم الفلسطينيين، وتُبين سيطرة اللوبي اليهودي على القرارات السياسية التي تتبناها الإدارة الأمريكية.

ج. تقدم البرامج صورة سيئة عن الغرب لدغدغة مشاعر العرب وكسب عطفهم.

5- يدور كتاب "الأدب المتعدد الثقافات في الدنمرك"⁽²⁾ حول موضوع التعددية الثقافية في الأدب المكتوب من قبل المهاجرين في الدنمرك، بصفته أداة للتعبير عن مشاكلهم النفسية والاجتماعية، والتي تتعلق عموماً بقضايا حيوية؛ مثل الهجرة والجنسية والهوية والانتماء.

1- حنان سليم، وحسام سلامة، صورة الغرب كما يعكسها الإعلام العربي، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، ط1، 2002.

2- Bæk Laura & Kübra Bahadır, *Multicultural Literature in Denmark*, Roskilde University, 1.ud, 2019.

انطلق صاحبها الكتاب من الإشكال الآتي: ما هوية "الأنا" التي عبر عنها كتاب دنمركيون من أصول مهاجرة (أي الكتاب المتعددي الثقافة) من خلال مصفاة المواطنة العاطفية؟ قارب نصوص أدبيين دنمركيين مهاجرين؛ الأول قاص مولود في تركيا، اسمه عادل إردم (Adil Erdem)، الذي قدم والده إلى الدنمرك بصفة -مهاجراً عاملاً- عام 1969م، واشتغل في معمل الخرسانة، وكان عادل إردم حينها يبلغ من العمر خمس سنوات. التحق عام 1981م بوالده في الدنمرك رفقة أفراد عائلته، وكان عمره حينها سبعة عشر عاماً. ونشر أول مجموعة قصصية له بعنوان "مثل قطرة في الشمال" (Somendråbei Norden) عام 1991⁽¹⁾. والثاني روبين بالما (Rubén Palma)، شاعر مولود في تشيلي عام 1954م، جاء إلى الدنمرك عام 1974، وكان عمره وقتئذ عشرين عاماً. عمل في مهن مختلفة، وكتب أول رواية عام 1989، بعنوان "رسالة إلى الدنمرك" (Brevet til Danmark).

تفرع عن الإشكال الأساس سؤالان أساسيان، وهما: كيف "يتفاوض" روبين بالما وعادل إردم في مشكلة الهوية على الحدود بين الثقافتين (الأصلية والمكتسبة)، وهما يستثمران جملة من المفاهيم التي يؤمنون بها في أعمالهما الأدبية؟ ما الدور الذي تلعبه العلاقات العاطفية في تشكيل هوية الكتاب المتعددي الثقافات؟

توصلت الدراسة إلى الاستنتاجات التالية:

أ. حين يجري الحديث والحوار- في المجتمع الدنمركي- عن المواطنين الدنمركيين من أصول مهاجرة، أو ما اصطلح على تسميته بـ"الدنمركيين الجدد"، يُعالج الموضوع من جانب عرقى لدمج هؤلاء "الجدد" في المجتمع، ويدور النقاش -أساساً- حول سياسة الاندماج لمعرفة مدى نجاحها أو فشلها، وللتمييز بين العرقين عادة (أي العرق الدنمركي الأصلي، وأعراق الدنمركيين الجدد) بترداد الثنائية المانوية: مَنْ "نحن"/ وَمَنْ "هُم".

ب. حين يتعلق الأمر بالإنتاجات الأدبية التي يكتبها أبناء الأقليات العرقية المتعددي الثقافة، لا يشار إلى هذا النوع من الأدب بأنه إنتاج الدنمركيين "الجدد"، بل يُدرج

1- Erdem. Adil, *Som en dråbe i Norden*, Udgiver Ålække, 1ud, københavn, 1.ud, 1991.

ضمن الأدب الوطني العام، بالرغم من كون هؤلاء "الجدد" يُشكّلون هم في الأصل لبنة الأدب المتعدد الثقافات، الذي لولاهم لما كان له وجود.

ج. توصّل الباحثان -بتحليل عينة من النصوص للأديبين التركي والتشيلي- أنّ كتابتهما مُثقلة بالصراعات لتباين الهويات المتعددة على الحدود (الفضاء الثالث)، وتفاقم المشاكل الاجتماعية والنفسية، وتضارب العواطف والمشاعر المتناقضة، والشعور بعدم الانتماء لا لهما (الدممر) ولا لهما (البلد الأصلي). تعكس نصوصهما البحث الدائم عن مكان يحميها ويقمها من الكراهية والإقصاء، ويتيح لهما الاستفادة من "موقعهما الثقافي الجديد" دون التخلي عن مقوماتهما الثقافية والروحية، والتعبير عن مشاكلهما واختياراتهما بحرية في مجتمع يضمن تعدد الثقافات وتنوعها.

د. ما زالت العلاقات الاجتماعية التي تربط الدنمركيين وغير الدنمركيين متوترة، وكذلك هي حال الروابط بين "الدنمركيين الجدد" فيما بينهم. الأمر الذي يحول دون تحقق الاندماج والتعايش والاستقرار العاطفي، ويدفع البعض للبحث عن الخيار الثالث بسبب التجاذب الهوياتي والتوتر الثقافي على الحدود، وصعوبة التوصل إلى الخلاص باعتباره "شيئاً بَيْنَ بَيْنٍ"⁽¹⁾ أو موطنًا يستوعب تعدد الثقافات لتباد التأثير فيما بينها على اختلافها وتعددتها وتنوعها (التهجين الثقافي بالمعنى الإيجابي).

اعتمد الباحثان -في تحليل الأعمال الأدبية- على كتاب "المواطنة العاطفية: النسوية، ما بعد الاستعمار وسياسة الاعتراف" لمونيكا موخرجي (Monica Mookherjee) أستاذة الفلسفة السياسية في جامعة "كيبي" البريطانية. يتناول الكتاب المشاكل الناجمة عن عدم الاعتراف بتساوي الهويات الثقافية المتعددة في المجتمع الدنمركي.

يقدم الأدب -الذي أنتجه كتاب وأدباء دنمركيون من أصول مهاجرة على قلته- تمثيلات للمجتمعات المضيفة التي تتعرض للتغيير باستمرار بسبب تكاثر أعداد المهاجرين. غالبًا ما يخوض هذا الأدب في قضايا حساسة تؤرق المهاجرين بصفة عامة، وهي: الهوية، والجنسية،

1-Mookherjee. "Monica, Affective citizenship: feminism postcolonialism and the politics of recognition", *Critical Review of International Social and Political Philosophy*, Vol. 8, N°. 1, 2005, p.41.

والعرق، والدين. ويعد أدبا جديدا لأن الكتاب المهاجرين- في الدنمرك- يكتبون عن أنفسهم بكونهم دنمركيين ذوي الثقافتين والهويتين المختلفتين، ومنشغلين بقضايا الاندماج والاستيعاب والانصهار، ومستحضرين التجارب الشخصية السابقة عن عنف النفي والنزوح والهجرة أو اللجوء السياسي. مع الازدياد النسبي لهذا النوع من الأدب في الدنمرك وفي الدول الاسكندنافية، ما فتئ الجدل يشغل "المؤسسة الأدبية" في تصنيفه إما ضمن الأدب الوطني وإما ضمن أدب المهجر والمنفى.

6- كان الهدف من كتاب "نحن وهم.. التكامل والتصنيف في الدنمرك"⁽¹⁾، هو معرفة تجربة شباب الأقليات العرقية في تعزيز الانصهار مع الدنمركيين الأصلاء. تعاني الأقليات من الميز أو التنميط العرقي بالرغم من استفادة بعضهم من ثمار مجتمع الرفاهية وتحسن نمط عيشهم. اختارت الباحثتان إجراء تحليل مقارنة على كتابين، الأول موسوم بـ"كيف تتحدث الدنمركية العظيمة؟"⁽²⁾ للكاتب عبد العزيز محمود، كاتب دانمركي من أصل فلسطيني، انتقل إلى الدنمرك برفقة عائلته عام 1984 هربا من تداعيات الحرب اللبنانية. كان عمره حينها عاماً واحداً. قرر بصفته صحافياً أن ينجز كتاباً عن تجربته في العمل مع قناة (P3). وهي قناة تلفزيونية محلية خاصة بالشباب، تهتم بالموسيقى والرياضة والترفيه. ثمة كان يخوض في نقاشات مع زملاء العمل الدنمركيين حول اختلافه العرقي والثقافي معهم؛ الأمر الذي كان يثير غضبه باستمرار.

يثير هذا الكتاب إشكالات عديدة ترتبط بوضع الأقليات العرقية في الدنمرك، وقضية الاندماج. الكتاب -في جزء منه- عبارة عما يشبه السيرة الذاتية لعناية المؤلف بالاضطرابات النفسية والتمزقات الهوية التي عانى منها بصفته مواطناً دنمركياً يختلف عن الدنمركيين الأصلاء في المواطنة (الحقوق والواجبات)، ويكد من أجل أن يعترف الآخر بجهد ونجاحه في الحياة، ويكون محبوباً عند مواطنيه الدنمركيين أياً كان دينهم ونمط عيشهم وبشرتهم.

1- Berntsen Anna & Thorup Anna, *Os og dem: Integration og kategorisering i Danmark*, Roskilde Universitet, 1.ud, 2019.

2- Abdel Aziz Mahmoud, *Hvor taler du flot dansk*, Politikens Forlag 2016. E.Book, 1.ud, 2016.

أما الكتاب الثاني "عمر والآخرين: الشباب الغاضبون والمواطنة"⁽¹⁾ الذي صدر عام 2018م في الدنمرك- يدور حول شباب الأقليات العرقية وخاصة العرب والمسلمين الذين لا يتمتعون بالمواطنة أسوة بالدنمركيين الأصلاء، وهذا ما يجعلهم مواطنين من الدرجة الثانية، وعرضة للكرهية والإقصاء والتمييز. يرى الكاتب أنَّ غالبية هؤلاء الشباب يعيشون حياة عادية في المدرسة والأسرة، إلا أن ثلث منهم ينتهي بها المطاف إلى التطرف الديني والانحراف الاجتماعي، واقتراف الجرائم كما لعمر الذي يحيل عنوان الكتاب إليه. اسمه الكامل عمر حسين، شاب دنمركي عشريني من أصول عربية مهاجرة، قام بقتل اثنين من حراس كنيسة يهودية في مدينة كوبنهاغن عام 2015. صدر هذا الكتاب بعد انصرام سنوات على حدوث أعمال شغب عام 2008، قام بها شبان من الأقليات العرقية احتجاجاً على أوضاعهم المزرية في مناطق "الغيتو" الدنمركية، وتطلعا إلى التعايش في مجتمع متعدد الثقافات دون ميز سلبى أو عنصرية أو تمييز.

نشأ اهتمامُ الباحثين ب خطاب الاندماج لأنه يهتم المجتمع الدنمركي، ونجم عن تجربة شخصية ولدت مشاعر الخوف لديهما، حين مرَّ رجل أسمر بقرعهما ليلاً؛ مما حفزها على دق جرس الإنذار. وتتساءل الباحثتان عن مصدر الخوف الذي راودهما. عكست تجربتهما ظهور ثنائية "نحن/ هم". هل يشعر الدنمركيون بالخوف فطرياً من الغرباء؟ وتضيفان أنه على الجميع أن يكونوا متساوين حين يعيشون في مجتمع متعدد الثقافات، وعلمهم كدنمركيين قَبُول الاختلافات الناجمة عن لون البشرة والعرق والدين. تتساءل الباحثتان عن الطريقة التي يفكر بها أبناء الأقليات العرقية داخل المجتمع الدنمركي حين يجدونه مجتمعاً عرقياً ومغلقاً. أتعيقُ ثنائية "نحن/ هم" اندماج الأقليات العرقية في المجتمع أم هي جعجة بلا طحين؟

تقول الباحثتان إنَّ صوت الأقليات العرقية غائب عن النقاشات العمومية وغير متداول في وسائل الإعلام، وهذا ما حفزهما على معالجة تجربة أبناء الأقليات بحثاً عن أنجع الوسائل التي تشعرهم بالمواطنة الدنمركية. اعتمدتا -في الدراسة- على ثلاثة مراجع أساسية:

1 -Aydin Soei, Omar - og de andre: Kvalificerede analyser af et af vort samfunds mest komplekse problemer. Gads forlag, 1.ud, 2018.

الأول بعنوان: "التصنيف والسلطة: إعادة التفكير في العرق" لريتشارد جينكينز (Richard Jenkins)⁽¹⁾، وهو عالم أنثروبولوجي بريطاني، وأستاذ في جامعة "كامبريدج"، ورئيس معهد علم الاجتماع في جامعة "شيفيلد". نشر كتباً عديدة عن الهوية الاجتماعية، وأجرى أبحاثاً ميدانية في بلدان مختلفة، بما فيها الدنمرك التي تربطه بها علاقات وثيقة، حيث كان أستاذاً زائراً في جامعة "آرهوس" الدنمركية في العام 1992.

يرى جينكينز في هذا الكتاب- أنَّ الهوية العرقية يجب أن تُفهم ويُنظر إليها على أنها مثالٌ للهوية الاجتماعية بشكل عام، وأنَّ عمليات الميزاج الاجتماعي الموجودة في المجتمع لها تأثير كبير على إنتاج الهويات الاجتماعية واستنساخها. ومع ذلك، فإنَّ الكثير من الأبحاث المتعلقة بالعرق، وخاصة الأبحاث الأنثروبولوجية الاجتماعية، المستوحاة -بصورة مباشرة أو غير مباشرة- من المجموعات العرقية، ركزت على دراسة العلاقات الداخلية لتحديد المجموعة وفق معيار الميز.

صدر الكتاب الثاني الموسوم بـ "الاقتصاد العاطفي" في لندن عام 2004، لسارة أحمد (Sara Ahmed)⁽²⁾، أستاذة الدراسات العرقية والثقافية في جامعة "غولد سميث" في لندن سابقاً، وباحثة في قضايا المرأة. يوضح الكتاب كيف تؤثر العواطف والمشاعر في عمل الأفراد وأدائهم، وفي تواجدهم وتلاحمهم. تلعب العواطف دوراً في تعزيز الأصرة الاجتماعية والعائلية أو في تفسخها واندثارها. وهي ليست قضية شخصية تتجلى في سلوكيات ومواقف معينة، بل هي مسألة جماعية تهتم الأمة والدولة بتعزيز الشعور القومي ورابطة الانتماء الوطني والحماية الاجتماعية درءاً للأخطار الخارجية المحدقة.

إنَّ الإنسان الأبيض - سواء أكان عاملاً أم مزارعاً أم رب أسرة- يشعر أن أشخاصاً متخيلين يهددونه. لا يقتصر التهديد على البيض لمجرد امتلاكهم أشياء معينة مثل الوظائف أو الثروة أو الأمن، بل يصبح شعورهم يلازمهم في حياتهم. وتضيف الكاتبة أنَّ الإنسان الأبيض

1 - Jenkins. Richard, " Categorization and Power. Rethinking Ethnicity ", *journal Ethnic and Racial Studies*, Vol 17, 1994. No 2.

2- Ahmed. Sara, *Affective Economics*. Edi: Stefano Harney, Duke University Press 2004. Social Text, Vol 22, N°. 2, 2004.

يكتب التاريخ على مقاسه ومزاجه طامسًا عمل الآخرين من المهاجرين والعبيد، ومتبجحًا بأنه الأقدر من غيره على تدبير العالم والتحكم في عنانه.

المرجع الثالث بعنوان: "التمييز: نقد اجتماعي لحكم الذوق"⁽¹⁾، صدر الكتاب بالفرنسية عام 1979م، ثم ترجم إلى الإنجليزية عام 1984م. يعتبر بيير بورديو أن الأفراد الذين يمتلكون الرأسمال الثقافي والاجتماعي (التعليم، والوعي الاجتماعي، والثقافة) هم المؤهلون لتحديد الذوق العام بفضل ما يمتلكونه من نفوذ للتأثير في الآخرين، والتحكم في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية. إن التمييز بين الثقافتين الراقية والمتدنية طبيعي وشرعي بالنظر إلى من له رأسمال رمزي ومن يفتقر إليه، وبحكم التراتبية الموجودة بين من يتمتع بالسلطة ومن هو مجبر على الانصياع إلى أوامرها.

يرى بيير بورديو أن قبول أشكال الذوق المهيمنة هو نوع من العنف الرمزي الذي يفرض على المهيمن عليه تغيير ذوقه وطريقة استهلاكه ونمط عيشه إن هو أراد أن يرقى إلى المجال الاجتماعي السائد. في حين هناك من يظل وفيًا لأسلوبه في العيش وإن كان يشعر - في قرارة نفسه - بحيف الفوارق الاجتماعية (مثل الطبقة العاملة).

توصلت الدراسة - التي أنجزتها الباحثتان - إلى ما يلي:

أ- إن الميز بين الأفراد على أساس خلفياتهم الدينية والعرقية منتشر إلى حد كبير في المجتمع الدنماركي، ويعزز صحة الفرضية التي وضعتها الباحثتان، ومفادها أن الأفراد الذين لديهم خلفيات عرقية مختلفة يعانون من الميز. وهذا ما يفتح الأبواب على سلسلة من الأسئلة التي تحتاج إلى دراسات أخرى، والتي تشير إلى مدى تعقد النقاش حول قضية الاندماج. لم التمييز؟ ولماذا لا يسمح للبعض أحياناً بارتياح مقاه وحفلات بعينها في المدينة؟ أهو الخوف من الآخر بسبب لون بشرته، أم الخوف من ممارسته لدين يهدد أمنهم وطمأنينتهم وقيمهم؟⁽²⁾ ما الحافز الذي دفع عمر إلى ارتكاب جريمة القتل العمد؟ يتعذر- في

1- Pierre Bourdieu, *Distinction: a social critique of the judgement of taste*. Cambridge, MA. Harvard University Press, 1st ed, 1984.

2- Berntsen Anna& Thorup Anna, *Os og dem: Integration og kategorisering i Danmark*, op,cit, p.31.

نظر الباحثين صياغة أجوبة مقنعة لمثل هذه الأسئلة بسبب تدخل كثير من الوسائط والشوائب بين الذات والموضوع⁽¹⁾.

ب- حين تقوم وسائل الإعلام بتأطير مفردة "المهاجر أو/ والمسلم" بصورة تجعل المتلقي يربطها بالجريمة، فهذا يفسّر في جانب منه سبب الخوف الذي يبديه الناس من الغرب. لا يعزى تكوين العصابات الإجرامية في الدنمرك إلى التطرف الديني فحسب، بل توجد دوافع أخرى تختزل في عدم تمتعهم بالمواطنة الدنمركية. وغالبًا ما يُنظر -بهذه الطريقة السلبية- إلى الشباب المنتسبين إلى الأقليات العرقية في الدنمرك، كما تسهم التغطية الإعلامية في تعميق الهوة بين الذات والآخر الأجنبي بتهويل أحداث من هذا القبيل لاعتبارات دينية أو عرقية.

ج- بينت الدراسة وجودَ عددٍ من علاقات الانصهار المعقدة بين أبناء الأقليات العرقية والمجتمع الدنمركي، وأشارت إلى العديد من العوامل المتداخلة والمعقدة التي تلعب دوراً في قضية التكامل. إنّ النقاش العامّ في الدنمرك حول مفهوم "نحن/ هم" له تأثير على الأقليات بحفزهم أكثر على الاندماج والانصهار والمواطنة.

7- أنجزت الطالبة ماريّا كورال ألفونسو (Maria Corral Alfonso) بحثاً موسوماً بـ "كيف يعمل مفهوم "المهاجر" في الداخل: مناظرات حول الهويات الوطنية في الدنمرك 2001-2016"⁽²⁾. كانت طالبة وافدة للدراسة في الدنمرك بمنحة دراسية وفرتها لها منظمة "Erasmus Student"، وهي منظمة طلابية تابعة للاتحاد الأوروبي، ومقرّها في بروكسل.

تقول الباحثة إنّ الدنمرك تقدم نفسها للمهاجرين المُحتملين في موقع (Workindenmark.dk) بأنها دولة ذات مستوى معيشي مرتفع، حيث يشعر السكان فيها بالسعادة والأمن، وأنّ البلد يمتلك بنية تحتية جيدة، وتعليمًا قويًا، وحياة ثقافية غنية. يبدو الإعلان -بحسب الباحثة- مجانًا للحقيقة بسبب تنامي مشاعر الكراهية تجاه الأجانب بذريعة أنهم يشكلون تهديدًا لنمط عيش الدنمركيين وأمنهم واستقرارهم. وهو ما حفز نسبة

1- Ibid., p.34.

2- Alfonso María, *How does the concept « Immigrant » function within debates about national identities in Denmark*, Roskilde University, 1ud, 2016.

كبيرة من الدنمركيين على دعم الأحزاب اليمينية تطلعا إلى مواجهة الأخطار التي تحذق بهويتهم وثقافتهم ومواطنتهم.

تحاول الباحثة فهم التناقض الذي يجعل حزبا يمينيا عنصريا مثل "حزب الشعب" (Dansk Folke parti) يحقق نجاحا انتخابيا بنسب مرتفعة في بلد يتمتع أهله بأعلى معدلات الرفاهية والحماية الاجتماعية في العالم. أيعود السبب إلى الصراع الثقافي بين الدنمركيين والآخر أم أن هذا التفسير تبسيط لقضية مفارقة، وفي غاية التعقيد؟

ركزت الباحثة على معنى "المهاجر" في علاقته بالهوية الدنمركية، وفي الخطابات التي يستخدمها الفاعلون في المجالات السياسية والاجتماعية، ثم استعرضت النقاشات التي دارت في الأوساط السياسية والاجتماعية الدنمركية من جراء أزمة الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول (صلى الله عليه وسلم).

كانت الطالبة الوافدة على الدنمرك شاهدة على العديد من النقاشات التي حامت وقتئذ حول سوء التعامل مع المهاجرين واللاجئين، وحول ارتفاع الدعم الجماهيري لـ "حزب الشعب اليميني"، بالرغم من ترحيب بعض فئات المجتمع الدنمركي بقدوم اللاجئين وتوفير الجو المناسب لهم. وجب الإشارة إلى أن الدراسة أنجزت عام 2016 في تزامن مع دخول أكبر عدد من اللاجئين إلى دول الاتحاد الأوروبي عن طريق تركيا واليونان. التقت الباحثة بالعديد من هؤلاء اللاجئين وبعض المهاجرين القادمين من أقطار مختلفة حرصا على الإلمام بالموضوع من الجوانب جميعها، وعلى إبعاد - من اهتمامها - الكثير من الصور النمطية والأساطير التي تروج عنهم لتحويل الخُطْب وتضخيمه.

قُسمت الدراسة إلى ثلاثة أقسام: "الهجرة ثم الهوية الدنمركية ثم العلاقة بينهما"، وسعت إلى فهم معنى "المهاجر" في النقاشات العمومية. كيف يؤثر المفهوم على النقاشات الداخلية السياسية والاجتماعية والثقافية في الدنمرك؟

ارتكزت الباحثة - في دراستها - على بعض النظريات والأفكار والمراجع، أبرزها: كتاب "الهيمنة والديمقراطية الراديكالية والسياسية"⁽¹⁾ الذي يتضمن أفكار شانتال موف

1- Chantal Mouffe. *Hegemony, Radical Democracy, and the Political*, Edi. James Martin, 1st ed, 2013.

(Chantal Mouffe) حول النظرية الديمقراطية ما بعد الماركسية، ويعيد تعريف السياسات اليسارية من منظور الديمقراطية الراديكالية، والإبدال ما بعد البنيوي، ونظريات الهوية.

يتناول المرجع الثاني بـ"المجتمعات المتخيلة، تأملات في أصل القومية وانتشارها"⁽¹⁾ الأسباب التي تجعل بعض الأفراد (الكاميكاز) يضحون بحياتهم أو ينتحرون من أجل الأمة، ويبحث في قضية خلق "المجتمعات المتخيلة" للعرقية وانتشارها عالمياً، ويكشف العوامل التي خلقت هذه المجتمعات بترسيخ المعتقدات الدينية وانحسار الملكيات القديمة، وتطور اللغات العامية، ويوضح كيف تعمل الحركات الشعبية على تعزيز القومية الأصلية والصور النمطية. إنَّ المجتمع المتخيل مفهومٌ طوره بنديكت أندرسون (Benedict Anderson) لتحليل القوميات، معتبرا الأمة مجتمعا يتخيله الناس الذين ينظرون إلى أنفسهم على أنهم جزء من مجموعة متماسكة ومغلقة. كما تخلق وسائل الإعلام مجتمعات متخيلة أيضاً باستهداف جمهور كبير لتكريس نوع من التمثيلات وإبعاد ما يخالفها، وترويج الصور النمطية. يختار الناس الصور الأكثر ارتباطاً بهويتهم وتعبيراً عنهم؛ مما يعزز صلتهم بالمجتمع المتخيل.

يوضح ستيفوارت هول- في المرجع الثالث العنوان بـ"الثقافة، والمجتمع، والأمة"⁽²⁾- العلاقة بين التحيز العنصري ووسائل الإعلام، كما يناقش مفاهيم الهوية الثقافية والعرقية في تعاملها مع سياسات الهويات السوداء في خضم الشتات. يعتقد ستيفوارت هول أنَّ الهوية نتاج دينامي مستمر في تناسق مع الطفرات التاريخية والثقافية، ويوضح كيف يوظف التيار اليميني المحافظ تصدعها واهتزازها لخدمة مآربه أو أجندته السياسية. وهذا ما أدى إلى تنامي الحركات العرقية والقومية والسياسية والدينية المتطرفة ووصولها إلى الحكم في بعض الدول الأوروبية. وفي حال عدم استقرار أوروبا بسبب عوامل داخلية (الإخفاق في تدبير ملفي الاندماج والاختلاف الثقافي) وخارجية (موجات الهجرة، وتفاقم الجوائح والحروب) فإن اليمين سيتقوى ويصل إلى السلطة في دول أوروبا جميعها بالضرب على الوتر الحساس ودغدغة مشاعر الجماهير المستضعفة والمحتاجة.

1- Benedict Anderson, *Imagined Communities Reflections on the Origin and Spread of Nationalism*. VERS. London, Revised Ed 2006.

2- Hall. Stuart, "Culture, community, nation". *Journal Cultural Studies*, Vol 7, No 3. 1993.

توصلت الدراسة إلى الاستنتاجات التالية:

أ- أثرت أزمة الرسوم الكاريكاتورية عام 2005م في الاحتقان الاجتماعي والسياسي في الدنمرك. قاطعت الجالية المسلمة برفقة مثيلاتها من الدول الإسلامية، المنتجات الدنمركية، وألحقت ضرراً بالغاً باقتصاد البلد وصورته. إنّ هيمنة اليمين المتطرف في الدنمرك على النقاشات العمومية وفي إدارة الأزمة حينها ساهما معا في تطرف بعض أفراد الجالية المسلمة في الدنمرك. لذلك حاولت حكومة يسار الوسط التي تشكلت لاحقاً ترميم هذه الصورة بتعزيز مجموعة من القيم الأخلاقية والمبادئ لتوحيد الآراء وتقريب وجهات النظر المختلفة.

ب- إنّ المهاجر الناجح بالنسبة للدنمركي هو الذي "يرفض هويته الأصلية ليصبح دنمركياً"⁽¹⁾، بمعنى إنساناً غريباً ومتعلماً ومتحضراً. ورغم الجهد الذي بذلته حكومة "يسار الوسط" برئاسة هيلي ثورنين جشميدت (Helle Thorning-Schmidt)، إلا أنها ظلت تعمل في الإطار الذي حدده اليمين الدنمركي المتطرف، بدعوى أنّ الهوية الدنمركية متجانسة لا جدال حولها. وعلى المهاجرين أن يتأقلموا مع مقوماتها إن هم أرادوا العيش والنجاح في الدنمرك. لم تتمكن حكومة يسار الوسط من اقتراح بدائل جديدة لتفادي النقاشات الحادة حول نقاوة الهويات وطهرها.

ج- تعتقد الباحثة أنه من الممكن إعادة صياغة الهوية الدنمركية في المستقبل. لهذا، سيظل هذا الموضوع-إضافة إلى الأسئلة والقضايا الفرعية المرتبطة به- تحدياً مستمراً يترافق عن التعريفات التقليدية.

8- اعتمد الباحثون- في كتاب "اندماج اللاجئين في الدنمرك"⁽²⁾ - على عدد من المؤلفات النظرية التي تعنى بمسألة النفوذ أو السلطة التي تستدعي إما الاعتراف بها أو الخضوع لها وإما عدم الاعتراف بها والتمرد عليها.

1- Yanique A Anderson, *Terrorists Created? The Radicalization of Muslims in Denmark*. Senior Theses, Trinity College, Hartford, CT. 2015.

2- Anna.Michelsen, og Andet: *Integration af flygtninge i Danmark*, Roskilde Universitet, 2016.

إنَّ الغرض من إنجاز هذا الكتاب هو توضيح قضية اندماج اللاجئين في الدنمرك، والتحقق من الوظائف الأساسية القمينة بتيسير نجاحهم في حياتهم اليومية والعملية، ومعالجة المشاكل التي تعترض سبيلهم وتحول دون اندماجهم بالتركيز على ثلاثة مفاهيم، وهي: "العمل واللغة والاعتراف"، علاوة على الاعتراف المرتبط بالانصهار. اعتمدوا البيانات والمعطيات الملموسة، وأجروا مقابلات مع كلٍّ من:

- 1- محمد إيبو (Mohammed Ebo)، لاجئ سوري في الدنمرك.
 - 2- ماريون تشين (Marion Chen)، لاجئة صينية في الدنمرك.
 - 3- هولجر كيركهولم نيلسن (Holger Kirkholm Nielsen) سياسي دانمركي، عضو في البرلمان الدنمركي، ووزير خارجية سابق، كان رئيس "حزب الشعب الدنمركي"، والناطق باسم سياسة الاندماج.
 - 4- جان تجيسين (Jan Tijicin) موظف مسؤول عن الاندماج في بلدية مدينة فريديريكسوند في الدنمرك.
- كان لدى الباحثين في البداية- انطباع مفاده أنَّ نسبة الاندماج في الدنمرك ضعيفة بشكل عام، وكانوا يعتقدون أنَّ الخطاب الإعلامي لعب دوراً حاسماً في تكوين هذا الرأي. وبعد الفراغ من تحليل المعطيات المتوفرة لديهم خلصوا إلى ما يلي مستأنسين بالسؤالين الآتيين: ما العوامل المؤثرة في اندماج اللاجئين بالدنمرك؟ هل تلعب اللغة والعمل والاعتراف والاحترام دوراً في تيسير عملية الاندماج؟

أ. أكد المستجوبون أهمية العناصر الثلاثة في الاندماج، لكن كل واحد منهم وضع في المقام الأول العنصر الذي يراه مناسباً. وضع اللاجئ السوري اللغة في المقام الأول، في حين ركزت اللاجئة الصينية على الاعتراف، أما السياسي الدنمركي والموظف في البلدية فقد أثرا أن يكون العمل واللغة وسيلتين أساسيتين لنجاح الاندماج في الدنمرك.

ب. تؤثر عوامل متعددة -منها العرق، والنوع، والدين، والجوانب الثقافية، وال نفسية، وصدمات الحروب- في موضوع الاندماج. تأكد الباحثون بإجراء المقابلات أن العناصر الثلاثة أساسية لتحقيق الاندماج المنشود. ويرون - في الوقت نفسه- أنَّ العمل

يسعف اللاجئ على تحسين لغته، ونسج العلاقات الاجتماعية مع غيره، وتطوير أدائه؛ مما يجعله يحظى بالاعتراف والقبول في المجتمع الدنمركي.

ج. إنَّ اكتساب المعرفة اللغوية أسهل من إيجاد عمل بالنسبة إلى اللاجئين في الدنمرك. ظهر لديهم -في سياق تحديد العوامل الأساسية لتحقيق الاندماج الناجح، إضافة إلى اللغة، والعمل، والاعتراف- أنَّ عنصري الدين والثقافة عاملان مهمَّان أيضاً، مع التركيز على الثقافة أكثر، لأنَّ اللاجئ سيندمج في ثقافة أخرى جديدة ومختلفة. لكن وسائل الإعلام تركز بصورة خاصة على موضوع الدين باعتباره معيقاً للاندماج. استشهد الباحثون بنتائج مؤتمر التكامل الذي نظمه مركز أبحاث الشباب في الدنمرك الذي عقد عام 2010 في كوبنهاغن. صدرت عن المؤتمر وثيقة تدين الإسلام بعنوان: "أنا ولدت في الدنمرك" (I Danmark er jegfødt). اعتقد المؤتمر أنَّ الإسلام يحول دون اندماج الشباب في البيئة الجديدة لتشبُّههم بتقاليدهم وشعائهم الدينية، وميل ثلثة منهم إلى التطرف.

د. استنتج الباحثون أنَّ السياسة الرسمية- على خلاف ما ينص عليه الدستور- تعامل المهاجرين واللاجئين بميز وعنصرية، ما يقتضي مراعاة معايير جديدة في الاندماج؛ وفي مقدمتها الدين والثقافة.

توصلت الدراسة إلى أنَّ ستة أحزاب دنمركية من أصل عشرة أحزاب يعتقدون أنَّ أفضل شكل للاندماج الناجح للاجئين هي سياسة الاندماج التعددي (Pluralistisk integration)؛ وهي كما يلي:

"الحزب البديل" (Alternativet parti)

"حزب الشعب المحافظ" (Det Konservative Folkeparti)

"حزب الوحدة" (Enhedslisten parti)

"حزب اليسار الراديكالي" (Radikale Venstre parti)

"حزب الشعب الاشتراكي" (Socialistisk Folkeparti parti)

"الحزب الديمقراطي الاجتماعي" (Socialdemokratiet parti)

وهناك ثلاثة أحزاب، تتبني سياسة "الاستيعاب" ⁽¹⁾ (Assimilation)، وهي:

"حزب الشعب الدنمركي" (Dansk Folkeparti)

"حزب المدنية الجديدة" (Ny Borgerlig parti)

"حزب اليسار" (Venstre parti)

يرفع حزب واحد شعار سياسة "الميز" (Segregation)، ويدرجها في برامجها السياسية، وهو "حزب الشعب".

يتضح أنّ سياسة الاندماج بصفة عامة لا تحظى بالإجماع نظرًا لتضارب وجهات النظر حولها، وعدم وضوح الرؤية في تطبيقها وتنزيلها حتى يشعر المندمجون بالكرامة، وطيب العيش، والمواطنة.

وهذا يشير إلى التباين في وجهات النظر المختلفة، وعدم الوضوح في تيسير مطلب الاندماج الناجح في المجتمع الدنمركي.

9- يشتمل كتاب "صورة الأنا والآخر في السرد" لمحمد الداهي ⁽²⁾ على متن سردي موسع من أعمال روائية عربية وغربية حرصًا على فهم كيف تنظر الذات إلى نفسها (الصورة الذاتية) أو إلى الآخر (الصورة الغريبة)، وتطلعًا إلى استجلاء الندوب والجراح التي ما فتئت تعترى السرد، وتعيق فتح الحوار البناء بين المركز (الغرب) والمحيط (المستعمرات سابقًا) لتفادي "نزاعات الذاكرة وفخاها"، وتصحيح كثير من الصورة المغلوطة التي تتناقلها الشعوب عن بعضها البعض إمّا لبعث أحقاد ماضية وإمّا لتصفية حسابات سياسية وإيديولوجية.

يندرج الكتاب في إطار الصوريات من المنظور السيميائي مستوعبًا ما تحمله الأنا (الثقافة النازرة) من تمثيلات حيال الآخر (الثقافة المنظور إليها) بالنظر إلى اختلاف أنساقهما الثقافية والاجتماعية، وتباين مواقفهما من الوجود، وتضارب مصالحهما. ترمي الدراسة إلى

1- ورد ثلاثة مفاهيم تحتاج إلى التوضيح، وهي: الاندماج (يندمج المهاجر في البيئة الجديدة محافظًا على مقومات هويته وثقافته الأصلية) والاستيعاب (يندمج في البيئة الجديدة مستوعبًا عناصرها الدينامية (الهوية المتحركة)) والانصهار (يدوب في البيئة الجديدة متخليًا عن ثقافته الأصلية).

2- محمد الداهي، صورة الأنا والآخر في السرد، دار النشر رؤية، القاهرة، ط1، 2013.

تضميد الجراح الرمزية والجسدية التي خلفتها "التركة" الكولونيالية بحثاً عن أفق جديد للحوار والتعاون بين الطرفين، وتوفير شروط السلم المستديم، وتعزيز القيم الإنسانية النبيلة. أثبت محمد الداوي-في هذا الصدد- أنَّ السرد يؤدي دوراً هاماً في تشخيص العوائق التي تحول دون تقارب الشعوب وتفاهمها وتعاونها، وفي اقتراح أشكال حياة للتعايش المشترك، وفي توطيد "المصالحة التاريخية" لطَيِّ صفحة الماضي الأليم واستشراف المستقبل الزاهر.

لا تتضح صورة الآخر إلا من خلال طبيعة العلاقة التي تنسجها الأنا معه بطريقة إيجابية أو سلبية⁽¹⁾، وهذا ما يقتضي تصحيح الصور المروجة وتحسينها باتخاذ مواقف سياسية جريئة لحفز الشعوب على التعاون والتآزر فيما بينها. وفي هذا المنحى يرى محمد الداوي أنَّ اللغة تعدُّ أكثر أذى وضرراً من السيف لأنها تتضمن عبارات جارحة (ما يسعَى بالاعتداء اللفظي) تسبب ألماً مُبرِّحاً في طوية الإنسان. يمكن لجرح الجسد أن يلتئم ويبرأ في حين لا يعالج الجرح النفسي إلا باعتذار الجاني للضحية وتعهد به بعدم الإساءة له من جديد. من بين النتائج التي خلص إليها محمد الداوي- في كتابه- نذكر ما يلي:

أ. تحتاج الجراح الجسدية والرمزية إلى جهد ثقافي وسياسي لطمس ندوبها وآثارها. وفي هذا الصدد، ينبغي أن تتوطد "المصالحة التاريخية" بين الأطراف المتنازعة حرصاً على التوافق والتفاهم لتنسيق المصالح المشتركة، وترسيخ القيم النبيلة في عادات البشر وسلوكياتهم.

ب. وجب الاهتمام بظاهرة "الهشاشة اللغوية" المستشرية في خطاباتنا للاستغناء عن كثير من الصفات الصادمة التي لا تحط من شأن الآخر فحسب، بل تجرحه وتسيء إليه.

ج. إنَّ الكاتب وهو ينتقد الواقع يعمل على اقتراح بدائل جديدة للعيش المشترك (المواطن التخيلية) في تناغم وتناسق مع ما تراهن عليه الأجيال الصاعدة من قيم جديدة بإثارة نقاش حول مستقبل البشرية في العالم الافتراضي (المواطنة الافتراضية).

1- المصدر نفسه، ص.7.

ثالثاً- المنهج التلفظي

لعبت "نظرية التلفظ" دوراً بارزاً في تطور الدرس اللساني الحديث، بتمييزها بين اللسان والكلام أو بين ما يتعلق بالبعد الاجتماعي للغة وما يهم بعدها الفردي. أولى إميل بنفينيست- في هذا الصدد- اهتماماً بالغاً للكلام (لسانيات الكلام)، وأعاد الاعتبار إليه بعدما كان طرفاً ثانوياً إن لم نُقلْ مهماً عند علماء اللغة المتأثرين بفرديناند دو سوسور. أثبت إميل بنفينيست أنَّ اللغة- بوصفها نظاماً مُجرّداً- لا تتحوّل إلى كلام حقيقي أو إلى خطاب ملموس إلا بواسطة عملية التلفظ (الكلام). ومن ثم، تُعتبر عملية التلفظ عمليةً فرديةً في الخطاب، أو هي "الاستعمال الفردي للغة في كلّ الظروف والحالات"⁽¹⁾.

يميّز إميل بنفينيست- في هذا السياق- الملفوظَ عن الخطاب: إنَّ الملفوظ "جزء من الخطاب صادر عن الشخص"⁽²⁾، بينما الخطاب هو "مجموع الملفوظات المنتجة لتحقيق هدف محدّد وفق استراتيجية خاصة"⁽³⁾ أو بعبارة أخرى هو "سلسلة لغوية منطوقة أو مكتوبة تشكّل وحدة تواصلية"⁽⁴⁾. في حين يتجسد الكلام في أثناء التلفظ التي تتميز بإخراج اللغة من حيز التجريد (القوة) إلى حيز التمثيل- الفعل)، وهو "مجموع أحداث فردية بإزاء اللغة التي تشكل نموذجاً جمعياً أو شيئاً اصطناعياً"⁽⁵⁾. فالكلام -عكس اللسان- ليس جماعاً من القواعد المجردة المتعارف عليها، بل هو الاستعمال الفردي للسان قصد التواصل مع الآخرين. ولكل شخص طريقته وأسلوبه ونبرته في أداء الكلام.

ينبغي الفعل الكلامي -بحسب إميل بنفينيست- على نشاطين لغويين، هما: التلفظ الذي يُعنى به الاستعمال الفردي للسان في مقامات مختلفة والملفوظ الذي تتعمق بموجبه المسافة بين المتلفظ وكلامه (تنمحي آثاره التلفظية). يتجسد التلفظ من خلال القرائن

1- Emile Benveniste, *problèmes de linguistique générale*, T 2, Gallimard, paris 1974., p.80.

2- ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى: من النحو المقارن إلى الدرائعية، ترجمة محمد الراضي. المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى 2012م، ص.414.

3- المرجع نفسه، ص.407.

4- أوزوالد ديكر و جان ماري شايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة مندر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، الطبعة الثانية 2007م، ص.533.

5- Emile Benveniste, *problèmes de linguistique générale*, Op.cit., p.252.

الثلاث (أنا/ هنا/ الآن)⁽¹⁾، والآثار التلفظية (أصناف النعوت، الأفعال الذاتية، الجهات)، وأفعال الكلام الإنجازية (الوعد، التوكيد، التعبير، التصريح، الإدانة، الاعتذار) والأساليب الإنشائية (الأمر، والنهي، والتعجب، والنفي)، والمُعَيِّنَات الإشارية والزمانية والفضائية).

يستوعب الإطار التلفظي -عند إميل بنفينيست- ما يلي:

- المشاركون في الخطاب (من يتلفظ به ومن يتلقاه).
- سياق عملية التخاطب (الظروف المحيطة بالعملية التخاطبية).
- الظروف العامة لإنتاج الملفوظ وتلقيه: طبيعة القناة، المحتوى السوسيو-ثقافي والتاريخي، قيود العالم التخاطبي⁽²⁾.

يميز أنطوان كيلولي بين المُتَكَلِّم والمُتَلَفِّظ، فالمُتَكَلِّم هو كائن ملموس يؤدي الكلام في مقام معين، أما المتلفظ فهو كائن مُجَرَّد يبنيه أو يتخيله المُتَكَلِّم لينوب عنه أو غيره في التلفظ والتحدث. ومن هنا، جاء تمييز إميل بنفينيست بين مُتَلَفِّظَيْن: مُتَلَفِّظ قِصَّة ومُتَلَفِّظ خطاب⁽³⁾. يُوجِه المُتَلَفِّظ خطابَه إلى مُتَلَفِّظَيْن له: المُتَلَفِّظ له (المؤيد)، والمُتَلَفِّظ له المضاد (المعارض)⁽⁴⁾، وهو ما يجعل المتلفظ له يوافق على ما يعرض عليه من مقترحات مخيرا أو مكرها وإما يرفضها ويفندها صراحة.

اعتمدتُ منهجَ التلفظ المُدمَج بالتوليف بين ما يلي:

- أ. المكاسب التلفظية التي استثمرتها كاترين- كبريات أوركيوني (أصناف النعوت والأفعال الذاتية والمُعَيِّنَات).
- ب. المؤشرات التداولية ذات الصلة بمقاصد المتلفظ وجهاته وأفعاله الكلامية واستراتيجياته الخطابية.

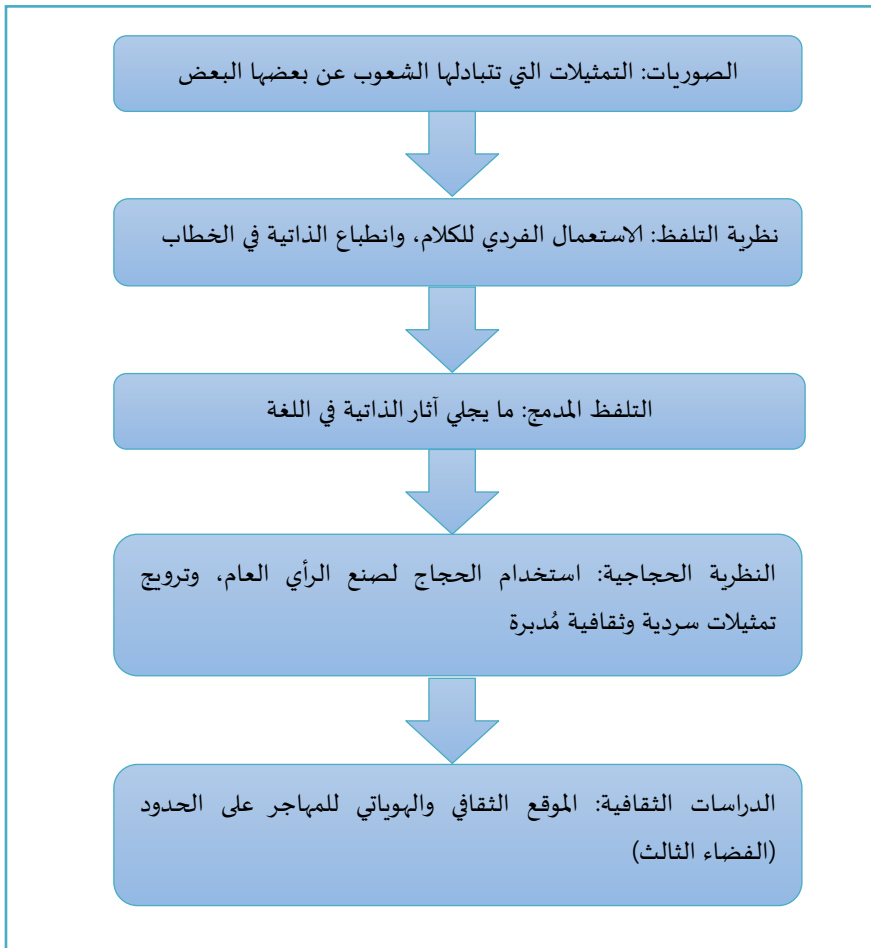
2- انظر أيضا الخطاطة السميائية المتعلقة بالتلفظ في مرحلة التخطيب أو التلفظ بوصفه فعلا سميائيا: محمد الداهي، سميائية الكلام الروائي، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2006م، ص. 8.

3- المرجع نفسه، ص. 170 و171.

4- المرجع نفسه، ص. 105.

ج. العُدَّة الحجاجية التي يستخدمها المتلفظ لتأطير معطيات بعينها، والتأثير على المخاطبين، ومُحاجَّة الخصوم بجدوى تمثيلاته، وصواب آرائه.

د- الدراسات الثقافية التي اعتنت بمواقع المهاجر أو المنفي على الحدود بين ثقافتي طرفين مختلفين (الدمرك والأقطار الإسلامية) "للتفاوض" حفاظًا على مقومات هويته الأصلية، وتفاديًا للهوية القاتلة، وتعزيزًا للهوية المتحركة التي تتغذى بأفكار وعناصر جديدة. أخص منهجية الأطروحة في الترسمة الآتية:



رابعاً- عينة البحث

إنَّ الصحف اليومية والأسبوعية المطبوعة جميعها التي تصدر في الدنمرك هي صحف تعبر عن شرائح واسعة من المجتمع الدنمركي، وتنقسم إلى صحف اليمين، وصحف الوسط، وصحف يسار الوسط. إنَّ الصحيفة اليسارية الحقيقية الوحيدة التي كانت تصدر في الدنمرك باسم الحزب الشيوعي الدنمركي، هي صحيفة "العامل" (Arbejderen) التي توقفت عن الصدور بصيغتها الورقية ابتداء من أول مايو/حزيران 2019م، ثم تحولت إلى الصيغة الإلكترونية.

اخترتُ أن تكون عينة البحث مؤلفة من صحيفتين تمثلان "يسار الوسط" و"يمين الوسط": صحيفة "السياسة" (Politiken) التي تمثل "يسار الوسط"، وصحيفة "يولاند بوستن" Jyllandsposten التي تمثل "يمين الوسط". وهما صحيفتان تعنيتان بتغطيتهما للأخبار، ولديهما قاعدة من القراء الذين يتابعون ما تنشرانه ويدلون بأرائهم على الطريقة البريطانية. وهما من بين الصحف الأكثر انتشاراً ومبيعاً في الدنمرك. أظهرت الدراسة- التي أنجزها "معهد الأبحاث الدنمركي"، و"معهد العلوم السياسية" في جامعة كوبنهاغن عام 2011، وشملت 7000 ناخب، - أنَّ ميول الدنمركيين إلى إحدى الكتلتين الحزبيتين الرئيسيتين في البرلمان الدنمركي يتحكم فيها "الخط التحريري" للصحيفة التي يداومون قراءتها⁽¹⁾.

إنَّ ناخبي "الكتلة الزرقاء" التي تضم "أحزاب يمين الوسط"⁽²⁾، يتابعون بانتظام صحف "بي تي" وألكسترا بلاد" و"بولانديس بوستن"، أما ناخبو "الكتلة الحمراء" التي تضم "أحزاب يسار الوسط"⁽³⁾ فإنهم يقرؤون بانتظام الصحف الآتية: السياسة (Politiken)، الأخبار (Information)، متروكسبريس (MetroXpress).

1- Bent Winther, "Læserne vælger avis efter partifarve", *BERLINGSKE*, 30.05.2011. <https://cutt.us/FKnlT> (Retrieved 2.12.2019).

2 - Venstre parti (حزب اليسار), Dansk Folkeparti (حزب الشعب الدنمركي), Det Konservative Folkeparti (حزب (حزب المدنية الجديدة) Nye borgerlige parti (حزب التحالف الليبرالي) Liberal Alliance parti (الشعب المحافظ

3 - Socialdemokratiet (الحزب الديمقراطي الاجتماعي), Radikale Venstre (الحزب اليسار الراديكالي), Socialistisk Folkeparti (حزب الوحدة), Enhedslisten (حزب الشعب الاشتراكي).

إنَّ الصّحيفتين اللتين اخترتهما تمثلان شرائح واسعة من المجتمع الدنمركي، ومن كلا الاتجاهين السياسيين ("يمين الوسط" و"يسار الوسط") اللذين يستوعبان كتلة انتخابية كبيرة. تنأى الصّحيفتان عن الخوض في المواقف المتشدّدة التي يروج لها اليسار الشيوعي واليمين المتطرف.

1- صحيفة السياسة (Politiken):

تأسست الصحيفة في 1 أكتوبر/تشرين أول عام 1884م. وهي تصدر عن شركة النشر "بيت تحرير السياسة"⁽¹⁾، يقع مكتبها الرئيس في مدينة كوبنهاغن، وتصدر باللغة الدنمركية. رئيس تحريرها هو كرستيان جنسن (Christian Jensen). لها موقع على شبكة الإنترنت: <https://politiken.dk>

أسس الصحيفة فيجو هوروب (Viggo Hørup) وإدوارد برانديس (Edvard Brandes)، وهما المحرران السابقان في صحيفة "الصباح" (Morgenbladet) التي صدرت عام 1873م، كأول صحيفة لـ"الجناح اليساري الدنمركي" في العاصمة كوبنهاغن، الذي كان تابعاً لـ"لجناح اليساري الأوروبي" حينذاك، وفقاً لموقع "تاريخ الدنمرك"⁽²⁾. لكنَّ المحررين- اللذين كانت لهما مواقف يسارية راديكالية من الخط التحريري للصحيفة- انسحبا ثم قررا تأسيس صحيفة "السياسة" في عام 1885م. بعد عام واحد من تأسيسها، تمكنت الصحيفة من توزيع 6500 نسخة يومياً. وزعت-عام 1901م- 23100 نسخة يومياً. وكانت الصحيفة توزع -في العام 2005م- 127800 نسخة يومياً. وفي العام 2019م، توزع الصحيفة يومياً 254 ألف نسخة، يصل الرقم إلى 335 ألف نسخة يوم الأحد، بحسب الأرقام التي نشرتها مجلة "المدرسة العليا للصحافة" في الدنمرك⁽³⁾.

1- "JP/Politikens HusRediger"

2- Jette D. Søllinge, "Politiken avis", *Den Store Danske*, (<https://cutt.us/C3E6w>). (Retrieved 4.11.2019).

3- Stig Dahlgren Atzen, "Avisernes læsertal: Politiken oplever ikke samme nedgang som andre aviser", *illbunker.dk*, 2019. <https://cutt.us/EexHN>, (Retrieved 4.11.2019).

استقال فيجو هوروب من الصحيفة عام 1901م، وأحدث رئيس تحرير الصحيفة الجديد هنريك كافلينج (Henrik Cavling)- الذي كان يعمل محرراً في الصحيفة نفسها- تغييراً على محتوى الصحيفة وشكلها عام 1905م، وباتت أول صحيفة دنمركية شاملة. أصبحت الصحيفة صوت التيار "اليساري الدنمركي"، وارتفعت نسبة المبيعات والإعلانات، لكن انخفضت نسبة المبيعات خلال الحرب العالمية الأولى، ولم تتحسن إلا بعد عام 1920م. أصبحت صحيفة "السياسة" (Politiken)- في فترة ما بين الحربين العالميتين- المنتدى الرائد في تناول القضايا السياسية والثقافية بصور الملحق الثقافي الأسبوعي. وبعد احتلال الدنمرك من قبل ألمانيا النازية في 9 أبريل 1940 تراجعت مبيعات الصحيفة كثيراً، ثم تحولت-في العام 1970م- إلى صحيفة يسارية راديكالية.

كانت صحيفة "السياسة"- خلال الفترة ما بين 1993 إلى 2011- واحدة من أهم الصحف الدنمركية الصباحية الأساسية برفقة صحيفتين أخريين، وهما: بيرلينجسكي تيديندي (Berlingske Tidende) وبولاندس بوستن (Jyllands-Posten). منذ أواخر التسعينيات من القرن الماضي، شهدت صحيفة "السياسة" انخفاضاً ملحوظاً في مبيعاتها أسوة بالصحف اليومية الدنمركية الأخرى بسبب تزايد الصحف المجانية، ونشر الأخبار والمستجدات على الإنترنت. كانت الصحيفة تصدر ملحقاً أسبوعياً يوم الجمعة، لكنه توقف في العام 2007. للصحيفة خط تحريري ليبرالي اجتماعي يميل إلى "تيار يسار الوسط". ولذا فهي تشغل موقعاً في المعارضة لنقد السياسات الحكومية المتبعة أياً كان لونها واتجاهها السياسي العام.

2 - صحيفة يولاند بوستن (Jyllandsposten):

تأسست صحيفة يولاند بوستن عام 1871م، وتصدر عن شركة النشر "بيت السياسة" (JP/Politikens Hus). ورئيس تحريرها هو يعقوب نيبرو (Jacob Nybroe). تصدر باللغة الدنمركية صباح كل يوم، ومقرها الرئيس في مدينة "فيبي" القريبة من مدينة "أرهوس"، لكن لديها مكاتب التحرير الرئيسة في كوبنهاغن. فيما يلي رابطها على شبكة الإنترنت: www.jyllands-posten.dk

تُصنف الصحيفة بأنها صحيفة شعبية شاملة، تمثل التيار اليميني المحافظ. اشتهرت عالميًا بنشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول (صلى الله عليه وسلم) في عام 2005. دشنت النشر الإلكتروني في عام 1995. منذ بداية عام 2006م، بدأت الصحيفة تتحول من صحيفة شعبية إلى صحيفة شاملة تحتوي على أركان متنوعة (سياسة، اقتصاد، مجتمع، تحقيقات، مقالات رأي، ثقافة، سيارات، رياضة، سفر، إسكان)، وتصدر ملحقًا يوم الأحد، وملحقًا خاصًا بمنطقة شرق جزيرة يولاند باسم جي بي آر هوس (JP Aarhus)، وصحيفة مجانية آر هوس 24 ساعة (Timer Aarhus 24) اعتبارًا من 2005، لكنها توقفت عن الصدور عام 2013.

للصحيفة تاريخ في دعم الأفكار النازية والفاشية. في العشرينيات والثلاثينيات من الألفية الثانية تعاطفت الصحيفة صراحة مع الفاشية في إيطاليا ودعمت النازية في ألمانيا. حين تولى بينيتو موسوليني رئاسة الحكومة الائتلافية الفاشية في إيطاليا عام 1922م، كتبت الصحيفة: "إنَّ موسوليني الرجل القوي الذي يحتاجه الشعب الإيطالي المضلل"⁽¹⁾. وصف رئيس تحرير صحيفة "يولاند بوستن" اليهود -خلال مقابلة نشرتها الصحيفة، بتاريخ 15 نوفمبر/تشرين الثاني عام 1938- في ألمانيا بأنهم: "أسماك قرش تجارية، مضاربون في الموارد الإباحية، على المرء أن يعترف بحق ألمانيا في إجلاء اليهود من أراضيها"⁽²⁾.

وكان للصحيفة أيضًا مواقف معادية للاتحاد السوفييتي سابقًا وللحركة الشيوعية العالمية. وبعد الاحتلال الألماني للندمرك في 9 أبريل/نيسان عام 1940 توقفت الصحيفة عن الصدور بسبب تقنين استخدام الورق. لم تصدر عن الصحيفة أية تقارير أو تحقيقات أو مقالات تسلط الضوء على قضايا الاضطهاد في العالم، أو على سياسات التمييز العنصري التي تمارسها بعض البلدان في حق الأقليات أو الشعوب المستضعفة. أصدرت سنة 1996- في الذكرى 125 لتأسيس الصحيفة- كتابًا موسومًا بـ"إذا كنت تريد أن تعرف أكثر"، للكاتب

1- Birthe Pedersen, "Da danske aviser gav diktatorer medvind", *kristeligt dagblad* 19.10.2018, <https://cutt.us/XiVKI>. (Retrieved 4.11.2019)

2- Dan Andersen, "Et historisk perspektiv". *Jyllands-Posten dk*, 15.11-1938, <https://cutt.us/Klrwz>. (Retrieved 4.11.2019).

الدمركي جيرهارد إريكسن (Gerhardt Eriksen). أثبت فيه القول الآتي: "لم يكن لها موقف نقدي من الأنظمة الديكتاتورية في شرق أوروبا أو حول نظام التمييز العنصري في جنوب أفريقيا"⁽¹⁾.

خامساً- المسلمون في الدنمرك

فيما يتعلق بالوجود الإسلامي والعربي في الدنمرك⁽²⁾، فإنه يعود إلى نهاية القرن التاسع عشر. جاء عصرئذ مئات الشباب من دول عربية متعددة إلى الدنمرك للدراسة. تغير هذا الوضع مع انتهاء الحرب العالمية الثانية؛ إذ تدفق الآلاف من العمال من تركيا وباكستان، ومن دول المغرب العربي لمساعدة الدنمركيين على إعادة إعمار الدنمرك وبناءها من جديد، والتحقت بهم عائلاتهم في أواسط الخمسينيات وبداية الستينيات من الألفية الثانية. توافدت إلى الدنمرك تبعاً موجات الهجرة بسبب الحروب التي وقعت في عدد من الدول العربية والإسلامية. هاجر الآلاف من اللبنانيين والفلسطينيين المقيمين في لبنان -خلال الحرب الأهلية اللبنانية في أواسط السبعينيات من الألفية الثانية- إلى الدنمرك طلباً للحماية واللجوء السياسي، وتطلعا إلى إيجاد فرص الشغل.

إنَّ المسلمين والعرب المقيمين في الدنمرك ليسوا مجموعة واحدة متجانسة، بل هم مختلفون من حيث أصولهم الجغرافية وتركيبهم العمرية وتحصيلهم التعليمي وتكوينهم المهني، وكذلك من حيث المدة التي قضوها أو مافتئوا يقضونها في الدنمرك. بالرغم من أنَّ الجالية العربية كانت -في معظمها- متماسكة متضامنة، إلا أنَّ الأحداث المتتالية التي وقعت في العالمين الإسلامي والعربي، والخلافات العربية-العربية انعكست بصورة مباشرة عليهم، وتسببت في تشتتهم، نتيجة تفاعلهم مع الأحداث الجارية في بلدانهم الأصلية أو بسبب الصراعات الطائفية أو المذهبية التي تفاقمت في العقود الأخيرة.

1- Gerhardt Eriksen, *Hvis De vil vide mere*, Morgenavisen Jyllands-Posten, København, 1.ud, 1996, p.529.

2- اعتمدت أساساً على المرجع الآتي:

Garbi Schmidt, "Muslimer og muslimsk praksis i København 1863-1915 På sporet af en forsvundet historie", *Scandinavian Journal of Islamic Studies*, Vol.15, No.1, 2021, pp.29-33.

على الرغم من توقف استقدام المهاجرين بصورة رسمية إلى الدانمرك منذ الأزمة الاقتصادية العالمية المترتبة على ارتفاع أسعار النفط، إلا أن الهجرة نحو الدانمرك لم تتوقف تماماً، بل تواصلت بوسائل أخرى مختلفة؛ ما أدى إلى تزايد عدد المهاجرين السريين الذين يعملون في ظروف سيئة بعيداً عن أعين الأجهزة الأمنية التي تطاردتهم، كما ظهرت تجمعات "الغيتو" التي تكس فيها المهاجرون للتواصل فيما بينهم، وممارسة شعائهم الدينية والاجتماعية.

لا توجد إحصاءات رسمية لعدد المسلمين أو العرب في الدانمرك بسبب عدم قانونية تسجيل الأفراد بناء على دينهم أو عرقهم أو لونهم. لكن تناهز - بحسب عالم الدين والأستاذ في قسم الدراسات الثقافية الإقليمية في جامعة كوبنهاغن "براين أرلي جاكوبسن" (Brian Arly Jacobsen) - 320,000 مسلم في الدانمرك مع بداية عام 2019⁽¹⁾؛ أي ما يشكل نسبة 5,5% من العدد الإجمالي لسكان الدانمرك. أماطت "هيئة الإحصاء الدانمركية" - التي لا تسمح بالوصول إلى البيانات أو المستندات الخاصة بالمهاجرين - اللثام عن أعداد المسلمين والعرب المقيمين في الدانمرك. وهو ما استفاد منه براين أرلي جاكوبسن لإثبات ما يلي⁽²⁾:

- في 1 يناير 2016، كان هناك 284.000 مسلم في الدانمرك.
- في 1 يناير 2017، كان هناك 300.000 مسلم في الدانمرك.
- في 1 يناير 2018، كان هناك 308.000 مسلم في الدانمرك.
- في 1 يناير 2019، كان هناك 320.000 مسلم في الدانمرك.

يضيف أن "النسبة الكبيرة لتزايد عدد المسلمين عام 2016، ترجع أساساً إلى التدفقات الأخيرة للاجئين⁽³⁾، ويقر بصعوبة ضبط الأرقام الحقيقية لأعداد العرب والمسلمين المقيمين في الدانمرك. اشتغل فقط على عينة سكانية من الجيل الثالث لأربع دول هي الأقدم وجوداً في الدانمرك؛ وهي: المغرب وباكستان وتركيا ويوغوسلافيا سابقاً..

1- Kristensen. Nikolaj, "Hvor mange muslimer er der i Danmark?" *Tjekdet.mm.dk*, 24.4.2020.p.21, <https://cutt.us/Ax2Ke>. (Retrieved 2.5.2020)

2- Clark Andrew, *Economic Satisfaction and Income Rank in Small Neighbourhoods*, IZA - Institute of Labor Economics, University of Bonn, 1.edi, 2008, p.523.

3- *Ibid.*, p.22.

يرى جاكبسون أنَّ وسائل الإعلام الدنمركية تبالغ في تقدير عدد المسلمين المقيمين في الدنمرك لأغراض سياسية ودعائية وانتخابية، وذكر أنَّ معهد الأبحاث البريطاني "إيسوس موري" قام باستطلاع رأي عدد من المسلمين في الدنمرك عام 2016، واستنتج أنَّ "الدنمركيين يبالغون في تقدير أعداد المسلمين في الدنمرك، حيث يقوم المستطلعون بتضخيم أعداد المسلمين بثلاثة أضعاف من التقدير الذي التي توصل إليه مركز الأبحاث الأمريكي "مركز بيو للأبحاث" (Pew Research Center).

تشير دراسة أجراها "معهد الأبحاث الدنمركي" (Danmarks Statistik) بالتعاون مع "وزارة الخارجية والاندماج الدنمركية"⁽¹⁾ أنَّ عدد الدنمركيين والمهاجرين بلغ- في عام 2019- 5748769 نسمة؛ من بينهم 741572 مهاجراً. تقدر نسبة الدنمركيين بـ 87,1%، ونسبة المهاجرين بـ 12,9% من العدد الإجمالي للسكان.

من المتوقع- بحسب الدراسة ذاتها- أنَّ يناهز السكان الدنمركيون 6482769 نسمةً في عام 2060؛ من بينهم 1341544 مهاجراً. وعليه سيقدر عدد الدنمركيين بـ 5168225 نسمة؛ أي بنسبة 79,7%، فيما يشكل المهاجرون نسبة 20,3% من العدد الإجمالي للسكان.

أصدرت "دائرة الهجرة الدانمركية" التابعة إلى لـ "وزارة الاندماج" 114 قراراً نافذاً- خلال السنوات الماضية- بخصوص المهاجرين واللاجئين في الدنمرك، تتعلق بتقليص الخدمات المقدمة لهم، والتشديد في إجراءات جمع شمل المتزوجين من خارج الدنمرك، والإسراع في تسفير من انتهت تصاريح إقامتهم أو من لم تقبل طلبات حصولهم على حق اللجوء، واتخاذ تدابير صارمة في منح الإقامة الدائمة أو الجنسية الدنمركية، ومعاقبة من يخالف القوانين الدنمركية.

إنَّ سياسة الاندماج- التي اتبعتها الدنمرك ورصدت لها مبالغ ضخمة- أثبتت فشلها، ولم تحقق نجاحاً إلا نسبياً بالنسبة للذين قدموا إلى الدنمرك في حادثة سنهم أو ولدوا فيها. وإن استطاع الشباب المسلم أن يندمج في المنظومة التعليمية، فهم ما فتئوا يعانون من الاندماج

1- Udlændinge-og Integrationsministeriet (الدنمركية) (وزارة الهجرة والاندماج الدنمركية) "Hvor mange og hvem er indvandrere i Danmark", *integrationsbarometer.dk*, 1.1.2020, <https://cutt.us/lekqi>. (Retrieved 6.1.2020).

في الحياة بسبب قلة فرص الشغل المتاحة لهم، والانحراف الاجتماعي، والتعرض للترحيل القسري من التراب الدنمركي.

تساهم عينة من الصحف الدانمركية في تصعيد حملة الميز ضد المهاجرين، باستغلال الأخطاء التي يرتكبها بعضهم، وتأليب الرأي العام الدنمركي ضدهم، وبلورة موقف مناهض لهم، وتنبيه المجمعين السياسي والمدني من خطر "الغزو الإسلامي" للدنمرك.

خاتمة

سعت- في الفصل النظري- إلى التركيز على ما يلي:

أ. اعتمدت عينة من الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع المطروق لأخذ فكرة عن طريقتها ومنهجيتها في رؤية الآخر، وللتموضع ضمنها سعيًا إلى استيعاب كيف ينظر الدنمركي إلى ذاته وإلى الآخر المسلم.

ب. سأستخدم المنهج "التلفظي المدمج" ليسعفني على بيان تمثيلات المسلم " من خلال "الآثار التلفظية" التي يستخدمها "المتحدث الدنمركي"؛ والانفتاح على مقاربات أخرى (التداولية، نظرية الحجاج، الدراسات الثقافية) تبين طريقته كذلك في استثمار الاستراتيجية الخطابية المناسبة لترويج تمثيلات معينة عن المسلم (الصور النمطية) أو لتقديم خطاب جديد عنه (التمثيلات المضادة).

ج. حصلت منذ عقود تغيرات ديموغرافية هامة في الدنمرك أثرت في التركيبة السكانية، وأدت إلى بروز جماعات ثقافية ولغوية، وأفضت إلى توترات ونزاعات في الفضاء الثالث (فضاء البين بين) بسبب تباين المواقف حول حرية التعبد والتهجين الثقافي والعرق وأساليب الحياة. وبما أن عدد المسلمين في تصاعد مطرد فهو بقدر ما يثير نقاشًا عمومياً مفيداً يزعج الدنمركيين جلهم توجسًا من أسلمة بلدهم.

الفصل الثاني:
تمثيلات "المتحدث الدنمركي"
في صحيفة يولاندس بوستن
(Jyllands-posten)

مقدمة

اعتمدنا في تحليل صورة المسلم-من خلال صحيفة يولاند بوستن- على مفاهيم منهجية "التلفظ المُدمَج"، حرصًا على جرد الآثار التلفظية الدالة على "المتحدث الدنمركي" في تعامله-خصوصًا- مع المخاطب الآخر، ألا وهو المسلم الذي حتمت عليه ظروف العيش والهجرة أن يبحث- في الدنمرك- عن موطن قدم وموقع ثقافي مناسبين للشعور كغيره بالمواطنة، والتمتع بطيب العيش وكرامته، والإسهام في التعددية الثقافية. لا تخلو هذه الحالة البيئية من توتر نفسي وتمزق هوياتي بسبب تبعات الهجرة وقسوة الحياة، وتنامي المدّ اليميني المُتطرّف.

1. محور الذات

للذات معان عديدة بالنظر إلى السياق الذي وردت فيه. يبدو -بحسب عالم النفس الاجتماعي السويدي توماس جوهانسن (Thomas Johansson) - أنه "من الصعوبة بمكان الوصول إلى إجابة محددة لماهية "الذات" حقاً"⁽¹⁾. يقسم جوهانسن الذات إلى الذات الخاصة، والنفس المنضبطة، والذات المنقسمة، والذات الممدودة. إنّ الذات -في نظره- تُفهم وتمثّل في علاقتها بالواقع الاجتماعي والثقافي"⁽²⁾. يرى أيضاً أنّ "الذات" مرادفة -إلى حد ما- لـ "هوية" الإنسان والمجتمع، ويستخدم- في السياق نفسه- وجهات النظر الأربع حول الذات لإبراز كيف يفكر الناس ويتصرفون ويشعرون في المجتمع. لكن الذات-بحسبه- "لا يمكن أن نمسك بتلابيبها أبداً، ولا يوجد شيء من هذا القبيل على الإطلاق"⁽³⁾. وهكذا يتضح أنه يبعد من اهتماماته "الذات النقية والظاهرة"، ويحل محلها الذات الدينامية التي تتشيد بتفاعلها مع الآخر سلباً أو إيجاباً.

1-Thomas Johansson, *Billeder af selvet – hverdagslivets forandring i det senmoderne samfund*, Forlaget Klim, 2ed, København 2006, p.31.

2- *Ibid.*, p.21.

3- *Ibid.*, p.33.

1-1- الذات الدنمركية

قبل أن أقوم بتعريف من هو الدنمركي، أستعرضُ بعض المفاهيم الأولية لعلها تفي بالغرض. فعند الحديث عن التركيبة السكانية لمجموعة معينة من السكان، يستخدم الباحثون مجموعة من المعايير لتصنيف الأشخاص باعتماد عوامل ديمغرافية محددة؛ بما في ذلك العمر والجنس والتعليم والوضع الاقتصادي والحالة الاجتماعية. لكن معظم التصنيفات تعتمد معياري الجنسية والعرقية (Ethnicity).

تشير الجنسية إلى البلد الذي وُلد وترعرع فيه الشخص على نحو الجنسية الفلسطينية أو المغربية أو الدنمركية الخ. أما العرق فهو "مجموعة من الأفراد الذين يختلفون عن بقية الأنواع في عدد من الصفات الوراثية، وغالبًا ما يكون لديهم توزيع جغرافي خاص بهم"⁽¹⁾.

إنَّ الانتماء إلى عرق معين يعني الانتماء إلى مجموعة تتقاسم جملة من الخصائص (الإرث الثقافي، الأصل المشترك، اللغة، التاريخ، الشعائر الدينية، أنواع الطبخ واللباس..). تُصنَّفُ المجموعات العرقية بالنظر إلى عدة معايير؛ يأتي في مقدمتها المعيار اللغوي (الشعوب الإيرانية، الشعوب السلافية، الشعوب العربية، الشعوب التركية). وهكذا يتضح أنَّ الجنسية مفهوم قانوني، في حين أن العرق مكون ثقافي.

2-1- الأشخاص من أصل دنمركي

يستخدم البعض مفهوم "الدنمركي" تعبيرًا عن الأشخاص من أصل دنمركي، كما هو محدد من قبل "هيئة الإحصاء في الدنمرك"؛ أي يُصنف الناس على أساس جنسية والد الشخص ومكان ولادته بدلاً من جنسية الشخص نفسه. ومع ذلك، فإنَّ هذا التعريف مثير للجدل، لأنَّ المواطنين من أعراق يُبعدون عن هذا التصنيف. تبني البرلمان الدنمركي في فبراير 2017 بأغلبية 55 صوتًا مقابل 54 صوتًا قانونًا يتعلق بالأصل والنسب في تعريف الدنمركي:

4- Nielsen Rasmussen & Jamil Perkersen, *identitet og etnicitet i superdiversiteten*, Thas rørbeck nørreby, ud1, københavn 2012, Københavns Universitet, p.36.

"لا يمكنك أن تكون دنمركياً إذا لم يكن أسلافك من أصل غربي"⁽¹⁾. "يلاحظ البرلمان بقلق أن هناك اليوم مناطق في الدنمرك، تتزايد فيها نسبة المهاجرين والأحفاد من البلدان غير الغربية بنسبة 50%. يعتقد البرلمان الدنمركي أنه لا ينبغي أن يكون الدنمركيون أقلية في المناطق السكنية. هناك الكثير من المهاجرين في الدنمرك في أمس الحاجة إلى سياسة الاندماج والإسكان والاستفادة من السياسة الاجتماعية والتعليمية. لكن الأغلبية - في البرلمان - قررت أن "المنحدرين من الدول غير الغربية لا يمكن أن يكونوا دنمركيين"⁽²⁾.

قُسِّمَتِ الدنمرك - منذ عام 1991 - إلى ثلاث مجموعات وفقاً للأصل: الأشخاص من أصل دنمركي، والمهاجرون، وأحفادهم. يُعرَّف الشخص من أصل دنمركي بأنه - بغض النظر عن مكان الميلاد - شخص لديه والد واحد على الأقل مواطن دنمركي ومولود في الدنمرك"⁽³⁾. وبالتالي، لا يكتسب بجنسية الشخص ومكان ولادته إذا كان من أصل دنمركي. اعتمد التقسيم على التقرير الصادر بتاريخ 1991/3/7، رقم 1214-1991 بعنوان "أفضل إحصاء للاجئين والمهاجرين"⁽⁴⁾.

كما ذُكر في وثائق "مكتبي الإحصاء والتسجيل الوطنيين". "يكون الشخص من أصل دنمركي إذا كان أحد والديه على الأقل مواطناً دنمركياً ومولوداً في الدنمرك. في حين إذا كان أحد والديه من المهاجرين، لا تنطبق الصفة عليه وعلى أحفاده. يكمن الفرق بين المهاجرين والأحفاد في أن "المهاجرين ولدوا في الخارج، بينما ولد أحفادهم في الدنمرك"⁽⁵⁾.

تتبنى المؤسسات الرسمية هذا التعريف اليوم (مثل "هيئة الإحصاء الدنمركية"، و"وزارة الاندماج"، و"إحصاءات الدنمرك"). لا يستوعب مفهوم "الدنمركيين" جميع الدنمركيين،

1-Yvonne Mørck, *Bindestregsdanskere- fortællinger om køn, generationer og etnicitet*, Forlag: Samfundslitteratur, ud1, københavn 2001, p.129.

2-Ibid., p.131.

3-Ibid., p.91.

4-Danmarks Statistik, *Bedre statistik om flygtninge og indvandrere*, Betænkning nr. 1214, Københavns Universitet, københavn, 1991. p.39.

5- Dorthe Larsen, "Indvandrere og efterkom-mere", *danmarksstatistik*, (<https://cutt.us/CE3AB>, (Retrieved 30.5.2020).

لكن تُستخدمُ عبارة "المواطنين الدنمركيين من أصل عرقي لوالدين دنمركيين"، وتشير عبارة "المواطنين الدنمركيين" إلى سكان الدنمرك الحاصلين على الجنسية الدنمركية. ينقسم المواطنون الدنمركيون- بدورهم- إلى مواطنين من أصل غربي، ومواطنين من أصل غير غربي. المهاجر هو من ولد في الخارج، ولم يكن أحد والديه مواطناً دنمركياً ومولوداً في الدنمرك. إذا لم تكن هناك معلومات كافية عن أي واحد من الوالدين الذي ولد في الخارج، يُنظر إليه على أنه مهاجر أيضاً. عندما يحصل أحد الوالدين أو كلاهما المولودان في الدنمرك على الجنسية الدنمركية، فلن يصنف أطفالهما أحفاداً، بل يصبحون أشخاصاً من أصل دنمركي. إذا كان الوالدان مولودين في الدنمرك يحتفظان بالجنسية الأجنبية، ويُصنّفُ أطفالهما في عداد الأحفاد.

3-1- لفظ الدنمرك في صحيفة "يولاندس بوستن"

دُكر -في المتن-لفظا "الدنمرك" و"الدنمركيين" 317 مرة في 31 مقالاً بصحيفة "يولاندس بوستن"؛ أي بنسبة 10,2% في كل مقال. وردت الكلمتان بصيغة الجمع 254 مرة؛ أي بنسبة 8,2% في كل مقال، وبصيغة المفرد 63% مرة؛ أي بنسبة 2,03% في كل مقال.

يُذكر اسم "الدنمرك" و"الدنمركيين"-في المقالات والقصاصات الصحفية جميعها- كمجموعة عرقية تنتمي إلى "الدنمركية"، وهو المصطلح الذي يروجه السياسيون ووسائل الإعلام الدنمركية. لكن ما هي الدنمرك بالنسبة إلى الدنمركيين؟ أيا كانت "الدنمركية"، فإنّ الدنمركيين يعدونها خاصية فردية يتميز بها الدنمركيون عن أقطار المعمورة بما فيها الأقطار الأوروبية.

يشعر الدنمركيون بالانتماء الوطيد إلى الدنمرك، ويعتزون بالرموز الوطنية كافة. وهكذا يعتبر العلم الدنمركي جزءاً لا يتجزأ من السلوك اليومي للدنمركيين. إنّ العلمَ البريطاني رمز سياسي ووطني لكنه مثير للجدل حول أصله (ما مصدره؟)⁽¹⁾. لكن الدنمركيين لديهم علاقة

1-Smith. Matthew, "Majority of Brits can't tell if the UK flag is being flown upside down", *yougov.co.uk*, <https://cutt.us/2RJ4a>, (Retrieve 7.5.2022).

خاصة بالعلم الوطني الذي يُحتفى به طوال الوقت في المدارس والمؤسسات العمومية، وخلال أعياد الميلاد والحفلات الرسمية. يتعلم الدنمركيون- منذ نعومة أظفارهم- السلوكيات الوطنية، ويستوعبون النموذج الدنمركي الذي يقوم على نظافة البيئة والفضاءات العمومية، والرعاية الاجتماعية والصحية، ويسنّ قوانين صارمة لمعاقبة المنحرفين والمجرمين والمتهورين في السياقة، ويفرض ضرائب مرتفعة ("ضرائب النار" كما يسميها الدنمركيون) للمحافظة على التوازنات الاجتماعية وتعزيز "دولة الرفاهية"، ويدافع عن القيم النبيلة (الحرية، المساواة، الإنصاف، العدالة) في السلوك، ويفتخر بالأعلام التي تألفت عالميًا في مجالات شتى⁽¹⁾.

غالبًا ما تُتجاهل القيمة الرمزية والثقافية للدول الصغيرة بسبب التمثيلات المسبقة. لكن حتى دولة صغيرة (مثل الدنمرك)، لها تقاليدها وعاداتها الخاصة، والتي هي -في كثير من الأحيان- مختلفة تمامًا عما يُنظر لها في البلدان المجاورة. ينتمي جزء من الثقافة الدنمركية إلى الثقافة المسيحية، كما تنتمي الكنيسة الدنمركية إلى المجمع البروتستانتي، الذي قاد المجتمع في اتجاه مختلف عن البلدان الكاثوليكية. الدنمرك جزء من الأسرة الأوروبية تتقاسم معها تاريخًا مشتركًا، وخاصة مع دول الشمال (الدول الإسكندنافية).

4-1- تجليات "الذات"

أستعرض-على سبيل المثال- نماذج من القصص والمقالات لإبراز كيف يُذكر لفظا "الدنمرك والدنمركيين" في الصحيفة المعنية، واستخلاص تصور "المتحدث الدنمركي" لذاته: ما يصطلح عليه بالصورة الذاتية (Selvbillede).

1- أنجبت الدنمرك عددًا كبيرًا من الشخصيات البارزة، مثل الشاعر وكاتب قصص الأطفال هانس كريستيان أندرسن (Hans Christian Andersen)، وهانس كريستيان أورستد (Hans Christian Ørsted) عالم الفيزياء والكيمياء الذي اكتشف الكهرومغناطيسية والألمنيوم، وأولي رومر (Ole Rømer) الفلكي وعالم الفيزياء الذي اخترع مقياس الحرارة الحديث، ونيكولاي أبيلدجارد (Nicolai Abildgaard) الرسّام والنحات الذي يُكنّى أبا الرسم الدنمركي، والزعيم السياسي أندرس ساندو أورستيد (Anders Sandøe Ørsted)، وبيتر هيس (Peter Heise) الموسيقار الذي لحن أوبرا دروت ومارش (Drot og Marsk)...الخ.

أ- نشرت صحيفة "يولاند بوستن" بتاريخ 2017/11/19 مقالاً كتبه كارل بهر Carl Buhr رئيس مجلس مدينة لانجكير (Langkaer) من "حزب البديل" بعنوان "ثانوية لانجكير تنجز عملاً ما"⁽¹⁾. تمحور حول قيام مدير مدرسة ثانوية بتقسيم التلاميذ على أساس عرقي، بعد أن لاحظ أنّ عدد "الدنمركيين العرقيين" قد انخفض في المدرسة التي يديرها بما يناهز (20%) من العدد الإجمالي للتلاميذ، وأنّ (80%) من التلاميذ هم مسلمون. وعليه أقدم على إنشاء أربعة فصول للتلاميذ غير "الدنمركيين العرقيين": وخاصة التلاميذ المسلمون والمهاجرون بنسبة (100%)، ثم قام بإنشاء ثلاثة فصول مختلطة تضم المتعلمين الدنمركيين غير العرقيين (غربيين وغير غربيين) والتلاميذ "الدنمركيين العرقيين" بنسبة 50% لكل فئة بهدف تعزيز نسبة المتعلمين العرقيين الدنمركيين في المستقبل، وحفزهم على ولوج الكليات التي لا يوجد فيها الكثير من التلاميذ الدنمركيين غير العرقيين.

اعتبر المتحدث أنّ مجلس المدينة يواجه مشكلة غير مسبوقة، بسبب تزايد عدد التلاميذ المسلمين والمهاجرين بوتيرة أكثر من التلاميذ الدنمركيين: "من غير المقبول في الدنمرك، أن يصبح الدنمركيون أقلية"⁽²⁾. يردّ اسم الدنمرك- في المتن الصحفي- بصفته مكوناً عرقياً؛ إذ يُميّز بين المواطن الدنمركي من أصل عرقي وبين المواطن الدنمركي من أصول مسلمة أو مهاجرة.

"سيشكل موضوع الافتقار إلى الأرومة الدنمركية في بلدية "لانجكير" مشكلاً في المستقبل. عندما يشار إلى المدرسة الثانوية باسم "مدرسة ثانوية غيتو"، فإنها تسهم في تنامي التحيزات السلبية، وتؤدي إلى تراجع إرسال الشباب الموهوبين إليها. يجب أن تكون مهمة مجلس المدينة مستقبلاً هي ضمان تنوع التلاميذ من أصول مختلفة. قد يحدث ذلك بالطبع على المدى الطويل بتغيير "سياسة الغيتو" التي تنهجها البلدية. وهذا ما يقتضي بناء المساكن العامة في العديد من الأماكن بالمدينة، وما يفرض -على المدى القصير- برمجة أنشطة تجذب انتباه الشباب من عدة أحياء في المدينة"⁽³⁾. لكن ما هو العرق؟ تقليدياً؛ يتم التمييز بين

1- Carl Buhr, "Langkaer – et sted, der udretter noget", *Jyllandsposten*, 19.11.2017, p.9.

2- *Ibid.*, p.9.

3- *Ibid.*, p.9.

العرق المتعلق بالعوامل البيولوجية والعرق المرتبط بالعوامل الاجتماعية. ولكن ما يجعل الشخص دنمركيا بالمعنى العرقي للمفهوم؟

تقول الخبيرة في ثقافة الأديان "ليلي كولدين جلاجرمان" (Laila colding Lagermann) - في كتابها "نحن نعرف الأطفال والشباب والعرق في المدرسة" - أنه لكي تكون دنمركيا "لا يكفي أن تتكلم الدنمركية، وأن تشعر بالولاء للدنمرك. يجب أن تكون دنمركيا من والدين دنمركيين أو دنمركيا من أسلاف غربيين"⁽¹⁾.

من المحتمل ألا يستوعب هذا التعريف بعض تلاميذ المدارس الثانوية من الدنمركيين "غير العرقيين" الجدد، وبالتالي يعدون "مواطنين دانمركيين"، لكن ليسوا "دنمركيين عرقيين". والحال هكذا، يجب إدراج عوامل أخرى للتصنيف؛ ومن ضمنها- كما ترى "لاجرمان"- تصنيف المتعلمين الدنمركيين "غير العرقيين" وثنائِي اللغة. لا يتعلق الأمر -هنا- بالتلاميذ الذين يتحدثون لغات أخرى إلى جانب الدنمركية، مثل الإنجليزية أو الألمانية أو الفرنسية، لكن يقصد التلاميذ الذين يأتون من بيئة كانوا يتحدثون- في الأصل- بلغة واحدة أو بلغتين؛ وهم في معظمهم من أبناء المهاجرين. رغم أنه يصعب أن نعرف: أ هم مهاجرون من الجيل الثاني أم الثالث؟ أ اكتسبوا اللغة الأم من الآباء أو من الأجداد؟

يُستخدم تعريف "العرق الدنمركي" معياراً لتصنيف تلاميذ المدارس الثانوية. لكي تكون دانمركياً عرقيًا، يجب أن تأتي من عائلة تكون لغتها الأم الأصلية هي اللغة الدنمركية من الأجيال الأخيرة، أي ألا يكون أحدٌ في العائلة لغته الأم غير الدنمركية. يعني ذلك -من الناحية العملية- أنه لكي تكون دنمركياً، لا يكفي أن تكون قد ولدت في الدنمرك، ولكن يجب أن يكون والداك، وربما أجدادك كانوا يتحدثون باللغة الدنمركية بصفتها اللغة الأم.

ب-كتب المدرس الدنمركي المتقاعد "لارس أوفيتير" (Lars ovepeters) مقالاً بعنوان "لدينا حرية التعبير، لكنها تنعدم في الإسلام"⁽²⁾. لا يتفق الكاتب تماماً مع "حزب الشعب الدنمركي"، لكنه يدعم الملصق الذي نشره الحزب وتظهر فيه امرأة مسلمة ترتدي حجاباً. ورد في الملصق

1-Laila colding Lagermann, *Det ved vi om børn, unge og etnicitet i skolen*, Forlag Dafolo, 1.ud københavn, 2017, p.89.

2- Lars Over Peters, "Vi har ytringsfrihed, men det har islam ikke", *jyllandsposten*. 30.9.2018, p.11.

ما يلي: "اخلعي الحجاب وسجلي نفسك في الدنمرك (...). أنا لا أتفق قطعاً مع "حزب الشعب الدنمركي". لكنني أوافق على فحوى الملصق "اخلعي الحجاب، وانضحي إلى الدنمرك"⁽¹⁾. عندما ترتدي المرأة المسلمة الحجاب فهي توحى بأنها "تأخذ دينها على محمل الجد"⁽²⁾. يبدو الأمر ظاهرياً بسيطاً وهيناً، لكنه يتطلب منها أن تجيب عن السؤال الآتي: أليس من واجب الدنمرك أن تأخذ "دنمركيتها" على محمل الجد أيضاً؟

بعبارة أخرى، إذا كنت مسلماً صالحاً ومؤمناً، لا يجب عليك أن تكون بين الدنمركيين، وأن تتمتع بالقيم الدنمركية" والأوروبية (الحريات العامة وحقوق الإنسان) و"تتبنى اللغة الدنمركية، والثقافة الدنمركية"⁽³⁾. "ليس ملصق "حزب الشعب الدنمركي" هو ما يتسم بعدم التسامح، بل هي رسالة القرآن غير المتسامحة. فهو ينص بشكل لا لبس فيه على أنه لا ينبغي للمسلمين- بأي حال من الأحوال- الاختلاط بالكفار: وهم- في المقام الأول- الملحدون الذين يُنظر إليهم كدعاة للوثنية، ثم اليهود الذين يُعدون أعداء، ثم المسيحيون الذين يُعامل معهم كبشر من الدرجة الثانية"⁽⁴⁾. لدينا "في الدنمرك حرية الدين، لكن الإسلام لا يؤمن بذلك، ويأمر بإعدام المثليين، ويتضمن العديد من القضايا الرهيبة (..) ليست الدنمرك مكاناً مناسباً لأن تكون مسلماً"⁽⁵⁾.

تظهر الدنمرك- في الآن نفسه - كيانا عرقياً، ودولة تدعو إلى التوافق بين الثقافة ونمط الحياة حتى يتسنى لجميع الأفراد- الذين يرغبون في العيش بين أحضانها- استيفاء شروط الانتماء إليها. لكن الجنسية- كما يراها عالم الاجتماع الثقافي الدنمركي "مايكل بوس" (Michael Böss) في كتابه "الجنسية ليست مسألة عرقية"⁽⁶⁾- موقوفة على أن تكون دنمركياً في كل شيء باستثناء العرق. إن الشعور بالمواطنة وامتلاك جواز سفر لا يجعلان من الفرد

1- *Ibid.*, p.11.

2- *Ibid.*, p.11.

3- *Ibid.*, p.11.

4- *Ibid.*, p.11.

5- *Ibid.*, p.11.

6- Michael Böss, *Nationalitet*, Forlag Århus Universitetsforlag, 1ed, københavn 2019, p41.

دنمركيًا، بل عليه المشاركة في عدد من الأعباء الوطنية والاجتماعية التي يؤديها المواطنون الدنمركيون بحماسة وإخلاص.

تتطلب الجنسية- في المجتمع الليبرالي والديمقراطي- من المواطنين أن يشعروا بالتضامن والتآزر مع بعضهم البعض، ويتصرفوا بولاء تجاه الدولة. يترابط -في الدنمرك والدول الأسكندنافية- التدين والجنسية تقليدياً، على الرغم من أن الدراسات أظهرت أن نسبة 10% فقط من السكان في الدنمرك ترى أنه لكي تكون دانمركيا يجب أن تكون مسيحياً. قد يكون من الصعب على أي شخص دنمركي "تعود حقيقة مفادها أن دولة الدنمرك يمكن أن تستوعب مجموعات ولغات عرقية مختلفة"⁽¹⁾.

تفاعلت الثقافات الوطنية الدنمركية مع الثقافات الأخرى، لذلك أصبحت الدنمرك - التي تشكلت بعد هزيمتها في حرب "شليزفيغ الثانية" ضد النمسا وبروسيا عام 1864- دولة ليبرالية تُحكم بالدستور والقوانين. يبدو غريباً في بلد ليبرالي وعلماني إدخال متطلبات عرقية؛ من قبيل أنه يجب أن تكون لديك "هوية عرقية معينة لتصبح دنمركياً"⁽²⁾.

ج -كتب "مايكل ثيكيير" Michael Thykier مقالاً بعنوان "طلبنا من المقررين السياسيين للقلعة تعريف الدنمركية في جملة واحدة"⁽³⁾، يتمحور النقاش العمومي منذ سنوات حول القومية والهوية الدنمركيتين: من هم الدنمركيون؟ ما هي الهوية الدنمركية؟ يشتد النقاش حين يتعلق الأمر بقضايا تمس الإسلام والمسلمين. انخرطت الأحزاب الدنمركية كافة في نقاش عام في الصحف ووسائل الإعلام الأخرى حول هذه القضية، بعد أن أثّر موضوع أقلية التلاميذ الدنمركيين في بعض المدارس، وأقلية الدنمركيين في بعض المناطق الأهلة بالمهاجرين المسلمين على وجه الخصوص.

يؤكد الكاتب ارتفاع حدة الجدل حول الهوية الدنمركية، لأنَّ الأغلبية في البرلمان الدنمركي قلقة من تزايد عدد المهاجرين. "يلاحظ البرلمان بقلق أنه توجد اليوم مناطق في الدنمرك،

1- *Ibid.*, p.52.

2- *Ibid.*, p.55.

3- Michael Thykier , "Vi bad borgens politiske ordførere definere danskhed i én sætning", *jyllandsposten*, 17.2.2017, p.5.

تتجاوز فيها نسبة المهاجرين والأحفاد من البلدان غير الغربية 50%. يرى البرلمان أنَّ الدنمركيين لا ينبغي أن يكونوا أقلية في المناطق السكنية في الدنمرك⁽¹⁾.

وهكذا يتضح مدى تخوف الدنمركيين من استقواء نسبة المهاجرين؛ وفي مقدمتهم المسلمون، ولهذا تصر الأصوات اليمينية على أنَّ المهاجرين وأحفادهم لا يمكنهم أبداً أن يصبحوا دنمركيين. يقول الكاتب: "دار جدل مرة أخرى حول من يمكن أن يطلق على نفسه اسم "الدنمركي"، وحول ماهية الدنمركية حقاً. تمامًا كما كان الحال في خريف عام 2016 عندما رفض المتحدث باسم "حزب الشعب الدنمركي" مارتن هنريكسن الإجابة عما إذا كان رئيس مجلس التلاميذ- في ثانوية "لانغري" بمدينة آرهُوس- دنمركياً. اليوم يقول هنريكسن إذا شاركت في الأعياد المسيحية فأنت على المسار الصحيح بأن تصبح دنمركياً"⁽²⁾.

في ظلّ هذه الأجواء، طلبت صحيفة "يولاندس بوستن" من المقررين السياسيين في البرلمان تعريف الدنمركية باقتضاب، فكانت الأجوبة كالآتي:

- قالت بيرنيل سكيبر من حزب "قائمة الوحدة": لا تعتقد أنه يمكن لأي شخص وضع قواعد للدانمركية: "أن تكون دنمركيا هو الشعور بالمجتمع والتماسك، وبالتالي فأنت دنمركي عندما تشعر بأنك دنمركي".
- اختار جاكوب إيلمان- جنسن من "الحزب الليبرالي" الاقتباس من الزعيم المسيحي الإصلاحى الدنمركي نيكولاى فريدريك سيفيرين غوندفيك الذي كتب عام 1848: "إلى شعب ينتهي أفرادهِ إليه جميعاً، ويعدون أنفسهم بين أحضانه، لديهم إذاً لغتهم الأم، وحماسة الوطن".
- يستخدم كريستيان ثيسين دال-من "حزب الشعب الدنمركي"- اقتباساً من أغنية "ولدت في الدنمرك" التي كتب كلماتها الشاعر الدنمركي هانس أندرسن عام 1850: "لقد ولدت في الدنمرك، لدي منزل، ثمة جذوري وعالمي".

1- *Ibid.*, p.5.

2- *Ibid.*, p.5.

- قال سورين بابي بولسن من "حزب الشعب المحافظ": "الديمركية هي الولاء للعلم الديمركي، ولقيمنا وثقافتنا الديمركية وللمجتمع الذي يشكل أمتنا"⁽¹⁾.
 - قال مورتن أوسترغارد من "الحزب الراديكالي": "أنت ديمركي إذا كنت تحمل الجنسية الديمركية، وتشعر بأنك ديمركي"⁽²⁾.
 - يعد نيكولاي وامن من "الحزب الاشتراكي الديمقراطي" "الديمركية- من بين أمور أخرى- تتعلق بالمجتمع، والحرية، والثقة، والقيم الديمقراطية الوطيدة"⁽³⁾.
 - ذكر كريستينا إيجلونند من "التحالف الليبرالي"، أنّ "الديمركية تتحدث عن أشياء في أكثر من جملة واحدة"⁽⁴⁾.
 - قالت بيا أولسن ديره من "الحزب الاجتماعي الديمقراطي": "بالنسبة إلي، الديمركية هي العدالة الاجتماعية، والحرية، والمجتمع، والإنسانية. ومن ثم، تاريخنا المشترك الذي يُختزلُ في دولة صغيرة نهضت بأعباء كثيرة، وبنت مجتمعاً آمناً ومزدهراً".
 - أما راسموس نوردكفيست من "حزب البديل"، فهو المتحدث السياسي الوحيد في البرلمان الذي لم يوافق تماماً على فكرة تعريف الديمركية في كلمات معدودات بقوله: "في الظروف الحالية والغامضة، هناك حاجة كبيرة لمناقشة مفهوم الديمركية"⁽⁵⁾.
- يثير لفظاً "الديمرك والديمركية"- في المتن- إشكالية بين مختلف الفرقاء السياسيين، ويعكس تباين آرائهم ومواقفهم حول قضية حساسة تهم الرأي العام برمته، ويجلي هول المفارقة بين الكلام والواقع وصعوبة تحديد الهوية الديمركية في ضوء التغيرات الديمغرافية التي مست التركيبة السكانية خلال العقود الأخيرة.
- مما تقدم نستخلص ما يأتي:
- أ- من خلال تَلَفُظَات "المتحدث الديمركي" في المتن، سواء أحزبياً كان أم سياسياً أم كاتباً صحافياً، يظهر الديمركيون شعباً يعتز بهويته وعرقيته ووطنه وتاريخه. يؤكدون أنهم

1- Ibid.,p.5.

2- Ibid.,p.5.

3- Ibid.,p.5.

4- Ibid.,p.5.

5- Ibid., p.5.

مختلفون عن الأوروبيين الآخرين، باستثناء الدول الإسكندنافية التي يتقاسمون مع أهلها صفات مشتركة.

يحرص "المتحدث الدنمركي" على إبراز مدى تفرد الدنمرك بخصوصياتها الثقافية والحضارية، وتبيان فضائل "النموذج الدنمركي" الذي يتمثل في اللغة الوطنية، والثقافة السياسية، والكنيسة الوطنية، ودولة الرفاهية، والعدالة الاجتماعية، والحرية الدينية. لا يتوانى الدنمركي-الذي يعلم صغر بلده- عن الافتخار بأنه يضاهي- في بهائه وتقدمه ورفاهيته- أعتى الدول وأكثرها ازدهارا.

ب- الصوت البارز "للمتحدث الدنمركي"- في المتن- هو الأحزاب السياسية بصورة لافتة، فيما يغيب صوت الدنمركيين العاديين بصورة عامة. إنَّ الخطاب الذي يتضمنه المتن هو خطاب سياسي بالدرجة الأولى. يظهر دورٌ خاصٌ لكل من "حزب الشعب اليميني"، و"حزب اليسار"، و"حزب الشعب المحافظ"، و"حزب البديل". فيما صوت الأحزاب اليسارية مُنحسِرٌ إن لم نقل مُغَيَّبٌ، مثل حزب "قائمة الوحدة"، و"حزب اليسار الراديكالي".

ج- إنَّ الدنمرك بلد علماني؛ إذ إنَّ نسبة من يؤمنون بالله تناهز فقط 20% من العدد الإجمالي للسكان. وإن عُدَّت الكنيسةُ الوطنيةُ جزءاً من الثقافة الدنمركية، وأحد ركائز الهوية الوطنية، فإنَّ الدنمركيين يذهبون إليها في مناسبات قليلة (شعائر التعميد، وحفلات الزفاف، ومراسيم الجنازة، وأعياد الميلاد). رغم أن الشأن الديني لا يشغل إلا حيزاً ضئيلاً من اهتماماتهم، فهم مسجلون في الكنيسة الوطنية، ويدفعون ضريبة الكنيسة شهرياً. إنَّ الكنيسة الدنمركية مؤسسة وطنية، ممثلة في السلطة التنفيذية بوزير الكنائس.

د- تبدو الدنمرك- من خلال تَلَفُّظَات المتحدث- دولة تتمتع بحياة ثقافية ثرية، وطيب العيش، ونمط الحياة المُرفَّه الموسوم بالنموذج الدنمركي أو بالدنمركية التي تشكل جزءاً من الهوية الوطنية. تظهر الدنمرك مجتمعاً عصرياً يتميز بأسلوبه الهندسي والمعماري، وبأشكاله التعبيرية (الفن والموسيقى والأفلام والمسرح والباليه والأوبرا الدنمركية)، ويسجل سنوياً أفضل المؤشرات على المستوى العالمي في نظافة البيئة، وتوليد الطاقة من مصادر الرياح، وتطوير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وتحقيق أفضل السياسات المناخية، وصناعة

الأدوية، ويتسم أيضا بانعدام مظاهر الفساد والفوارق الاجتماعية، وبالنضج السياسي والديمقراطي. يظهر- في المتن-تخوف الدنمركيين من تراجع هذه الامتيازات وفقدانها إذا استمر تدفق اللاجئين والمهاجرين إلى بلدهم.

2 - مفهوم الآخر

إنَّ الآخر - ببساطة- هو كلٌّ من أو ما يوجد خارج الذات. فمعرفة الذات تستدعي تمثيل "الآخر" ومعرفته. إنَّ النقاش حول العلاقة بينهما قديمة قدم الخليقة. أثارت هذه الإشكالية سجلاً في العلوم الإنسانية عموماً، ودفعت الفلاسفة والمفكرين إلى إبداء الرأي وصياغة المفاهيم والتصورات حول "الآخر"؛ فكانت بذلك الرؤى مختلفة باختلاف التيارات الفكرية والمذاهب الفلسفية.

ومع ذلك، لا يمكن للأنا أن تعيش دون الآخر والعكس صحيح، وفي هذا الصدد يرى محمد الداوي: "لا يمكن أن توجد الأنا بدون الآخر، والعكس صحيح. فهما- وإن تباعدا وتنازعا- يتفاعلا فيما بينهما سلباً أو إيجاباً"⁽¹⁾. فهما يتفاعلا حرصاً على شغل الموقع الثقافي المناسب على الحدود دون التفريط في المقومات الذاتية أو الذوبان في الآخر. إنَّ الحديث عنهما يستدعي مصطلح "الغيرية" التي يعتبرها محمد عابد الجابري مفهوماً أساسياً مثل الهوية، لكن الغيرية - في الفكر الغربي- تقوم على إقصاء الآخر. فالأنا "لا يفهم إلا بوصفه سلباً أو نفيًا للآخر"⁽²⁾، وفقاً للكوجيتو الديكارتية.

2-1- من هو الآخر

الآخر- في المتن- هو مجموع اللاجئين والمهاجرين المسلمين الذين يعيشون في مختلف المدن الدنمركية. إضافة إلى الدنمركيين وهم السكان الأصليون، تعتمد الدنمرك-في التقطيع السكاني-على مصطلح مهاجرين من دول غربية، ومهاجرين من دول غير غربية. يتكرر المفهوم

1- محمد الداوي. صورة الأنا والآخر في السرد، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2013، ص.11.

2- محمد عابد الجابري، "الغرب والإسلام، الأنا والآخر، أو مسألة الغيرية"، فكر ونقد، العدد 2، 1997، ص.15.

في الإحصائيات الرسمية وفي وسائل الإعلام والنقاشات العمومية حين يتعلق الأمر بالأحفاد؛ وهم الجيل الثاني والثالث من المهاجرين (أحفاد من دول غربية، وأحفاد من دول غير غربية). استقبلت الدنمرك- ما بين عامي 1984-1986م- عددًا من اللاجئين المسلمين من الشرق الأوسط، كما استقبلت -في الفترة الممتدة بين عامي 1991-1997م- مجموعات مطردة من يوغوسلافيا سابقا والصومال. أدى تزايد المهاجرين المسلمين بلمّ شمل أسرهم إلى تعديل السياسة الحكومية الخاصة باللجوء بدءًا من عام 2001، حيث أنشئت "وزارة اللاجئين والمهاجرين والاندماج"، وأجريت تعديلات على القوانين للحد من تزايد نسبة المهاجرين إلى الدنمرك، ووضعت شروط صارمة لطلب اللجوء أو لللمّ الشمل العائلي.

قدم إلى الدنمرك- في القرن الحادي والعشرين- اللاجئون من أفغانستان ومن سوريا نتيجة الحروب الأهلية. كان هناك أكثر من 21 ألف طالب للحصول على اللجوء السياسي في الدنمرك عام 2015. تفاقمت الهجرة بالدنمرك في العقود الأخيرة، بسبب تزايد نسبة المهاجرين المسلمين. تشير التقديرات إلى أن "حوالي 296000 شخص- الذين هم في عداد المسلمين، من مختلف الطوائف الإسلامية- يشكلون تقريبًا 5.15% من مجموع السكان"⁽¹⁾.

2-2- تجليات الإسلام والمسلمين

ذكر- في المتن- لفظا "إسلام ومسلمين" 283 مرة في صحيفة "يولانديس بوستن"؛ أي بنسبة 9.1% في كل مقال. وردت كلمة "إسلام" 117 مرة بنسبة 41%؛ أي 3.7% في كل مقال. كما وردت كلمة "مسلمين" 94 مرة بنسبة؛ أي بنسبة 33% في كل مقال. تواتر لفظا "إسلام ومسلمين" بصيغة الجمع 72 مرة بنسبة 25%. كما ورد لفظ "إسلاميين" 54 مرة؛ أي بنسبة 1.7% في كل مقال.

يمكن أيضاً تعداد لفظ "المهاجرين" في المتن، حيث غالباً ما يُقصد بهم المسلمون. وردت كلمة "المهاجرين"- من أصول غير غربية 83 مرة، بمعدل 2.6% في كل مقال- في المقالات

1-Theis Stenholt Engmann, *Fakta om indvandrere og efterkommere i Danmark*, Danmarksstatistik, ud1, københavn, 2019, p.3.

والقصاصات الصحفية جميعها- بصفتهن مجموعة دينية، دون الإشارة إلى عرقهم أو قوميتهم أو مذهبهم أو جنسيتهم السابقة. وهي التسمية التي تستخدمها وسائل الإعلام الدنمركية والطبقة السياسية في النقاشات العمومية.

لا يُستخدم لفظ "العربي" أو "العرب" في البيانات الرسمية الدنمركية وفي وسائل الإعلام وفي النقاشات العمومية، لأن القوانين الدنمركية تمنع ذكر الأصل العرقي للمواطنين. تدور المقالات والقصص النقدية السائدة في الصحف الدنمركية حول كون "الإسلام يقود إلى الإرهاب"، وكون "الإسلام مناهضاً للديمقراطية" و"مضطهداً للمرأة". كما ورد -في المتن- أن "الإسلام وحدة لا تفصل بين الدين والسياسة؛ فالإسلام-في نسخته التقليدية- لا يتوافق مع الديمقراطية"⁽¹⁾. ينفي "المتحدث الدنمركي" أحيانا صفة التطرف من الدين الإسلامي الحنيف، ويستبعد أيضاً تنافيه مع الروح الديمقراطية. نُورد -على سبيل المثال-الملفوظات الآتية: "ليس كل المسلمين متطرفين"، و"الإرهاب يسيء إلى الإسلام" و"الإسلام متوافق مع الديمقراطية"، و"من الضروري أن نقول إن هناك فرقاً بين المسلمين والإرهابيين"⁽²⁾.

يمثل الدين الإسلامي نسبة 47% من مجموع المقالات باعتباره السبب الرئيس لظواهر مثل الإرهاب وصعوبات الاندماج وتعنيف النساء والغلو في ممارسة الشعائر الدينية. بينما 14% فقط -على سبيل المثال-من المقالات تناقش المشاكل الاجتماعية والاقتصادية المترتبة على الهجرة بالتركيز أساساً على هاجس الإرهاب والتطرف الديني.

إنَّ الموضوعات والقضايا - التي تنشرها الصحف الدنمركية عن الإسلام - تربط الإسلام بالسلوك المتطرف، وبالبلدان التي تعاني من التوترات والصراعات الاجتماعية والسياسية التي تسبب تدفق المهاجرين إلى الدنمرك. ومن بين هذه المواضيع نذكر: تطرف الشباب، والأعمال الإرهابية، وتفاقم الجريمة والانحراف، وتزايد أعداد الأطفال المسلمين في المدارس الدنمركية.

1-Poul Højlund, "Kronik Demokrati over religion", *Jyllandsposten*, 15.3.2006, p.9.

2- Sanne Gram, "Budskabet er: Islam er fredelig", *Jyllandsposten*, 22.11.2010, p.7.

يُنظر إلى الإسلام بتمثيلات مسكوكة ونمطية صنعها الرأي العام بالتركيز على قضايا بعينها (الحجاب، الحرام، العنف، الزي التقليدي، الصوم) لتعميق الفجوة بين المهاجرين المسلمين والدنمركيين الأصلاء، والتخوف من تأثير العادات والشعائر الإسلامية على الهوية والأرومة الدنمركيتين.

يُعتبر عالم النفس الاجتماعي البريطاني "مايك كاردويل" (Mike Cardwell) "القوالب النمطية طريقة تختزل عالمنا الاجتماعي، لأنها تقلل من مقدار التفكير الذي يتعين علينا القيام به عندما نلتقي شخصاً جديداً"⁽¹⁾. لذا، فإنَّ الألفاظ التي توردها الصحف عن المسلم تصبح- بمرور الوقت- حكماً جماعياً عنه على وجه الإطلاق. يرى "كاردويل" أنه "من خلال التنميط نستنتج الخصائص والقدرات التي تتوافر في الشخص، وتُعمَّم على الجماعة التي ينتمى إليها. نفترض أنَّ جميع أعضاء تلك الجماعة تتقاسم السمات نفسها"⁽²⁾.

تؤدي الصورة النمطية إلى التحيز والتمييز والخلط والتعميم. فعلى سبيل المثال، يُنظر إلى الحجاب- في المجتمع الدنمركي- بأنه أداة لقمع المرأة، وعلامة على نشر الشريعة الإسلامية في الدنمرك. وهكذا يتحول النقاش العام إلى التمييز بين "نحن" و"هم" بترويج القوالب النمطية التي تؤدي إلى "الميز الاجتماعي"، وهو أحد الأسباب الناجمة عن المواقف المتحيزة (عقلية "هم" و"نحن") التي تؤدي إلى تصنيف الناس بوضعهم في مجموعات خاصة"⁽³⁾.

3 - مواصفات المسلم

3-1- النعوت:

هي الصفات التي ترتبط بالأسماء والضمائر، وتصف الأشخاص والأشياء، وما إلى ذلك. مثل: بلد سعيد، مشاكل كبيرة، دين متطرف، علم أحمر، مبالغ طائلة، طفولة صعبة. يلتصق النعت بالكلمة وارداً قبلها أو بعدها، وهو الوصف الذي يطلق على الموصوف بتحديد

1- Mike Cardwell, *The dictionary of psychology*, Chicago, Fitzroy Dearborn Publishers, London, 1996, p.149.

2- *Ibid.*, p.93.

3- *Ibid.*, p.152.

ما يميزه عن غيره. في اللغة الدنمركية "تأخذ الصفة شكل الاسم أو الضمير"⁽¹⁾، ومعظم الصفات لها ثلاثة أشكال: مذكر/ مؤنث، محايد/ جمع.

تنقسم النعوت وتصنف إلى ما يلي:

أ. **النعوت الموضوعية:** ينظر إلى الأشياء كما هي في حقيقتها بالابتعاد عن التحيز الثقافي والديني والأيدولوجي. هي النعوت التي "تنمحي فيها الشحنات العاطفية والآثار التلفظية"⁽²⁾.

ب. **النعوت العاطفية:** هي الأحكام العاطفية المشحونة بالمشاعر والأحاسيس دون أن تُبنى على منطق عقلي أو معرفة سابقة. هي نعوت تنبع من وجدان المتلفظ الذي يقوم بإقحام ذاتيته في الكلام، وإصدار حكم على المنعوت. بعبارة أخرى، النعوت العاطفية "لا تعبر إلا عن صفة واحدة في المنعوت (الشيء) الذي تحدده. وهي تهم رد المتكلم الشعوري إزاء المنعوت. وفي نطاق أنها تستتبع تعهد المتلفظ شعورياً مُجسّدة حضوره في الملفوظ، فهي ذات صبغة تلفظية"⁽³⁾.

ج. **النعوت الأكسيولوجية:** وهي النعوت التي ترتبط بمنظومة القيم الفردية والمجتمعية. و"تندرج عموماً في إطار أنظمة التقويم أو التثمين التي يُحتكم إليها في وصف شيء ما من المنظورين الجمالي والأخلاقي، وغيرهما"⁽⁴⁾.

وهكذا حين يتمّ- في المجتمع الدنمركي- اعتبار المسلم إرهابياً أو متشدّداً أو غير ديمقراطي، فإنّ المتلفظ يحتكم إلى منظومة القيم الأيديولوجية التي حدّدها السياسيون الدنمركيون ووسائل الإعلام الدنمركية للإشارة إلى المسلم الإسلاموي، وتمييزه عن المسلم المعتدل، أو ما يسعى بـ"المسلم الثقافي". يعني هذا أنّ هناك مسلمين متطرفين في أفكارهم وتصرفاتهم، يغالون في درجة إيمانهم إلى حدّ كراهية

1- Lisa Holm Christensen, Robert. Zola Christensen, *Dansk grammatik*, University of Southern Denmark, 4ud, København, 2019, P.82.

2- Catherine Kerbrat-Orecchion, *L'énonciation de la subjectivité dans le langage*, Armand Colin, Paris, p.54.

3- *Ibid.*, p.54.

4- *Ibid.*, p.90.

الآخرين ومعاداتهم، بينما هناك الغالبية من المسلمين براء من الإرهاب والتطرف لتشبههم بالدين الإسلامي الحنيف.

د. النعوت غير الأكسيولوجية: وهي النعوت التي لا ترتبط بمنظومة القيم؛ أي "تتضمن - في منأى عن الحكم القيمي والتعمد العاطفي- تميئناً كمياً أو نوعياً، بالنظر إلى طبيعة المنعوت"⁽¹⁾.

3-1-1- النعوت العاطفية:

ومن أمثلة ذلك - في الصحيفة- ما يلي:

أ. "لقد ذكرني بالعديد من المسلمين الطيبين الذين قابلتهم خلال السنوات التسع التي قضيتها في مصر. إنَّ هؤلاء الناس لم يكونوا فقط زملاء أمناء ومجتهدين وطيبين، بل كانوا مؤمنين يلتزمون بضوابط الأخلاق الحميدة التي يشترك فيها القرآن مع العهد القديم؛ مثلما لم يعد اليهود يتبعون وصايا العهد القديم جميعها، لا يتبع المسلمون وصية القرآن"⁽²⁾.

ب. "الإرهابيون وخطابات الكراهية عقلانية أيضاً، لأنَّ الإرهاب والتهديدات المتعلقة به تنجح في مهماتها. ما عليك سوى الانتباه إلى صعوبة إقناع رسامي الكاريكاتور الدنمركيين بوضع رسومات في كتاب للأطفال سينشره كاري بلويتجن عن الرسول محمد، لأنهم خائفون من عاقبة انتقام المسلمين العنيفين منهم"⁽³⁾.

ج. "تصریح فتحي العبد: سيكون هناك سلام وتسامح في كلِّ مكان إذا اختفت إسرائيل اللعينة من خريطة العالم. لسوء الحظ هناك مجموعة كبيرة من أمثال المسلمين في جميع أنحاء أوروبا، والذين تتحمل الدول الأوروبية نفقاتهم وإن كانوا يتسبَّبون في

1- Ibid., p.56-85.

2- Rom. Svend, *Den gode muslim*, Jyllandsposten, 8.7.2007, p9.

3- Sandfort. Michael, *Rational handling*, Jyllandsposten, 3.9.2005, p8.

صدر الكتاب الموجه إلى الأطفال بعنوان:

كاره بلويتجن، القرآن وحياة الرسول محمد، منشورات Høst & Søn، كوبنهاغن، ط1، 2012.

مشاكل ببلدانهم الأصلية. إنَّ اليهود-على عكس المسلمين- أشخاص موهوبون ومتعلمون للغاية، وذوو أجور جيدة يساهمون في تنمية بلدنا، ويندمجون فيه تمامًا. يحتفظون بدينهم لأنفسهم، ولا يضايقون به الآخرين، وهو ما يجب على المسلمين الاقتداء به"⁽¹⁾.

د. "يميل الناس أحياناً إلى الخوف من المختلف. كنت محظوظة جداً عندما أتيحت لي فرصة الاختلاط بالشعب المسلم الودود والجميل. أعتقد أن هذا هو السبب في كوني لا أخاف- بأي حال من الأحوال- من الاحتكاك بمن يختلف عني بارتداء الحجاب"⁽²⁾.

هـ. "متظاهرون مسلمون أندونيسيون غاضبون يحتجون على حكم صدر بحق رجل مسيحي بتهمة توزيع منشورات مسيئة للإسلام. يطالب المسلمون بعقوبة الإعدام للمسيحيين الذين يختلفون مع الإسلام. أضرم المسلمون الغاضبون النار في الكنائس، وتشاجروا مع الشرطة التي أصدرت حكماً بالسجن خمس سنوات على الرجل"⁽³⁾.

ح- "إبقاء حدود أوروبا مفتوحة أمام الهجرة الإسلامية يعني تحول الصدقة المسيحية إلى شرّ شيطاني. إنه أمر سيئ وغير مسيحي أن نمنح المهاجرين المسلمين وخاصة الشباب المسلم من مختلف دول شمال إفريقيا والدول العربية المسلمة مزايا الرعاية التي لا يتمتعون بها في بلادهم. إنه لأمر سيئ وغير مسيحي أن نقلل من نفقة علاج المرضى وكبار السن في الدنمرك، ونغدق- في الوقت نفسه- عشرات المليارات على مسلمين غرباء، يتمتعون بصحة جيدة ولائقة، ويدخلون البلاد بشكل غير قانوني"⁽⁴⁾.

تأرجحت النعوت العاطفية بين الصفات السلبية "الغريباء، الغاضبون، الشيطاني" والصفات الإيجابية "الموهوبون، الطيبون". لكن الصفات السلبية هي الأكثر تواتراً بسبب

1-Egeberg Merethe Holm, "Problematiske muslimer", *Jyllandsposten*, 1.8.2006, p.11.

2- Vagn Marie Hansen, "Det er i mødet med hinanden, det går op for os, at der slet ikke er så stor forskel på os og dem", *Jyllandsposten*, 21.4.2017, p.5.

3- Redaktør, "Muslimer brænder kirker i Indonesien", *Jyllandsposten*, 8.2.2011, p.7.

4- Thomas Claus Nielsen, "Næstekærlighed og ondskab", *Jyllandsposten*, 2.10.2015, p.12.

توجس الدنمركيين من غضب المسلمين وعنفهم، وحرصهم على الانتقام ممن يعتدي عليهم، ويسيء لنبههم محمد (صلعم). في حين نلاحظ الإشادة بدور اليهود، والتنويه بمواهبهم مؤهلاتهم، وبقابليتهم للاندماج الاجتماعي، وبتفادي تكدير العيش على الآخرين لبواعث دينية أو عرقية.

تقوت الإسلاموفوبيا (الرهاب الإسلامي) لتخويف الدنمركيين من الخطر الإسلامي، وحفزهم على كراهية المسلمين بدعوى أنهم يؤذون المسيحيين، ويسعون إلى إقامة نظام اجتماعي إسلامي شمولي، ويبلبلون الوضع بإشاعة الفوضى والخوف في المجتمع.

تشير استطلاعات الرأي العام إلى أن ما يناهز ثلث الدنمركيين هم متسامحون مع المسلمين، كما أظهر استطلاع أجرته مؤسسة (Gallup) لصالح مؤسسة (Berlingske) في عام 2013 أن نسبة 32% من الدنمركيين متسامحون للغاية مع معتنقي الإسلام، وأن نسبة 38% متخوفون من توطد علاقة الصداقة بين ابنهم أو ابنتهم مع من يعتنق الدين الإسلامي. ينظر بعض الدنمركيين إلى المسلمين والعرب على أنهم يمثلون مجموعة تعاني من التأخر الحضاري والمعرفي من كثرة ما يُردَّد ويُروَّج عنهم، ومع ذلك هناك نسبة من الدنمركيين تعاملهم بمنظار مختلف. تحضر هذه المفارقة- في المتن الصحفي- بامتعاض الكثير من الدنمركيين من تزايد عدد المسلمين في بلدهم، ومن احتمال تعاظم الخطر الإسلامي في الحياة العامة، وتنويه البعض منهم (ملفوظ أ) وملفوظ (د)) بالخصال الحميدة للمسلم، واعتبار ثقافته مصدرا من مصادر التعدد الثقافي في الدنمرك.

2-1-3- النعوت الأكسيولوجية:

أ- "أخشى المسلمين المسعورين الذين يرهبون المسلمين المعتدلين. إنه لأمر محزن للغاية أن مجموعة صغيرة من المسلمين المسعورين يمارسون الضغط على مكتبي، وعلى المسلمين المعتدلين الآخرين حتى لا يكونوا نشطاء في السياسة"⁽¹⁾.

1- Redaktør, "Muslimske lokalpolitikere trues på livet", *Jyllandsposten*, 27.10.2006, p.8.

ب- "شكراً لمقال ميكائيل جالفينج (Mikael Jalving) حول الإسلام والإرهاب المتزايد. يمكن تقسيم القرآن قسمين، يُعتبر الجزء الأول متسامحاً بدعوة المسلمين واليهود والمسيحيين للعيش بسلام معاً، أما الجزء الثاني المتطرف فيدعو اليهود والمسيحيين إلى دفع الجزية إلى المسلمين لتفادي بتر أذرعهم وسيقانهم"⁽¹⁾.

ج- "إنَّ الهجوم الأمريكي على المسلمين في أفغانستان هو هجوم على المسلمين جميعهم في العالم. لذلك من واجب المسلمين رفض أي تعاون مع الأمريكيين في الشؤون الإسلامية. دعت الحركة الإسلامية المتطرفة إلى القتال ضد الولايات المتحدة في تجمع حاشد مساء الأربعاء"⁽²⁾.

د- "لا يمكن للمرء أن يتخلى عن الهوية الإسلامية. الإسلام دين متشدد. إذا كنت مسلماً أو أصبحت مسلماً، فلا يمكنك الخروج عن الإسلام. كلٌّ من ارتد عن الإسلام إلى دين آخر أو أنكر رسالة الرسول الإلهية هو خارج عن القانون، ومصيره الموت"⁽³⁾.

هـ- "نشأت فاطمة في مجتمع يخضع إلى سيطرة الشريعة الإسلامية الصارمة في الشرق الأوسط. وهذا هو سبب تعرُّفها المشاكل التي تواجهها المرأة المسلمة عندما يتعين عليها العيش في الغرب. يتضح من وعظ الأئمة أنَّ المسلمات غير المخلصات والمسلمات المرتدات يجب جلدن أو رجمهن. بالإضافة إلى ذلك، يجب عليهن عدم رفض ممارسة الجنس مع زوجها أياً كانت أحوالها"⁽⁴⁾.

و- "احذروا من خطر كبير وتهديد يسمى الإسلام. يتظاهر بأنه ديانة، لكن أهدافه دنيوية للغاية: الهيمنة على العالم، والحرب المقدسة، وقانون الشريعة، ونهاية الفصل بين الكنيسة والدولة، ونهاية الديمقراطية. الإسلام ليس ديناً، إنه إيديولوجيا سياسية، يتطلب منك أن تحترمه، ولكنه لا يحترمك. قد يكون هناك مسلمون معتدلون، لكن لا يوجد إسلام معتدل. الإسلام لن يتغير أبداً. لن يختفي أبداً لأنه يقوم على ركيزتين أبديتين، وهما: أولاً القرآن أو

1- Bent Thygesen, "Koranen kan deles i to dele", *Jyllandsposten*, 19.6.2016, p.10.

2- Helle Ib & Carsten ellegaard, "Muslimer: USA er fjenden", *Jyllandsposten*, 25.10.2001, p.9.

3- Henning Reelsbo, "Islam i Danmark", *Jyllandsposten*, 17.5.2016, p.4.

4- Jonas Hvid & Jacob Haislund "Kvinde hænges ud som TV2's muldvarp", *Jyllandsposten*, 11.2016, p.5.

كلام الله الذي لا يتغير إلى الأبد بغض النظر عن الزمان والمكان. ثانيًا الإنسان أو الرجل الكامل محمد بصفته نموذجاً يجب على المسلمين جميعهم الاقتداء بسنته في الحياة. بما أن محمداً كان أمير حرب وغزو، فنحن نعرف ما ينتظرنا. الإسلام يعني الخضوع"⁽¹⁾.

ز- "إنَّ ديناً يحتوي على سمات الشمولية مثل النازية ممنوع بموجب "بند العنصرية". قد يكون الإسلام عقيدة بالمعنى القانوني، لكن البعض يسميه موقفاً سياسياً. بما أنَّ هذا الموقف قد مضى عليه الآن أكثر من ألف عام ولم يتغير تماماً، يجب أن نعتبره إيماناً في نظر القانون عكس الشيوعية والنازية اللتين اعترفاً بهما كأيديولوجيتين منفرتين"⁽²⁾.

ح- إنَّ الإسلام ليس مجرد دين، إنه أيديولوجيا سياسية تدعو إلى الخلافة. بمعنى آخر، إنَّ المسلمين يهدفون إلى إقامة دولة إسلامية عالمية، يجب أن تكتسح أوروبا أيضاً، بما في ذلك الدنمرك. الهدف من ذلك هو حض الجميع على اعتناق الإسلام. يعتقد جهاز المخابرات الدنمركي أن مسجداً كبيراً في آرهوس هو بؤرة لنشر النشاط الإرهابي البشع"⁽³⁾.

يعبر "المتحدث الدنمركي" عن قلق المجتمع الدنمركي وخشيته من الإسلام والمسلمين. ولذلك، نجده متوجساً بصفة عامة من الإسلام المتشدد، لأنه يُراهن على الشمولية والاستحواذ والهيمنة العالمية، ويهدد أمن الدنمركيين واستقرارهم. ازدادت النعوت قتامة بسبب تزايد العمليات الإرهابية في مختلف بقاع المعمورة، وهو ما استغله "المتحدث الدنمركي" بالدعوة إلى إجلاء المسلمين من التراب الدنمركي، وخاصة من ينتهي إلى الجماعات "الصغيرة" في عددها وحجمها لكنها "خطيرة" في توجهاتها المتطرفة والإرهابية.

نعائين -كما يتضح من النعوت- لغة التعميم بوضع المسلمين كلهم في سلة واحدة؛ ما يدل على جهل "المتحدث الدنمركي" تعاليم الدين الإسلامي من جهة، واستخدام لغة الخشب، لمغالطة الرأي العام الدنمركي، ودغدغة مشاعره من جهة ثانية.

1-Morten Jensen, "Sharia ved stedfortræder", *Jyllandsposten*, 18.2.2009, p.7.

2-Redaktøren, "Racisteri", *Jyllandsposten*, 4.9.2010, p.8.

3- Peter Fischer-Nilsen, "Moskeen er en menneskeret", *Jyllandsposten*, 11.4.2006, p.8.

3-1-3- النعوت الموضوعية:

أ- "في يوم واحد، تضاعف عدد الأعضاء الدنمركيين المؤيدين لحركة المسلمين الديمقراطيين. يضم تيار المسلمين الديمقراطيين- الذي نشأ بمبادرة من السياسي الراديكالي ناصر خضر- مجموعة من المسلمين المعتدلين، تناهز حالياً 900 شخص. تساند مجموعة من الدنمركيين المبادرة"⁽¹⁾.

ب- "نشأت في مدينة "فايلة" (Veile)، وذهبتُ إلى فصل دراسي بالمدرسة الابتدائية، حيث كان حوالي ثلثهم من المسلمين. أنا سعيدة حقاً بذلك. إنهم مختلفون. ثقافتهم مختلفة بلا شك، ولكن المثير بشكل لا يصدق هو السماح لي بمعاينة تجربة ثقافية مختلفة عن ثقافتني. لا أرى -على الإطلاق- فرقاً بيني وبينهم"⁽²⁾.

ج- "هناك صدام مباشر بين الشريعة الإسلامية والقانون المدني العلماني في ماليزيا. تشعر الأقليات الدينية أنَّ التأثير المتزايد للإسلام يقوض هويتهم. إنَّ الإسلام خلق انقسامات بين الجماعات العرقية في ماليزيا"⁽³⁾.

د- "سار حتى الآن كل شيء يتعلق بهجرة المسلمين بشكل أسرع وأسوأ مما توقعه أسوأ المتشائمين قبل ثلاثين عاماً. توجد مناطق "غيتو" كبيرة للمسلمين في جميع المدن الأوروبية الكبرى، حيث لا يستطيع أي أحد- بما في ذلك أعضاء الشرطة والسلطات المحلية- التحرك بحرية في أحضانها"⁽⁴⁾.

هـ- "أيدت ثلثة من المناظرين الاجتماعيين المسلمين في الدنمرك قرار الإمام الفرنسي. وهو قرار وُصف بأنه إشارة واضحة تماماً على أن الإرهاب والإسلام لا يجتمعان معاً (...). بالطبع، لا يمكنك التخلي عن الإرهابيين القتل. لكن السؤال الذي يطرح: هل يجب دفنهم وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية؟ لا أعتقد أنهم يستحقون ذلك. إن ارتكاب الإرهاب ضد الكنيسة

1- Orla Borg, "6.000 HK'ere ind i muslimsk netværk", *Jyllandsposten*, 28.2.2006, p.11.

2- Vagn Marie Hansen, "Det er i mødet med hinanden, det går op for os, at der slet ikke er så stor forskel på os og dem", *Jyllandsposten*, 21.4.2017, p.5.

3- Martin Gøtttske, "Dobbelt retssystem fører til splid", *Jyllandsposten*, 11.5.2016, p.7.

4- Thomas Claus Nielsen, "Næstekærlighed og ondskab", *Jyllandsposten*, 2.10.2015, p.12.

هو عمل مقرف ومثير للاشمئزاز. يجهر المسلم لبقية المواطنين ولجميع المسلمين بتبرئته من الهجمات الإرهابية التي لا تمت إلى الإسلام بصلة. أنتم تمارسون ضغطاً دينياً داخلياً على المسلمين⁽¹⁾.

و- "ندعم نحن -الدنمركيين- رفاقنا، ونسعى معاً إلى الخروج من هذا الوضع بمزيد من الديمقراطية، وبالمزيد من الانفتاح، وبالمزيد من الإنسانية، ولكن دون سذاجة. نقول للإرهابي الذي يعتقد أنه مسلم: إن عملك لا يعبر عنا، ولا شيء فيه يرتبط بالإسلام. ما فعلته هو تعبير عن الفكر الشرير والظلامي"⁽²⁾.

ي- "حين نتحدث عن الإسلام، نذكر أفغانستان وطالبان، والمجازر السياحية المرتكبة ضد الأجانب في الأقصر، وتفجيرات نيروبي، وحماس، وحزب الله. بغض النظر عما يقال عن الإسلام، ما زلنا مضطرين -باستمرار- إلى استحضار مثل هذه الصور المخيفة. هناك شيئان يحدثان بصورة خاطئة هنا: أولاً صورة مشوهة للإسلام بما تتسم به من تبسيط وتصنيف، وثانياً صورة مشوهة خطيرة تمنعنا من رؤية ما يجري بالفعل"⁽³⁾.

أكثر الصفات تواتراً تتعلق بالإرهاب والتطرف والأصولية للتدليل على أن الإسلام دين يعمل خارج إطار الحداثة، وهو أيضاً دين "مغلق" و"جامد"، وإبراز أن المسلمين يطالبون بعودة "نظام الخلافة"، ويسعون إلى استرجاع "العصر الذهبي" لديهم. وهو ما يجعلهم يتبنون "الفكر الشرير والظلامي" الذي لا يمتُّ إلى الدين الإسلامي الحنيف بأية صلة، والذي يشكل خطراً على أمن الدنمركيين واستقرارهم.

رغم هذه النظرة القاتمة ضد الإسلام بسبب تنامي العمليات الإرهابية في العالم وقتئذ، يحرص "المتحدث الدنمركي" على فهم الإسلام كما هو لا كما يُروَّجُ له بطريقة مشوهة

1- A Steen Jørgensen, "Dansk imam bakker op om fransk kollegas nej til at begrave terrorist", *Jyllandsposten*, 4.8.2016, p.10.

2- Michelle Hald, "Moskeer i Danmark: Vi tager stærkt afstand fra terrorangrebet", *Jyllandsposten*, 15.2.2015, p.7.

3 - *Ibid*, p.7.

ومدبرة، وعلى دعم المسلمين الديمقراطيين والمعتدلين الذين يسعون إلى الاندماج في الحياة الديمقراطية والإسهام في المجال الديمقراطي وتعزيزه باحترام القوانين المعمول بها.

4- الأفعال الذاتية

ترى كاترين كيربرات أوريكيوني أنه "من اللائق أن نعيد تأكيد الاحتراس الخطابي الآتي: لا يشذ استخدام أية وحدة معجمية وكذا الأفعال عن القاعدة، بدعوى أنها تعتبر -بمعنى من المعاني - ذاتية أو توكيدا (مثل، يجري بيير) أو نفيًا (مثل، بل يمشي). ولبعض الأفعال مثل "أحب" قيمة ذاتية أكثر من "أشتري". وحتى في الحالة الأولى لا يعني "أحب شقائق النعمان" ما يفى به معنى "أحب الورود". وتثير الأفعال على مستوى التحليل، كما توضحه الأمثلة المقارنة الآتية، مشاكل معقدة بسبب الظروف والنوع ذات القيمة التثمينية التي يؤديها المتكلم"⁽¹⁾.

يرى محمد بن الرافه البكري أنه "لا يمكن لتحليل الخطاب أن يتغافل عن مشكل الذات، لأنَّ علاقة الخطاب بالمتكلم ولعبة الضمائر يوجدان في لبِّ موضوعه"⁽²⁾. ترى "ألينا إسرائيلية" (Alina Israeli) أن للعامل البشري في اللغة شقين: أولاً "إن اللغة ليست مجرد انعكاس مباشر للعالم، لكنه يمثل الواقع من خلال منظور مفاهيمي. تتأثر المفاهيم اللغوية بالثقافة التي تتأثر - بدورها- بالمفاهيم اللغوية. والشق الثاني هو المظهر الفعلي للكلام"⁽³⁾.

تعرف "ألينا إسرائيلية" الذاتية بأنها "رغبة المتحدث في الاختيار، عندما تقدم اللغة طرائق مختلفة لوصف حقائق معينة، والمتحدث- بطبيعة الحال- يختار إحدى تلك الطرائق وفق المقام الذي يوظف حديثه.

1-Chatherine Kerbrat-Orecchioni, *L'énonciation de la subjectivité dans le langage*, op.cit., p.100

2- البكري، محمد بن الرافة، التحليل اللساني للخطاب السياسي، ج1، منشورات المندوبية السامية للقدماء المقاومين، ط1، الرباط، 2018، ص. 224.

3- Alina Israeli, *Semantics and Pragmatics of the Reflexive Verbs in Russian*, Slavistische Beiträge, Band 349. Erlag Otto Sagner München * Berlin * Washington D.C., 1.ud, 1997, p.13.

4-1- الأفعال الذاتية التثمينية:

أ- "لا يوافق" الحزب الليبرالي "و" الحزب الاشتراكي الديمقراطي "على مطالبة" حزب التحرير" المسلمين بمقاطعة الانتخابات. إنها جولة جديدة من هراء "حزب التحرير" الذي يحارب من أجل إقامة دولة إسلامية معتبرا الديمقراطية غير إسلامية، واختراعاً غربياً يخالف الشريعة. الانتخابات هامة للغاية لأنها تهم حياة الناس"⁽¹⁾.

ب- "سنفعل كل ما في وسعنا -في إطار الدستور- لمكافحة التطرف والراديكالية اللذين يُقوّضان حرياتنا الديمقراطية، ويمثلان- بالنظر إلى طبيعتهما- هجوماً مضاداً على الدنمرك التي ننشدها. يغريني إغلاق المسجد ومقرّ "حزب التحرير" وغيرهما من الأمكنة التي تروج فيها وجهات النظر والمواقف والقيم التي لا أعتقد أنها متوافقة مع القيم الدنمركية المنفتحة والديمقراطية"⁽²⁾.

ج- "لم تكن الرسوم مخالفة للقانون الدنمركي، بل انتهكت -بلا شك- مشاعر العديد من المسلمين، وهو ما يجب أن نعتذر عنه. لم يصدر عذر مباشر عن نشر الرسومات لطمأنة المشاعر المستاءة. أصر "فوغ" على حرية التعبير، لكنه ذكر أيضاً أنه شخصياً لن يصور محمداً أو عيسى أو أية شخصية دينية أخرى بطريقة تسيء إلى الآخرين"⁽³⁾.

د- "نحن في حرب مع الإسلام. إنّه صراع بين الحداثة والهمجية كما يسخرها الإسلام. أنا لست مسلمة. لكنني ما أزال مرتبطة بهذا الدين بالولادة وليس الإيمان. أنا أيضا لا أؤمن بالتحاليم الإسلامية"⁽⁴⁾.

هـ- "في الاجتماع الوطني الراديكالي، تبيننا موقفاً صريحاً ضد الحكم على امرأة بالرجم في نيجيريا، وهناك أحكام مماثلة صدرت في إيران"⁽⁵⁾.

1- Sarah Kott, "Hizb ut-Tahrir til muslimer: Lad være med at stemme", *Jyllandsposten*, 7.11.2013, p.4.

2- Steen A. Jørgensen, "Justitsministeriet: Umuligt at lukke Grimhøjmoskeen", *Jyllandsposten*, 14.1.2015, p.8.

3- Bonde Mads Broberg, "10 år efter: Fra Muhammed-tegninger til terrorplaner", *Jyllandsposten*, 25.9.2015, p.7.

4- Niels Lillelund, "Wafa Sultan er klar til kamp", *Jyllandsposten*, 17.6.2009, p.11.

5- Naser Khader, "Fatal uvidenhed om Sharia-lovgivning", *Jyllandsposten*, 4.10.2002, p.9.

و- "غالبية السياسيين الراديكاليين في مجلس مدينة كوبنهاغن غير راضين على دعوة تنوير أحمد المسلمين بالصلاة الجماعية بساحة البلدية في كوبنهاغن في 4 أبريل 2003. عبر الرئيس الراديكالي "سورين بالد" عن استيائه من هذا الفعل. إنهم يتأسفون أيما تأسف عن الحدث الذي يمزج الدين بالسياسة، ويخشون أن يؤدي إلى مزيد من الانقسام بين المسلمين الدنمركيين وبقية السكان. والحال هكذا، لا يسعنا إلا أن نحث "تنوير أحمد" على إلغاء الصلاة المشتركة في ساحة البلدية في 4 أبريل"⁽¹⁾.

ز- "هل القيم الدنمركية أفضل من قيم المسلمين؟ وزيرة الداخلية كارين جيسبرسن (Karen Jespersen) أجابت بالإيجاب. قد أخطأت بإحداث ضجة عارمة، ثم حذت المتحدثة القانونية باسم "الحزب الليبرالي" بيرث رون هورنبيش (Perth Ron Hornbech) حذوها بشن هجوم على المتطرفين المسلمين الذين لا يجرؤون -في نظرها- على القول بصوت عالٍ إن التعاليم الإسلامية تتعارض مع الديمقراطية"⁽²⁾.

ح- "آسف، لكنني أعتقد أنّ هذا سؤال مهم في وقت تساوي الأحزاب- بقيادة "حزب الشعب الدنمركي"- بين المسيحية والإنسانية والديمقراطية وحقوق الإنسان، لكنها -بالمقابل- تنعت الإسلام بالدين المتشدد، وتعتبره سبباً للشر وأداة للشيطان"⁽³⁾.

ط- "إن المسلمين عنصريون، وغير متسامحين، ومتخلفون، وأنانيون، وعدوانيون. سيؤوّن إلى الآخرين رجالاً ونساء. المسلمات أيضاً يتعرضن للظلم والاضطهاد من قبل الأزواج والإخوة والآباء. لكنهن يبدن مثل أزواجهن العدوانية نفسها تجاه المجتمع الوثنى"⁽⁴⁾.

ي- "إنه من غير المقبول أن يكون نصف عدد المسلمين فقط في الدنمرك يؤيدون الدستور بصفته قاعدة للقانون. يجب أن يدعم كل فرد في الدنمرك الدستور. لا نقبل الآخر. إن كنت ضد الديمقراطية، ماذا تفعل في الدنمرك إذا؟"⁽¹⁾.

1 -Klaus Bondam& Monica Thon," Ikke på Rådhuspladsen", Jyllandsposten, 2.4.2003, p.6.

2-Bjarke Larsen, "Bekvemmelighedskristne", Jyllandsposten, 30.10.2001, p.5.

3- Bjarke Larsen, "Bekvemmelighedskristne", Jyllandsposten, ibid., p.5.

4- Tage Clausen, "JP-anmeldelse: Det ser sort ud", Jyllandsposten, 26.8.2002, p.8.

تتضمن فئة من الأفعال الذاتية (لا يوافق، نشدها، تساوي، يقوضها، يؤيد، تتعارض، يتأسفون أيما تأسف، يخشون) موقفا سياسيا تثمينيًا للتمييز بين من يؤمن بأحكام الشريعة الإسلامية ومن يدعم القوانين الدستورية. ومن بين القضايا التي تستأثر باهتمام "المتحدث الدنمركي" سعي "حزب التحرير" إلى إنشاء الدولة الإسلامية في الدنمرك ورجم النساء، ودعوة أحمد تنوير إلى الصلاة الجماعية في الفضاء العمومي. يضع "المتحدث الدنمركي" حدًا بين من يدعم الديمقراطية الدنمركية ومن ينتصر للشريعة الإسلامية، ويحث كل من يريد أن يعيش بين ظهرانهم أن يكون متشبعًا بالقيم الديمقراطية، ومعتدلاً في ممارسة شعائره الدينية دون معاداة من يخالفه الرأي أو يتدين بدين آخر غير الإسلام.

يستعمل "المتحدث" أيضا أفعالاً تستتبع في الآن نفسه فعلاً (القيام بعمل ما) وتأثيراً (ترك أثر في النفوس) وتعبئة وطنية (استنهاض الهمم). ومن ضمنها نذكر أفعالاً (تبئنا، أصر، نحث) تتطلب اتخاذ موقف حازم وصارم من عواقب الهجرة وتبعاتها في الدنمرك، وخاصة من تزايد عدد المهاجرين المسلمين الذين أصبحوا يفرضون نمط عيشهم وحياتهم وطريقتهم في التعبد على المجتمع الدنمركي، ويهددون القيم الدنمركية التي تعزز الوئام والانسجام بين المواطنين أيا كان لون بشرتهم ودينهم ولغتهم وأصلهم.

تندرج فئة من الأفعال في "المنطقة الموحلة" التي تفصل بين ذاتيتين أو تلقطين على الحدود؛ ومن ضمنها نذكر: انتهك، وأساء، وأخطأ. وهو ما يبين أن "المتحدث الدنمركي" يحرص -لحساسية بعض المواقف- على التخفيف من حدة حديثه عن المسلم، ومراعاة أحيانا مشاعره دون المساس بمعتقداته. يتوخى "المتحدث الدنمركي" بذلك تفادي إثارة حساسية المسلمين بتأطير الحديث على "الجماعات الإسلامية المتشددة" وتقريعها ولومها على أفعالها.

يتحمل فعل "أساء" معنيين على الحدود: طرف يسيء إلى الرسول (صلعم) بالرسوم الكاريكاتورية ساعياً إلى إغاضة المسلمين، وطرف آخر يسيء إلى الآخرين بتكدير عيشهم. وهذا

1- Dan Jørgensen, "Hvis man er imod demokrati, hvad laver man så i Danmark", socialdemokratiet, 6.6.2015, p.9.

ما يؤدي إلى تنامي مشاعر الكراهية على الحدود بين الطرفين. والإساءة في السياقين لا تعني الجهر بالقبيح والشنيع حيال طرف بل إلحاق ضرر معنوي به إن لم نقل إصابته بجرح قد تتوارثه الأجيال القادمة.

4-2- الأفعال الذاتية العاطفية:

أ - "حزب الشعب الدنمركي يكره المسلمين"⁽¹⁾.

ب- "إنَّ صحيفة "يولاندس بوستن" تعادي الإسلام، وتدعو إلى كراهية المسلمين"⁽²⁾.

ج- "إنَّ الاتحاد الأوروبي كنَّ بالأمس ويكنُّ اليوم وسيكنُّ غدا احتراماً للمسلمين. لم يقصد أبداً المساس بمشاعرهم. هذا ليس من نيتنا، ولم يكن من نيتنا، ولن يكون من نيتنا"⁽³⁾.

د- "سمعنا صوت بعض المسلمين المندمجين والمتوازنين والإيجابيين والسعداء لمؤازرة الدنمرك. كان علي أن أغيّر موقفِي السلبِي تجاه المسلمين بشكل عام. دعونا في المستقبل نسمع إلى الكثير عن المسلمين السعداء المندمجين جيداً في وسائل الإعلام جميعها حتى نتمكن من تحقيق التوازن المنشود"⁽⁴⁾.

هـ - نحن في حالة حرب. الإسلاميون ونحن، بعضنا ضد البعض. إذا أردنا الفوز، يجب أن نتمسك بالقيم والمبادئ الديمقراطية. إنها أفضل طريقة، بل الطريقة الوحيدة للحفاظ على مجتمعنا. إنَّ القيم هي أقوى سلاح وأفضله في الغرب لمحاربة شرِّ الإرهاب الشيطاني. يجب أن نعتز بقيمتنا؛ قيم الغرب هي أفضل حماية ضدَّ الإرهاب، لأنها تقوم على التسامح محبةً لله، وإذابةً للكراهية"⁽⁵⁾.

1- Søren Egge Rasmussen, "Indblanding", *Jyllandsposten*, 20.11.2001, p.8.

2-Torben Jørgensen, "Egen skyld", *Jyllandsposten*, 27.9.2006, p.9.

3- Redaktør "Solana i Jeddah for at tæmme Muhammed-krisen", *Jyllandsposten*, 13.2.2006, p.11.

4- Hanne Borello, "Velgørende meninger", *Jyllandsposten*, 18.1.2006, p.9.

5- Frode Laursen, "Terror-våben", *Jyllandsposten*, 5.1.2002, p.7.

و- "نسأل أنفسنا: كيف نحارب الإسلام الراديكالي، وكيف نُؤمِّنُ مجتمعاتنا من هذا التهديد؟ لكن السؤال الذي لا يُطرح: لماذا يكرهوننا؟ ألقى أوباما- في خضم الحرب ضد الإرهاب- أكثر من مئة ألف قنبلة وصاروخ (...). أودّ أن أصل إلى جواب ليس من الحكومة فقط، بل من الأحزاب أيضا التي تتداول السؤال نفسه: لماذا يكرهنا المسلمون؟⁽¹⁾.

من خلال الأفعال يتضح أن "المتحدث الدنمركي" يكن احترامًا للمسلمين المعتدلين أو المسلمين المندمجين جيداً في المجتمع الدنمركي، لكنه يتوجس أيضاً من "الإرهاب الشيطاني" الذي يهدد أمن الدنمركيين واستقرارهم، ويشكل خطراً على القيم الغربية العلمانية التي تحمي التعدد والاختلاف على أساس العمل والأداء وليس بالاحتكام إلى العرق والدين.

وردت أفعال (يكره، يعادي/ نتمسك، نعزّز/ نكن الاحترام) تدل من جهة على كره "المتحدث الدنمركي" للمسلمين ومعاداتهم لأنهم يحرصون على التشبث بثقافتهم الأصلية وعاداتهم وشعائيرهم الاجتماعية والدينية، وتبيّن من جهة ثانية أنه معترّز ومتمسك بالقيم الديمقراطية التي ينبغي لهم الامتثال إليها لأنها تقيمهم من الشرور والعبث والفساد، وتوطد انسجامهم وتفاهمهم وتواصلهم مع المواطنين الدنمركيين كافة. تعتبر ردود فعل المسلمين تجاه المواقف المتخذة في حقهم ضرباً من الكراهية المتأصلة في طبيعتهم وطويتهم.

3-4- الأفعال الذاتية مؤقتاً:

وهي أفعال الجهات التي تستتبع - بحسب شارل باي- تمييزاً ما، و"يعبر من خلالها المتكلم عن موقفه من تمثيل بصري"⁽²⁾. وهي "بمنزلة أفعال تمييزية لمواقف قضوية"⁽³⁾. أ- "نحتاج إلى أخذ تحدي الإسلام على محمل الجد"⁽⁴⁾.

1- Kristian Thorup, "Hvorfor hader muslimerne os", *Jyllandsposten*, 6.3.2017, p.10.

2- Chatherine Kerbrat-Orecchioni, *L'énonciation de la subjectivité dans le langage*, op.cit., p.102.

3- *Ibid.*, p.100

4- Maja korshin, "Minister roser dronningen", *Jyllandsposten*, 15.4.2005, p.11.

ب - "إذا كان الدين الإسلامي لا يستطيع أن يعيش في ظل القانون الدنمركي، فعليه أن يجد مكاناً آخر للعيش فيه، لأننا لا نستطيع ولن نعيش تحت قبضة الشريعة"⁽¹⁾.

ج- "لا يمكن اعتبار المسلمين مواطنين دنمركيين، بينما لا تزال العديد من النساء المسلمات يرتدين الحجاب الذي يشير إلى دين له نظرة معادية لمختلف المؤمنين، ويصف الرجال بأنهم كلاب كافرة، والنساء عاهرات. وفي الوقت نفسه، يحافظون على حياة تتسم بالشعائر الإسلامية كما هو الحال في بلدانهم الأصلية. يحصل ذلك غالباً دون أن يبذلوا جهداً لتعلم اللغة الدنمركية، أو تعلم أسلوب حياتنا. "وَيْلٌ لَنَا إِنْ ذَهَبْنَا إِلَى أَوْطَانِهِمْ دُونَ احْتِرَامِ ثِقَاتِهِمْ وَدِينِهِمْ"⁽²⁾.

هـ - "لماذا تريد المسلمة ارتداء الحجاب؟ ولماذا المسلم الصالح لا يريد أكل لحم الخنزير أو شرب الخمر؟ ولماذا لا تتزوج المسلمة من دنمركي؟ هذه بعض الأمثلة عن المبادئ التوجيهية الإسلامية التي توصي بها قوانين الشريعة الخالدة"⁽³⁾.

تتضمن الأفعال من هذا النوع حكماً عاطفياً يتأرجح بين نظام الخير ونظام الشر، ويضع حداً بين موقفين متعارضين ومتوازيين (أنصار الديمقراطية ودعاة الشريعة الإسلامية). من يحبذ العيش في كنف الديمقراطية؛ ومن ضمنهم مسلمون استطاعوا أن يندمجوا في البيئة الجديدة، ويحققوا نجاحاً في حياتهم، ويصبحوا سعداء وإيجابيين في مواقعهم الثقافية ومواقفهم السياسية، ومن يريد- عكس ذلك- أن يظل محافظاً على هويته وعاداته (ارتداء الحجاب والزي الإسلامي، وأداء الصلاة الجماعية في العراء، وامتناع المرأة المسلمة عن الزواج من غير المسلم). وهو ما يحدث توتراً هوياتياً ونفسياً في "الفضاء الثالث"، ويؤجج مشاعر الكراهية لدى الجانبين معاً.

تؤدي الأفعال الذاتية من هذا النوع إلى ما يلي:

- تخيير المسلم بين العيش في الدنمرك وفق قوانينها أو ضوابطها وبين المغادرة للاستقرار في البلد الذي يناسب نمط تفكيره وعيشه.

1- Poul Højlund, "Islam skal være underlagt dansk lov", *Jyllandsposten*, 13.10.2017, p.9.

2- Iver Schmidt Sørensen, "Der er sket store forandringer", *Jyllandsposten*, 6.7.2017, p.9.

3- Kurt Charleman, "Frygten for Allahs straf fører meget dårligt med sig", *Jyllandsposten*, 29.9.2017, p.9.

- تخويف الرأي العام الدنمركي من التعرض إلى سوء معاملة إن أشهر اختلافه مع المسلمين في عقور دارهم "ويل لنا إن ذهبنا إلى أوطانهم دون احترام ثقافتهم ودينهم"، والسخرية من المسلمين الذين يكذبون عيش الدنمركيين بعاداتهم وسلوكياتهم "المستفزة" دون مراعاة حسن التعايش.
- مغالطة الرأي العام باعتبار المسلم مصدراً للشر والتهديد والكراهية، ونعت الدنمركي بكونه إنساناً محبباً للسلام ومنصفاً.

5- أفعال الكلام

أقام "جون أوستن" تمييزاً بين الملفوظات التقريرية والملفوظات الإنجازية لبيان أنه لا يحتكم في التلفظ الإنجازي إلى قول الحقيقة أو مجابته، بل إلى الفصل بين الأفعال السعيدة (ما يسعف على تحقق الفعل) والأفعال التعيسة (ما يحول دون تحققها)⁽¹⁾.

أكتفي باعتماد الأمثلة الآتية:

أ- "بعد قراءة منشور بياكاسكارد، يجب أن يكون واضحاً للجميع ما تمثله القائمة ⁽²⁾ من كراهية شديدة للمسلمين. يقوم الحزب بالكثير من الجهد لإقناعنا بأن قائمته الانتخابية البرلمانية تحوي نظرة وافية عن المسلمين، لكن الحزب الذي تراجعت شعبيته، استفاد- مع ذلك- من بعض المواقف لبث كراهيته للمهاجرين، ونشر الخوف بين الدنمركيين توجساً من استقواء الإسلام"⁽³⁾.

ب- "غزال خان- الذي أطلق عليها أخوها النار في مدينة روسكيلد العام الماضي- هي ضحية تقاليد العصور الوسطى التي لا تزال للأسف تميز جزءاً من العالم عن غيره. إنها ليست الأولى وللأسف، ولن تكون الضحية الأخيرة أيضاً. يجب أن نغير القانون حتى يحصل القتل على أقصى العقوبات الممكنة وليس الاقتصار على الترحيل أو السجن مدى الحياة. في

1- John Langshaw Austin, *How to do things with words*, University Press, 2edi, Oxford, 1962,p.92

2- الرمز الانتخابي لـ "حزب الشعب اليميني".

3- Egge Søren Rasmussen, *Indblanding*, Jyllandsposten, *op.cit.*, p.8.

رأيي، يجب على المرء أن يخاطب أولاً وقبل كل شيء الأسرة والأجيال القديمة من المسلمين المهاجرين واللاجئين لحفزهم على احترام المرأة"⁽¹⁾.

ج- "حتى الآن، انخرط عشرات الآلاف بل مئات الآلاف في مجموعة افتراضية على الانترنت للتوقيع . يطالب الموقعون- فيما يتعلق بمعتقدات المسلمين- بإظهار الاحترام لهم وإزالة الرسوم عن النبي محمد. في الواقع، لا يوجد سبب معين لاحترام معتقدات المسلمين ومشاعرهم (...). لن نعتذر لكم أبداً، يجب أن تكسبوا احترامنا المحتمل، واحداً تلو الآخر"⁽²⁾.

د- "يجب طرد المسلمين الأصوليين، سوف يصرخ دعاة الإنسانية بأنه لا يمكننا طردهم، لأنهم يعتقدون أنه يجب علينا الالتزام بالاتفاقيات الدولية. الأصوليون المسلمون سوف يسببون لنا ولدعاة الإنسانية الضرر، وعلينا أن نفعل ذلك في هذه الحالة، كما يجب علينا حماية الأمن القانوني للدنمرك وللدنمركيين، والقيام بما في وسعنا، سواء أكان ذلك وفقاً لتقليدنا أم لا، لاتخاذ الإجراءات اللازمة حتى لا تصبح الدنمرك قاعدة لمزيد من الإرهابيين المسلمين"⁽³⁾.

و- "إذا كنت مسلماً أتيت للتو إلى الدنمرك وحصلت على حق اللجوء، أو كنت هنا منذ كان عمرك عامين، أو إذا كان والداك قد حلا بالدنمرك منذ أكثر من عشرين عاماً، فستُصنّف في الفئة نفسها: مسلم. لا يهم من أنت، ما يهم هو ثقافتك ودينك. من الصعب التشكيك في كونكم دنمركيين. بغض النظر عن شعورهم الدنمركي، يجب أن تتسع قلوبنا للدنمركيين والمسلمين كلهم"⁽⁴⁾.

ز- "إنَّ القيم الديمقراطية (حرية الكلام، وحرية الدين، والمعاملة المتساوية) صالحة لي إلى الأبد، وبالتالي، يجب أن يقبلها أي شخص يريد أن يكون في هذا البلد، مسيحياً كان أم مسلماً أم يهودياً، أم بوذياً أم ملحدًا. ما يعلن عنه الفرد هو مسألة خاصة به؛ لذلك يجب

1- Arei Ghafur, "Kvinden skal selv vælge ", *Jyllandsposten*, 29.6.2006, p.3

2- Per Harry Hanse, "Muhammed på netter", *Jyllandsposten*, 16.2.2008, p.5.

3-Henrik Sørensen, "Ophævn statsborgerskabet ", *Jyllandsposten*, 1.11.2001, p.12.

4-Alexander Skjernov Asboe, "Man kan både være dansker og muslim ", *Jyllandsposten*, 9.6.2017, p.13.

على الأشخاص الذين يعيشون في الدنمرك أداء الصلاة لمن يعبدون، لكن القيم الدنمركية يجب احترامها"⁽¹⁾.

ن- "ينبغي وضع قائمة بالدعاة المسلمين الأجانب المتطرفين الذين يجب منعهم من دخول البلاد. إنَّ حرية التعبير للأئمة المتطرفين المقيمين هنا يجب تقييدها بالفعل. وينبغي أن يسقط حق الأئمة في إبرام عقود الزواج إذا بشروا بالكراهية"⁽²⁾.

تتواتر الأفعال الجهمية في المتن بالصيغ الآتية:

- صيغة الوجوب مثل: يجب علينا/ يجب أن نقدم/ يجب/ يجب على/ ينبغي

- صيغة الطلب: أطلب/ ندعو

- صيغة التعبير: أود/ يتم قبولها

- صيغة الإرادة: نريد/ يريد/ يريدون

يراهن "المتحدث الدنمركي" أساسًا على "صيغة الوجوب" التي تستدعي شروطًا مناسبة لتنفيذ محتوياتها (توافر عوامل النجاح والسعادة)، وفي حال ما أن استمر التوتر على الحدود بين الثقافتين الدنمركية والإسلامية ستؤول "صيغة الوجوب" والصيغ التي تدور في فلكها (الطلب والتعبير والإرادة) إلى الإخفاق.

لكن "المتحدث الدنمركي" يستثمر موقعه الثقافي والسياسي للتحديث إلى الآخر المسلم من باب الاستعلاء والإلزام (إما تنضبط وإما تعاقب وتطرّد)، ويكثر من صيغ الوجوب التي تنضوي إلى خانة الأفعال التنفيذية "التي تُعنى بتنفيذ السلط، والقوانين أو بالتأثير في الآخرين"⁽³⁾. يستخدمها للتحديث باسم الرأي العام الدنمركي في مخاطبة الآخر المسلم لحثه على التحاور والتعايش مع معتنقي الديانات المخالفة، والانضباط للقوانين الدنمركية إن هو أراد العيش والاستقرار في الدنمرك أسوة بباقي الأعراق والأجناس، وفي الدعوة إلى طرد كل من لا يحترم حرية التعبير (بما فيها حرية التعبد والتدين) وعدم السماح للأئمة المتطرفين بالدخول إلى التراب الدنمركي أو إبرام عقود النكاح.

1- Charlotte Fischer, "Må jeg have lov at være her", *Jyllandsposten*, 16.9.2000, p.13.

2- Thomas Aagaard, "Imam: Hadprædikanter skal bekæmpes indefra", *Jyllandsposten*, 30.3.2016, p.11.

3- John Langshaw Austin, *How to do things with words*, op.cit., p.149.

مما تقدم يتضح ما يلي:

أ. تشف الأفعال الذاتية بمختلف أنواعها عن قلق كبير يعتري الدنمركيين والمهاجرين المسلمين على الحدود بسبب اختلاف الثقافة وتباين الموقف من الوجود. يتبادلان مشاعر الكراهية، ويسيثان إلى بعضهما البعض لغياب الحوار البناء والنقاش العمومي المثمر من جهة، والاحتكام إلى الصور النمطية أو التمثيلات الجاهزة من جهة ثانية. يغتاض "المتحدث الدنمركي" من المساواة بين القوانين العلمانية والشريعة الإسلامية، ومن استغلال الفضاء العمومي لنشر الدين الإسلامي، ومن التفريط في حرية التدين التي يضمنها الدستور⁽¹⁾ دون المساس بمعتقدات الآخرين أو تدينسيها.

ب. تعكس أفعال الكلام خوف "المتحدث الدنمركي" من الإسلام بحجة تعارضه مع الديمقراطية والحريات العامة، ويخشى أن تتأثر التركيبة السكانية والترسنة القانونية سلباً من تزايد عدد المسلمين في الدنمرك. يعد الدين مسألة شخصية لا ينبغي أن تفسد العلاقات الاجتماعية، وتسهم في الاحتقان السياسي والديني بين المواطنين، وتؤدي إلى تغيير نمط عيش الدنمركيين وفلسفتهم في الحياة.

ج. يراهن "المتحدث الدنمركي" على صيغة "الوجوب" بحكم شرعيته وموقعه الاجتماعي وحرصه على الضمير الجماعي- لتحسيس المواطنين واستنهاض همهم حتى يتشبثوا بأرومتهم وهويتهم، ويدافعوا عن القيم الديمقراطية والعلمانية. كما يوجه خطاباً إلى المسلم الآخر- من باب الاستعلاء والإلزام- لحفزه على الامتثال للضوابط الدنمركية إن هو أراد التعايش مع غيره في بلد ديمقراطي يساوي بين المواطنين بحسب أداء المواطنة والكفاءة، وباستبعاد معايير الميز العنصري.

1- عندما نعود إلى الفصل السابع من الدستور الدنمركي، نعاين أن حرية الدين يكفلها ويحميها القانون شريطة أن لا تمس أمن الدولة. تنص المادة 67 أنه "يحق للمواطنين أن يتحدوا في المجتمع لعبادة الله بطريقة توافق معتقداتهم، بشرط ألا يتم تعليم أو فعل أي شيء، يتعارض مع الأخلاق أو النظام العام". أما المادة 70، فتتص أنه "لا يجوز حرمان أي شخص- بسبب عقيدته أو نسبه- من التمتع الكامل بالحقوق المدنية والسياسية، أو التهرب من أداء أي واجب مدني عادي".

Henning Koch& Kristian Hvidt, *Danmarks Riges grundlove 1849, 1866, 1915, 1953 i parallel opsætning*, Udgiver Christian Ejlers, 2. ud, københavn, 2000, pp. 134-139

6- الحجاج

يُستخدم الحجاج لإقناع المتلقي بمواقف معينة، وتغيير معتقداته، والتأثير عليه. اعتمدت- في جرد الحجج- على كتاب ثلة من اللغويين الدنمركيين بعنوان "سعيًا إلى ذلك: كتاب الجدل"⁽¹⁾.

1-6- حجة الخبرة:

يقول يورنبوروب (Jørn Borup) المحاضر في قسم الدراسات الدينية بجامعة "آرهوس" إنَّ نسبة المتدينين المسلمين والأقليات العرقية انخفضت على مدى العشر سنوات الماضية. باعتماد إحصائيات الاندماج، يتّضح أنَّ نسبة الدنمركيين الجدد- الذين يعتبرون أنفسهم متدينين- هي 25%، فيما كانت النسبة 34% قبل عشر سنوات"⁽²⁾.

عندما يهاجر الناس إلى بيئة أخرى، يتأثرون بثقافتها وعاداتها حرصاً على حسن التعايش. بما أن الدنمرك مجتمع علمانيّ، فإنَّ بعض المهاجرين يحترسون من التميز دينياً عن الآخرين، ويقللون من ممارسة شعائرهم الدينية علناً.

ذكرت "برنيل فيرموند" (Pernille Vermund) رئيسة حزب "المواطنيين الجدد" (Nye Borgerlige) الدنمركي، في حوار أجرته معها صحيفة "يولاند بوستن": "إنَّ تكلفة سياسة إدماج المهاجرين واللّاجئين "المسلمين"- التي تنفذها الحكومة الدنمركية- بلغت حوالي تسعة ملايين كرونة سنوياً. يُصرف هذا المبلغ على أشخاص لا يريدون الاندماج"⁽³⁾.

يتضح من الملفوظين أن "المتحدث الدنمركي" يستعين بإحصائيات وأرقام ملموسة لبيان تراجع نسبة المتدينين المسلمين في المجتمع الدنمركي خلال السنوات العشر الأخيرة. يُعزى تعليل الظاهرة إلى تأثر المهاجرين بمقتضيات البيئة الجديدة، وحرصهم على الاندماج

1- Finn Collin, et al, *Derfor: Bogen om argumentation*, Forlag Gyldendal, ud.6, København, 2010, p.p.79-83.

2 -Redaktør, "Nydanskere bliver mindre religiøse", *Jyllandsposten*, 28.3.2011, p.9.

3- Jesper Hvass, "Efter 20 års diskussion om prisen Indvandringen koster 28 mia kr", *Jyllandsposten*, 11.4.2017, p.5.

للتعايش مع الدنمركيين، والنجاح في حياتهم العائلية والمهنية. ومع ذلك لا يؤخذ هذا المعطى على محلّ الجدّ بدعوى أنّ العدد القليل منهم (المتشددون خاصة) يشكل خطراً على أمن الدنمرك واستقرارها بنشر الدعوة الإسلامية، ومعاداة التقاليد العلمانية والديمقراطية، وشن الحرب على الكفار والملحدين.

وفي السياق نفسه، يبرز "المتحدث الدنمركي" عدم جدوى سياسية الاندماج التي تهدر بموجها أموال طائلة دون أن تحقق أهدافها بسبب عدم رغبة المهاجرين في تغيير سلوكهم وموقفهم من الوجود.

2-6- حجة التهويل:

يستخدم "المتحدث الدنمركي" حجة التهويل لتأطير حدث ما وتضخيمه لبواعث سياسية متطرفة. نورد المثال الآتي: "الشيء الوحيد الذي يخلق الكراهية ضد المسلمين هم المسلمون أنفسهم، وذلك عندما تسمع حججهم، وترى سلوكهم تجاه الدنمركيين غير المؤمنين وغيرهم من الغربيين، أو عندما تشاهد على شاشة التلفزيون مسلمين مجانين يتظاهرون ضدّ البابا، وضد رسامي الكاريكاتور الدنمركيين، وضد جورج بوش وأندرس فوغ راسموسن"⁽¹⁾.

ما ينمي الكراهية ضدّ المسلمين هم المسلمون أنفسهم بحججهم الواهية، وتصرفاتهم الرعناء تجاه الدنمركيين، والتظاهر ضدّ الآخرين دون احترام آرائهم وأفكارهم. نعاين -من خلال هذه الأدلة- أنّ "المتحدث الدنمركي" يُهَوِّلُ الخطاب الإسلامي بدعوى أنّ المدافعين عنه ينشرون صورة سيئة عنه، وهو ما يزيد من تنامي مشاعر الكراهية ضدهم في الغرب.

يروّج اليمين الدنمركي فكرة مفادها أنّ الدنمركيين يعانون من مشكل ثقافي كبير مع المسلمين بسبب تشبّهم بعاداتهم وسلوكياتهم التي تتجافى مع القيم الديمقراطية في الدنمرك، وتغالي في دعم الميز الجنسي (تعزيز الهيمنة الذكورية)، والمناداة بالمركزية العرقية (إيثار المسلم على غيره من الأجناس والأعرق)، ومناصرة الصحوة الإسلامية (معاداة العلمانية).

1- Torben Jørgensen, "Egen skyld", *Jyllandsposten*, op.cit., p.9.

يعتبر اليمين الدنمركي أنّ المسلمين والمهاجرين يشكلون عبئاً على دولة الرفاهية، وهو ما يستدعي التقليل من عددهم، وطرد المتشددين منهم. إن أعدادهم المتزايدة تؤثر سلباً في أداء صندوق الرعاية أو الكفالة الاجتماعية الذي يستفيد الدنمركيون من خدماته في مجال الصحة والتعليم والإعاقة البدنية والتقدم في السن. فكل ما يحصل في المجتمع من تراجعات أو تهديدات أو إخفاقات يعزى إلى تصرفات المسلمين وسلوكياتهم (فشل سياسة الاندماج رغم التكلفة المالية الباهظة المخصصة لها، ارتفاع نسب الجريمة والانحراف، ارتداء الحجاب في المرافق العمومية). يُوجّه لهم اللوم والتعنيف دون غيرهم من معتنقي الديانات الأخرى (البوذية، اليهودية، المسيحية، والهندوسية) لبواغث سياسية يمينية متطرفة، وتُحوّل شعائرهم الدينية لتأليب الرأي العام ضدهم، وتُستغلّ العمليات الإرهابية في الدنمرك وخارجها لتصفية الحساب معهم واعتبارهم العدو الأول الذي ينبغي القضاء عليه لتفادي شرورهم بأسلمة الدنمرك.

3-6- حجة التّأطير:

"أشعر بالاغتراب المتزايد في كلّ مكان من المشهد الدنمركي الحالي، وهو ما يجعلني حزينا، ويجعلني أحسّ أيضاً بأنني بلا جذور. هذه المشاعر سوف تتضاعف في المستقبل بالطبع، لذلك أمل أن أكون حينها خارج الدنمرك"⁽¹⁾.

يعمل "المتحدث الدنمركي" على تأطير حدث (تزايد عدد المهاجرين المسلمين) لبيان أنه يشعر في بلده بالاغتراب وبعدم الانتماء. ستفاقم الظاهرة مستقبلاً إن لم يُصحّح الوضعُ باقتراح حلول مناسبة؛ ومن ضمنها اعتماد مقاييس صارمة للحد من تدفقهم إلى الدنمرك. ويأمل في حال استفحال الوضع أن يكون خارج بلده حتى لا يتألم أكثر للمصاب والفاجعة.

تتعارض القيم الدنمركية مع الإسلام في نقاط كثيرة. يركز النقاش العمومي أحياناً على نقطة واحدة: فتؤطر إعلامياً لخدمة أغراض سياسية وإيديولوجية، وتأليب الرأي العام ضد

1- Annie Jepsen, "Dagsordenen er sat", *Jyllandsposten*, 29.10.2001, p.8.

المسلمين، ونعتهم بأقذع المواصفات بدعوى أنهم يسعون إلى نشر الهمجية⁽¹⁾ في المجتمع الدنمركي. على سبيل المثال: يأكل المسلمون اللحوم المذبوحة وفق ما أحله الله أو يذبحون الأضحية في عيد الأضحى، لكنهم يتعرضون إلى هجوم مُمنهج بدعوى عدم الرفق بالحيوانات وذبحها، ونقل الذبائح إلى المسالخ بطريقة مُقرفة.

يُرَكِّزُ على الثقافة الإسلامية التي تصطدم مع القيم الدنمركية، ويُنتعت المسلمون بأنهم بلا رحمة ولا شفقة في تعاملهم مع الحيوان. في حين تُستثنى من النقاش العمومي الديانات الأخرى التي يؤثر أصحابها أكل اللحم الحلال، وذبح الحيوانات وفق سننهم لنفورهم من شراء اللحوم في الأسواق الممتازة.

4-6- حجة الميز:

يتعرض المسلمون في الدنمرك - في بعض الأحيان - للإساءة لمجرد أنهم مسلمون. لا يُميز بين المسلمين المعتدلين والمسلمين المتطرفين المنضوين في الجماعات الجهادية (تنظيم القاعدة، تنظيم حراس الدين، وجهة النصرة)، ولا بين أهل السنة وأتباع الشيعة؛ إذ يُعامل مع المسلم من باب التصنيف بتمييزه سلبيًا عن غيره. يقتضي باب التعميم إشاعة ما يفعله فرد أو تؤديه جماعة على المسلمين جميعهم. علاوة على ذلك يسخر الرأي العام الدنمركي من "نفاق" الدول الإسلامية بترداد عبارة أن ما وقع من أحداث إرهابية ودموية "لا علاقة له بالإسلام" عوض فهم الظاهرة في سياقاتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والبحث لها عن الحلول الناجعة، واجتثاث الهجرة من جذورها.

أضحى المسلمون في الدنمرك يعانون من الميز العنصري، ومن التشكيك في صدق مواطنهم عقب الهجمات الانتحارية التي وقعت في الولايات المتحدة عام 2011، وفي مدريد عام 2005، وفي لندن عام 2007، وفي باريس وكوبنهاغن عام 2015. أصبحت وسائل الإعلام

1- بدأت وسائل الإعلام تروج مؤخرا عبارة "تهميج المجتمع" (sauvagation) للفت انتباه الرأي العام إلى تنامي معدلات الإجرام والقتل والاختطاف بسبب المهاجرين "الهمج والهمجيين" الذين يكثرون عيش المواطنين ويزعجونهم بتصرفاتهم الرعناء. والبديل هو تمدين الضواحي (dé-sauvagation des banlieues) لتهديب سلوك من يقطن بها.

الغربية تروج تمثيلات مغلوطة ومدبرة عن المسلمين؛ وهو ما أدى- من جهة- إلى إحساسهم بالخوف والعنصرية والإقصاء، وحفز الدنمركيين- من جهة ثانية- على النفور منهم لكثرة ما ترسخ في أذهانهم عنهم بأنهم إرهابيون محتملون. مع العلم أن أكثرتهم لا علاقة لهم بالتطرف والإرهاب، ويسعون إلى العيش في وطن للجميع دون أن يكونوا ضحية للميز السليبي بسبب سحتهم ودينهم وأسلوبهم ولغتهم ونمط عيشهم.

يجد المسلمون المعتدلون أنفسهم في وضع حرج يتطلب منهم بذل المزيد من الجهد لإظهار حسن نواياهم في التأقلم مع البيئة الجديدة، وإبراز قدراتهم المهنية والحياتية على الاندماج في المجتمع الدنمركي، والإسهام في تنميته ورفقيه، والامتثال للقوانين المعمول بها أسوة بالمواطنين جميعهم، والحرص على إبعاد التهم والصور المسكوكة المروجة عنهم لبواعث عنصرية وسياسية ضيقة. حين كان الجيش الجمهوري الأيرلندي - بأيرلندا الشمالية - يرتكب أعمالاً إرهابية، لا تقرها وسائل الإعلام الغربية بالمسيحية، على الرغم من أنّ الجيش الجمهوري الأيرلندي يطلق على نفسه اسم "حركة كاثوليكية". وفي السياق نفسه لا تضاف اللاحقة (ist) إلى اليهودي (judaïst) أو المسيحي المتطرف (christianit)، في حين أضحت علامة على المسلم المتطرف (islamist) إن لم نقل على المسلمين جميعهم كما لو كان الإسلام نفسه هو مصدر الإرهاب. وهي تعلقة توطر إعلاميا لخدمة أغراض السياسة اليمينية والشعبوية التي بدأت تتنامى وتتقوى في أوروبا بالتركيز في خطابها على ربط تفاقم المشاكل الاجتماعية بتكاثر أعداد المهاجرين وعدم انضباطهم للقوانين السائدة.

5-6- حجة التعميم:

يعرف "جان أسبيرغ هوغارد بيترسن" (Jan Aasbjerg Haugeard Petersen) أستاذ التحليل اللغوي الدنمركي "حجة التعميم" كما يلي: "ما يتعلق الأمر بـ "ش" (الفرد)، ينطبق أيضاً على "ش" 10 (الكم). تختلف حجة التعميم عن حجة التصنيف: إذ إنّ ما ينطبق على الفرد يسري أيضاً على أي شخص آخر، وعليه ينتهي الفرد بالاندغام في الكل"⁽¹⁾.

1- Jan Aasbjerg Haugeard Petersen, "Sproglig analyse Argumentation Argumenttyper", *Dansk i gymnasiet*, <https://cutt.us/pEEPW>, (Retrieved 30.9.2021).

يقول هنريك سورنسن (Henrik Sørensen) "فيما يتعلق بالمسلمين الذين يهاجمون الدنمرك والثقافة الغربية، لا يجب الدخول معهم في حوار أو جدال، لأنهم لا يبالون بصلافة بما نقوله لهم بغض النظر عما نقوله لهم- غير مباليين بصلافة. إذا أردنا التخلص من الأصوليين المسلمين، يجب علينا إسقاط جنسيتهم الدنمركية، ثم طردهم من البلاد. ليس لدينا لا السعة ولا القدرة على تحمل التكاليف لهذا النوع من الناس في مجتمعنا"⁽¹⁾.

تنادي بيرنيل فيرموند (Pernille Vermund) رئيسة حزب المواطنين الجدد بإبعاد الإسلام عن الحياة العامة في الدنمرك لأنه يمثل إيديولوجيا مدمرة وسيئة. "من الأولويات وضع حلّ لمشكلة تدفق المهاجرين والمهاجرين غير المندمجين والأجانب المجرمين، والحد من التأثير العنيف والقمعي للإسلام في مجتمعنا"⁽²⁾.

لا تعد إنغستوجبيرج (Inger Støjberg) وزيرة الخارجية والتكامل الدنمركية- في حوار أجري معها حول لهجة السياسيين تجاه المسلمين الدنمركيين- نبرة السياسيين تجاه المسلمين قاسية، بالنظر إلى أن نسبة كبيرة من مسلمي الدنمرك 64% لا يؤيدون القيم الدنمركية. إنّ "العنف المرتبط بالشرف والرقابة الاجتماعية من الظواهر الإسلامية. لا يجب أن نغض الطرف عنها، لأننا نخشى أن نصطدم بأقدام أحد"⁽³⁾.

نلاحظ- من خلال الملفوظات الثلاثة- التعميم في مخاطبة المسلمين جميعهم بدعوى أنهم سبب البلاء والفتن والمشاكل في الدنمرك بسبب تشبههم بعاداتهم وقيامهم بسلوكيات وتصرفات تخالف القيم الدنمركية. يُنعتون أيضا بأنهم يميلون إلى العنف والعداء، ولا يحسنون الحوار والجدل للتفاهم والتعايش مع غيرهم. وفي هذه الحالة، يستحسن طردهم من التراب الدنمركي، وإسقاط الجنسية عن كل متشدد أو منحرف حماية للقيم الدنمركية وحفاظاً عليها. وهكذا يتضح أن "المتحدث الدنمركي" يستثمر حدثاً ما، ويهول من شأنه، ويعمم لتأليب الرأي العام ضد المسلمين جميعهم بصفتهم دعاة للإرهاب والعنف والتفرقة.

1- Henrik Sørensen, "Ophæv statsborgerskabet", *Jyllandsposten*, op.cit., p.12.

2- Redaktør, "Nye Borgerlige kæmper klokkeklart mod islam", *Jyllandsposten*, 14.10.2017, p.9.

3- Redaktør, "Venstre to unhappy Muslims Find somewhere else to live", *Jyllands-Posten*, 8.7.2013, p.6.

عبارة "لا نخشى الاصطدام بأقدام أحد" تعبیر دنمركي شائع يقصد به عدم الاكتراث بأمره.

6-6- حجة المقارنة:

يقارن التلاميذ من أصل دنمركي وأقرانهم من أصل غير غربي، وعادة ما يشار- في هذا الصدد- إلى المسلمين الذين "يتخلفون كثيراً عن الدنمركيين من حيث الدرجات في التحصيل التعليمي بالمدرسة. بما أننا نتوقع زيادة نسبة المسلمين في التركيبة السكانية، فإن أداءهم الضعيف سيشكل عبئاً على الخزينة العامة"⁽¹⁾.

ثمة مقارنة أخرى بين المهاجرين المسلمين وغيرهم من الأقليات: "في الدنمرك، هناك الكثير من المهاجرين غير المسلمين من البلدان الأخرى، لكنهم مندمجون جيداً، وليست لديهم مشاكل في هذا البلد أسوة بالدنمركيين الأصلاء. لا يطالبون بحقوق خاصة بسبب ثقافتهم أو دينهم مثل المسلمين. يحظى هؤلاء الأشخاص باحترام الدنمركيين وتقديرهم، بدعوى إنهم يسهمون في إثراء مجتمعنا. من الجريمة أن يُطعن هؤلاء الطيبون حتى النخاع بتوريطهم في المشاكل التي يحدثها المسلمون بالدنمرك"⁽²⁾.

يشكل المسلمون في الدنمرك حوالي 4,8% من مجموع السكان، وهم أكبر مجموعة مقارنة بالأقليات السكانية؛ مما يجعلهم محط اهتمام السياسيين ووسائل الإعلام. تدعم السياسة الدنمركية الرسمية -من حيث المبدأ- الاندماج التعددي للأقليات العرقية، سعياً إلى دمج المهاجرين في المجتمع أسوة بالمواطنين الدنمركيين، حتى تتاح لهم فرص التعليم والعمل، والمشاركة في الحياة السياسية والأنشطة الترفيهية والثقافية. لا يجد المهاجرون الغربيون وغيرهم أية صعوبات في الاندماج بتمثل القيم التي يتقاسمونها في مجتمع متعدد الثقافات. لكن اللوم يوجه أساساً إلى المهاجرين المسلمين بسبب تنامي الهجمات الانتحارية في مختلف بقاع المعمورة. وهكذا يستعين "المتحدث الدنمركي" بحجة المقارنة لبيان من يمثل للقيم الدنمركية ويحرص على التأقلم مع المواطنين الدنمركيين ومن يناصبها العداء لأسلمة المجتمع الدنمركي. وهكذا يتضح أن أسلوب المقارنة لا يختلف- في درجته وحدته- عن الحجج الأخرى التي تستغل أحداثاً مفردة لتصفية الحساب مع المسلمين، وتأليب الرأي العام ضدهم، وترويج صور نمطية ومسكوكة عنهم.

1- Morten Uhrskov Jensen, "Det gik som forudsagt desværre", *Jyllandsposten*, 15.12.2017, p.13.

2- Peter Mikkelsen, "Forskel på indvandrere", *Jyllandsposten*, 29.3.2006, p.9.

خاتمة

بعد تحليل الآثار التلفظية في خطاب "المتحدث الدنمركي" نخلص إلى ما يلي:

أ- يعتز الدنمركي بهويته وانتمائه (ما يصطلح عليه بالدنمركية)، ويعد نفسه مختلفاً عن الأوروبيين ومتماثلاً مع مواطني الدول الأسكندنافية، كما يعتز بالنموذج الدنمركي الديمقراطي والعلماني الذي يكفل للمواطنين على حدّ سواء الرفاهية الاجتماعية، والفصل بين السلط، والتمييز بين الدين والدولة، وحرية التعبير

ب- يوظف "المتحدث الدنمركي" (خاصة الأحزاب السياسية) جملة من الصبغ التلفظية (الأفعال الذاتية، الأفعال الكلامية، الجهات، الحجاج) التي تدل على توجسه من الآخر المسلم الذي يشكل خطراً وتهديداً على هوية الدنمركيين ورؤيتهم للعالم واستقرارهم. ما يزيد من قلق "المتحدث الدنمركي" وخوفه هو تقاطر موجات المهاجرين المسلمين على الدنمرك وتكاثر عددهم، وممارسة شعائرتهم الإسلامية خاصة في الفضاءات العمومية. أصبحت هذه السلوكيات والتصرفات تثير نقاشاً عمومياً في مختلف وسائل الإعلام خوفاً من فقدان الهوية الدنمركية، واستقواء الإسلام في الدنمرك، وسعيها إلى حماية المكاسب الديمقراطية بطرد كل من يخالفها ويعاديها.

ج- يتضح لنا- من خلال الآثار التلفظية- أن "المتحدث الدنمركي" يحمل صورة سيئة عن المسلمين موظفاً نعوتاً بشعة في حقهم. من بين ما كرّس هذه الصورة النمطية في حقهم، هو تنامي العمليات الإرهابية في مختلف بقاع المعمورة، وظهور مشاكل طارئة في الدنمرك بسبب تشبثهم بعاداتهم وشعائرتهم الدينية وأسلوبهم في الحياة دون مراعاة التعددية الثقافية وحرية الدين. وضع "المتحدث الدنمركي" الثقافة الإسلامية في خلاف ومواجهة مع الثقافة الدنمركية أو القيم الدنمركية. فعلى سبيل المثال، وصفت النساء الدنمركيات بأنهن متحررات، عكس النساء المسلمات اللاتي تم تصويرهن بأنهن مضطهدات. ثم لجأ بعض السياسيين الدنمركيين من التيار اليميني، إلى استخدام تعابير ونعوت متشددة في النقاشات

العامة حول الإسلام: مثل الدعوة إلى محاربة الأئمة المتشددين، بدعوى أنهم ينشرون الجهل وثقافة الكراهية، ويدعون إلى فصل الذكور عن الإناث في الفصول الدراسية وفي المسابح العمومية، ويعادون القيم الديمقراطية بتصرفاتهم "المستفزة" للحس المشترك.

د- يُظهر بعض المتحدثين الدنمركيين، سواء أكانوا سياسيين أم صحافيين، خوف الدنمركيين وقلقهم من تزايد أعداد المسلمين في الدنمرك؛ وتوجسهم من استقواء الدين والثقافة الإسلاميين، وفقدان مزايا الرعاية الاجتماعية، واضطراب الهوية الدنمركية، وارتفاع معدلات الجريمة والانحراف. يتضح من خطاب المتحدث عمومًا أنه لا يفهم الإسلام على حقيقته، ولا يعود إلى الأدلة الشرعية للتأكد من المعلومات في مظانها، ويخلط بين الإسلام الحنيف والإسلام المتطرف، ويصدر الأحكام جزافيًا بترويج الصور النمطية والعبارات الجارحة عنه.

الفصل الثالث:

تمثيلات "المتحدث الدنمركي"

في صحيفة السياسة (Politiken)

تقديم

سأحلل صورة المسلم في صحيفة "السياسة" Politiken باعتماد المقاربة التلفظية المدمجة (آثار التلفظ، أفعال الكلام، أفعال الجهات، الحجاج) حرصاً على الوصول إلى نتائج ملموسة، وتفادي الأحكام المسبقة والصور المسكوكة، وربط مجال الصوريات باللغة التي تتوافق داخلها المجموعة البشرية، وتتحدد معالم أشكال حياتها. وفي السياق نفسه، سأعتمد العدة المفاهيمية نفسها في توافق مع الإشكالات التي سبق لي أن طرحتها في القسم النظري، وفي انسجام مع النهج المتبع بالحرص على تجنب النمطية في التحليل.

1. محور الذات:

1-1- الذات الدنمركية:

على الرغم من أن الدنمركيين يتشاركون في العديد من السمات الثقافية مع السويد والنرويج وشمال ألمانيا، لكنهم بذلوا الكثير من الجهد في إبعاد أنفسهم عن هذه الدول. منذ نهاية القرن التاسع عشر أصبحوا يميلون إلى نموذج البلدان الناطقة باللغة الإنجليزية، المملكة المتحدة أولاً، ثم الولايات المتحدة الأمريكية لاعتبارات تهم أشكال الحياة وآفاق المستقبل.

نتجت عن هذا المزيج الغريب ثقافةً وطنيةً، تجمع بين الثقة بالنفس والتواضع البين. وكان لذلك تأثير قوي على سلوك الدنمركيين خاصة في مقرات عملهم، وفي تواصلهم اليومي. لكن خلف هذا التواضع الظاهر "يتربص شعور بالتفوق نيابة عن الأمة الصغيرة وثقافتها الدنمركية، متخفية بشكل طفيف في صورة عقدة النقص. وغالباً ما يتجلى هذا المزيج في أشكال الخطاب الساخرة وفي التعاملات الرسمية التي قد تتحول فجأة - في حال تحديدها - إلى تأكيد عدواني للذات ومواقف شبه سلطوية"⁽¹⁾.

1-Martine Cardel Gertsen, *Global Collaboration Intercultural Experiences and Learning*, Palgrave MacMillan UK, 2.ed, London, E-book, 2012, p.37.

إنَّ خصوصية الدنمرك ذات شقين، فللبلد ماضيان: أحدهما قديم من الحالة المركبة نسبياً للنمط الأوروبي الغربي العام، وتاريخ حديث لدولة قومية صغيرة متجانسة نسبياً، يشار إليها أحياناً بأنها دولة صغيرة نموذجية.

نجح الفلاحون الدنمركيون في توطيد الهيمنة الإيديولوجية على بقية السكان في القرن التاسع عشر. لكن في العقود الأخيرة من بداية القرن العشرين، نظمت الطبقة العاملة نفسها في "الحزب الاشتراكي الديمقراطي الكبير"، الذي سرعان ما أصبح أكبر حزب سياسي، واستطاع -منذ منتصف العشرينيات من الألفية الثانية- أن يتحكم في تنظيم دولة الرفاهية ذات الطبيعة العالمية.

ومع ذلك، فإن "الديمقراطية الاشتراكية" لم تفرز أبداً بالأغلبية المطلقة مثلما حصل للأحزاب الشقيقة في السويد والنرويج. وبالتالي كان عليها دائماً أن تدخل في لعبة التحالف مع الأحزاب الأخرى، وفي مقدمتها الليبراليون الاجتماعيون أو ما يُسمى "اليسار الراديكالي".

من السمات اللافتة في الذاتية الدنمركية، شيوع روح الدعابة والسخرية؛ وهو أمر يصعب أن يعلله الآخرون. وفي هذا الصدد، شرحت الباحثة الدنمركية "ليتا لوندكويست" Lita Lundquist - في كتابها "المزاج والتنشئة الاجتماعية" Humor socialisering - روح الدعابة والسخرية الغامضة التي يتمتع بها الدنمركيون، وتسهم في توطيد نمط حياتهم الخاصة، وفي تعزيز تفاهمهم وتواصلهم وتعاونهم فيما بينهم. "هذا هو السبب في أننا نعتقد أننا مضحكون وأن الآخرين لا يعتقدون بالضرورة الأمر نفسه. هناك أشياء خاصة حول طريقتنا في العيش معاً والتي تشكل موطناً جيداً للسخرية، وخاصة السخرية الذاتية. السخرية والمفارقة الذاتية نوعان من الفكاهة لا يتماشيان بالضرورة مع أشكال الدعابة للجنسيات الأخرى. يوصى بها- في الدنمرك- كاستراتيجيات لإدارة الحياة والتعاون فيما بيننا"⁽¹⁾.

أ- يؤيد وزير الكنائس الدنمركي "يوهانس ليبيش" Johannes Lebach من حزب اليسار الراديكالي المجتمع المتعدد الثقافات في الدنمرك: "ثقافتنا ليست مهددة في ظل حقيقة؛

1- Lita Lundquist, *Humorsocialisering*, ForlagSamfundslitteratur, 1.ud, København, 2020, E-book, p.109.

مفادها أننا سنعيش بجانب 5% من السكان الآخرين، الذين لديهم بعض السمات التي تختلف عنا بشكل واضح حالياً، ولكنها ستتحوّل- بمرور الوقت- إلى أشكال مختلفة من الثقافة الدنمركية"⁽¹⁾.

يرى المتحدث - على عكس عينة من السياسيين ورجال الدين- أن الثقافة الدنمركية ليست مهددة بحكم أقلية المهاجرين الذين لا يتجاوزون - في غالبيتهم- نسبة إحدى عشرة بالمائة. لكنه يتخوف من أن يتكاثر عددهم مستقبلاً؛ مما قد يفرز أشكالاً متميزة عن الثقافة الدنمركية الأصيلة.

يعتقد منتقدو الإسلام، أن هجرة المسلمين تفرض ضغطاً متزايدة على التشريعات، وتهدد الحياة الثقافية الدنمركية. وحجتهم في ذلك حرصهم على ذبح المواشي والدواجن وفق الأحكام الإسلامية لإباحة الطيبات وتحريم الخبائث (لحم الخنزير مثلاً)، وعدم المشاركة في الشعائر الاحتفالية المتبعة في أعياد الميلاد، وخاصة في الفضاءات العمومية، ورياض الأطفال، والمدارس.

أصبحت الدنمرك اليوم مجتمعاً متعددة ثقافته، وهو ما يقتضي تطوير الثقافة وتجديد نسغها حتى لا يبقى المواطن أياً كان أصله وانتماؤه حبيس "الهوية القتالة"، وما يحتم أيضاً توطيد الصلة بين الأديان والثقافات والخلفيات التاريخية داخل الإطار الوطني الموحد. أورد فيما يأتي عينة من الملفوظات التي تُجلى أكثر الصورة الذاتية (Auto-image) للدنمرك:

ب- تقول زعيمة "حزب الشعب الدنمركي اليميني" بياكيارسجارد PiaKjærsgaard وهي توجه اللوم إلى وزير الكنائس الدنماركي "يوهانس ليبيش" المنتسب بالأفكار المتطرفة: "لهذا أصبح وزيراً للكنيسة، وهو الآن يسيء استخدام المنصب لإسقاط حزب آخر. يجب على يوهانس ليبيش أن يأخذ الكنيسة الوطنية الدنمركية على محمل الجدّ. هذا هو المكان الذي تكمن فيه مهمته، وليس الانغماس في الإسلام"⁽²⁾.

1- Claus Thomsen, "Radikal støtte til ghettoer", *Politiken*, 3.3.2001, p.5.

2- *Ibid.*, p5.

تدعو الكنيسة الوطنية الدنمركية إلى الحوار والتعايش مع المسلمين في الدنمرك، بدعوى أن الإسلام والمسيحية ينشدان معا الخير والأخلاق الحميدة. بالمقابل يعارض "حزب الشعب اليميني" الحوار مع المسلمين، ويحضرهم على الاندماج كليا في الثقافة الدنمركية. على العكس يتبنى العلمانيون موقفا وجوديا يقوم على تعزيز التفاهم الاجتماعي والديني، ونشر التسامح بين الديانات.

غالبا ما يتحول النقاش السياسي حول الإسلام في الدنمرك من التبشير الذي يدعو إليه بعض الكهنة إلى تحقيق مكاسب سياسية انتخابية بالدرجة الأولى.

ج- دعت رئيسة المجموعة البرلمانية لحزب اليسار الراديكالي "إليزابيث أرنولد Elisabeth Arnold إلى ضبط النفس فيما يتعلق بترشيح "اليسار الراديكالي" في كوبنهاغن المسلمين الشباب إلى البرلمان، وتعتبر الدوائر الحزبية المحلية هي المسؤول عن اختيار المرشحين للبرلمان: "نحن حزب مفتوح. ونريد قوائم مرشحين تعكس وجهات نظرنا. ووجهات نظرنا هي أن المهاجرين- في الدنمرك- يجب أن يكونوا ناشطين سياسياً. إنّ أفضل طريقة لإنجاح الاندماج هي ببساطة المشاركة في الحياة السياسية والحياة النقابية الدنمركية"⁽¹⁾.

يتضح أن المتحدثة تشجع الشباب المسلم على الانخراط في الحياة السياسية الدنمركية، والمشاركة في المسار الديمقراطي، والتعبير عن انتماءاتهم الحزبية. يعد هذا من السبل لتشجيع قدراتهم على التفكير والنقد، والاندماج في الحياة السياسية والنسيج الاجتماعي، وتبني المقاربة الثقافية والسياسية المتعددة عوض الانطواء في الفكر الأحادي المعادي لأفكار الآخرين وآرائهم.

د- "سيذهب وزير الخارجية كريستيان جنسن Kristian Jensen ووزير الهجرة إنغر ستوجبيرج Inger Støjber إلى البرلمان الأوروبي لشرح سياسة "اللجوء" في الدنمرك. لطالما كانت الدنمرك دولة رائدة في هذا المجال. بدت بعض المبادرات السياسية أشبه بالخيال أكثر

1-Redaktør," R-gruppeformand maner til ro om muslimer ", *politiken*, 22.5.2001, p.7.

(Redaktør) يعني بهذا اللفظ الدنمركي - الذي سيتكرر كثيرا فيما بعد- "كاتب الافتتاحية" الذي تسند غالبا "الرئيس التحرير" للتعبير عن موقف سياسي ما وفق "الخط التحريري" المعتمد.

من كونها حقيقة، وأروع من أن تصدق. يوفر نظام التعليم في البلاد على سبيل المثال لجميع الطلاب الدنمركيين منحة شهرية تقدر بحوالي 900 دولار⁽¹⁾.

يرى المتحدث أنّ الدنمرك من بين البلدان الرائدة في استقبال اللاجئين ودعمهم. وهي توفر للطلبة الدنمركيين أيا كان وضعهم الهوياتي وانتماءهم الديني منحاً مالية لحفزهم على الاستمرار في الدراسة والاندماج في المجتمع الدنمركي. يقول وزير الخارجية كريستيان جنسن Kristian Jensen في هذا الصدد: "يجب علينا أيضاً أن نلفت الانتباه إلى حقيقة أن الدنمرك تتحمل بالفعل المسؤولية أكثر من العديد من الدول الأخرى. استقبلت الدنمرك 21300 لاجئ في عام 2015، وبالتالي كانت من بين الدول العشر الأولى في الاتحاد الأوروبي التي استقبلت أكبر عدد من طالبي اللجوء بالنسبة إلى عدد السكان. وهذا يوازي ما تستقبله الولايات المتحدة من 1.2 مليون لاجئ في عام واحد فقط"⁽²⁾.

علاوة على ذلك، تعد الدنمرك واحدة من خمس دول فقط في العالم تفي- بمعيار الأمم المتحدة- بتخصيص 0.7% على الأقل من الدخل القومي الإجمالي للمعونات الإنمائية والمساعدات الإنسانية. كما تقدم مساعدات ومعونات الطوارئ والتنمية للعديد من الدول الإفريقية والآسيوية، بالطرق الرسمية أو بدعم جمعيات ومنظمات الإغاثة الدنمركية. تسعى هذه المساعدات إلى تمتيع المواطنين في المعمورة بمعايير الحياة الكريمة.

مما تقدم نستخلص ما يأتي:

1. إنّ المتحدثين الدنمركيين- في المتن- سواء أحزبيين كانوا أم سياسيين، أم كتاباً صحفيين، يعتزون كثيراً بهويتهم الوطنية كما لو كانوا ينتمون إلى شعب مخالف وغريب عن الدول التي تحيط بهم. يشعرون بالانتماء إلى الدنمرك بنوع من الحماسة والفخر الوطنيّين دون الاكتراث لتداعيات العولمة وللتوجهات الدولية. نمت هذه الكبرياء الوطنيّة- في المقام

1 - Maria Skjødt, "Udenlandske medier om frikadelle-gate, smykker og nazisme", *Politiken*, 24.1.2016, p.11.

2 - Thomas-Lauritzen, "Kristian Jensen Mediestorm mod Danmark ser heldigvis ud til at være toppe", *Politiken*, 29.1.2016, p.9.

الأول- بين أفراد المجموعة التي لديها حسٌ مدني ووطني عكس الجماعات الأخرى التي ما زالت تخضع للفروق العرقية والقومية.

2. إنَّ مصطلح "الدنمركية" مهم جدا بالنسبة إلى الدنمركيين في علاقته بمفاهيم أخرى (من قبيل القومية، والقيم الدنمركية، والهوية الوطنية)، وفي توافق مع توطد أركان العولمة واستفحال ظاهرة الهجرة والنفي. لا يكن الدنمركي أي عداء للآخر المختلف إلا في الحالة التي يشعر فيها بتهديد يحقق باستقراره وتلاحمه. ولهذا يبدو المجتمع الدنمركي منفتحاً على الثقافات والكفاءات الأجنبية (بما فيها المسلمة) للاستفادة من خبراتها المهنية والثقافية، وتصوراتها للحياة وأشكالها وأنماطها.

3. ينتهي المتحدثون إلى أمة صغيرة لها تقاليد عريقة توطد بنياها بمرور الوقت؛ ولذا يكثر الحديث عما يسميه الدنمركيون بـ"الدنمركية" أو النموذج الدنمركي، الذي يعتد بنظام الضرائب المرتفع، ونظام الرعاية الاجتماعية والصحية، والنظام التعليمي، ودولة الرفاهية، وسوق العمل المرن، وتعميم الطاقة النظيفة. لكنه يعني -بصورة خاصة- الثقافة والشخصية الدنمركيتين، والأسلوب الدنمركي في تدبير الشأن العام.

4. يحتد- في المجتمع الدنمركي- الجدل والنقاش منذ ما يقرب من عقدين من الزمن، حول أداء السياسيين الدنمركيين، ووسائل الإعلام، والمنظمات المجتمعية في دعم السلم والوفاق الاجتماعيين والسياسيين. وعليه، يحوم النقاش العمومي عادة حول قضايا بعينها: الإسلام والمسلمون، اللاجئين، اقتراح قوانين الهجرة، الاندماج الاجتماعي، قضايا ارتفاع معدلات الجريمة وسط المهاجرين، انخراط اللاجئين في سوق العمل، المجتمعات السكنية الموازية، سلطة رجال الدين المسلمين. وما يلفت النظر في الصحيفة المعتمدة هو السعي إلى الاستفادة من خبرات اللاجئين والمهاجرين والمنفيين والهجان، وحفزهم على المشاركة السياسية لإثبات وجودهم وجدارتهم، والاندماج في الحياة العامة عوض تكريس تهميشهم وإقصائهم، أو التعامل معهم بصفتهن مواطنين من الدرجة الثانية.

وفي هذا الصدد، تخوض قوى اليسار وعدد من المنظمات والجمعيات الدنمركية التقدمية نضالاً للحد من تأثير السياسات المتشددة على المسلمين واللاجئين، ومن خطر

اليمين المتطرف الذي يسعى إلى تمرير مواقفه المعادية للمهاجرين في البرلمان الدنمركي. كان آخرها موافقة البرلمان على نقل مقر استقبال اللاجئين من الدنمرك إلى دولة أخرى خارج الاتحاد الأوروبي.

5. تظهر الدنمرك في المتن دولة ثرية تلعب دوراً سياسياً واقتصادياً أكبر من حجمها. تقوم بتقديم المساعدات للبلدان النامية والفقيرة لتحسين ظروفها المعيشية.

6. يظهر- في المتن- أيضاً تعدد أصوات المتحدثين الدنمركيين؛ من سياسيين وحزبيين وصحافيين وكتاب وأكاديميين. بصورة عامة، حضر صوت الموضوعية والاعتدال في غالبية مواد المتن ومفاصله، وانحسر صوت اليمين المتشدد. حيث كان المتن أقرب إلى مواقف تكتل اليسار الدنمركي. ومع ذلك ما زال صوت المسلمين والمهاجرين ضعيفاً وغير مؤثر.

7. تظهر الدنمرك- في المتن- دولة عصرية حديثة، تتمتع باقتصاد قوي، واستهلاك كبير على الأصعدة الحياتية والثقافية والرياضية والفنية. كما تمتلك سجلاً بارزاً في الحياة الثقافية، يتمثل جزء منه في الثروتين المادية واللامادية، وفي دولة الرفاهية، وفي السياسة الثقافية التي توفر عدداً كبيراً من الأنشطة الثقافية، وتسهل استخدامها. يقوي الاستهلاك الثقافي الاقتصاد الوطني، ويسهم أيضاً في تعزيز الوحدة والهوية الوطنيتين. والحالة هذه، فإن نسبة كبيرة تصل إلى 85.3% من الدنمركيين يشاركون في الأنشطة الثقافية خلال العام؛ من قبيل مشاهدة الأفلام السينمائية، وارتياح المسارح، ومتابعة الحفلات الموسيقية أو زيارة المتاحف، والمعارض الفنية، والمعالم التاريخية.

2- الآخر المسلم:

2-1- النعوت الموضوعية:

أ- تصف الكاتبة الدنمركية "ليز أندرسن" Lise Andersen "أحد كتبها الذي يتناول ختان الفتيات المسلمات: "كتابي الجديد يتحدث بشكل واسع عن حياة الفتاة في مجتمع مسلم فقير. أعتقد أن المرء يبني تواصلاً فعالاً بمزيد من المعرفة، وأحاول أن أنقلها دون إدانة. أعتقد أنه من المفيد للأطفال الدنمركيين أن يتعرفوا حياة الفتاة المسلمة. ما ينتاب فاطمة

من القلق والتهيه، هو مشاعر لا تقتصر على عرق معين. إذا فهم الأطفال الدنمركيون ذلك، سيتيسر لهم مقابلة زملائهم المسلمين والتواصل معهم⁽¹⁾.

على الرغم من أن ليز أندرسن تصف فاطمة دون تحيز في الكتاب، إلا أنها لا تتردد لحظة في أن تتحول إلى قاضية تُصدر أحكاماً بشأن الختان معتبرة إياه شأناً مسلماً. تؤكد في ملفوظها على نعت "فقير" بدعوى أن ختان الفتيات ينتشر في الأوساط الفقيرة، وعلى نعت "فعال" لحفز الدنمركيين على التواصل الإيجابي مع أندادهم المسلمين باستيعاب ثقافتهم وتقاليدهم، وخاصة ما ينتاب الفتاة المختونة من اضطرابات نفسية تعكس صفاً سريرتها.

ب- يعلق رئيس تحرير صحيفة "السياسة" عن مدى تحلي المسلمين بالتنوع الثقافي والاجتماعي بما يلي:

"مسلمات شابات يجلسن في المقاهي، ويحتسبن النبيذ الأبيض في بيروت أو تيرانا بألبانيا أو كوبنهاغن. عائلات مسلمة عادية تعيش وفق المثل الأمريكية في الولايات المتحدة. مزارع مسلم فقير يحاول تربية أغنامه في الضفة الغربية، ولا يأتي إلى المسجد إلا في المناسبات الخاصة"⁽²⁾.

يواكب رئيس التحرير التحولات الاجتماعية التي يشهدها العالم الإسلامي من جهة، والدنمرك من جهة ثانية؛ ومن ضمنها انقسام المسلمين إلى فئتين: فئة تشبث بهويتها الإسلامية، وفئة تعيش مخاضاً ثقافياً عسيراً على الحدود مما يجعل هويتها متحركة. وضمن الفئة الثانية فتيات شابات تستهوين الحياة العصرية الجديدة بكل مغرياتها ومتعها (الجلوس في المقاهي، احتساء النبيذ)، وكذلك عائلات مسلمة تبنت المثل الأمريكية في سلوكها وتدبير نمط عيشها.

إنّ الثقافة جزء أساسي من المجتمع، والاعتراف بالثقافات المختلفة والقيمة المنسوبة إليها يساعد على تعزيز الطابع المتعدد للثقافات في المجتمع. يُنظر إلى التنوع الثقافي على أنه تنمية مستدامة لتطوير الأفكار الحيوية، وليست - والحال هكذا- مقصورة على النمو

1- Jens Lenler, "Bog om omskæring til danske skolebørn", *politiken*, 20.3.2001, p.5

2- Redaktør, "Baggrund om Minhaj Ul Quran", *politiken*, 22.5.2001, p.11.

الاقتصادي. إنّ احترام ثقافة الآخر، ومراعاة مبادئ التنوع الثقافي، تؤديان إلى التواصل الثقافي الإيجابي بين المجموعات العرقية في المجتمع. حيث يمكننا- بحسب "بهيوخو بارخ" Parekh Bhikhu - تعرّف مفهوم التواصل بين الثقافات على أنه التفاعل بين ثقافتين أو أكثر بطريقة تآزرية"⁽¹⁾.

لا تجعل الاختلافات الثقافية والاجتماعية بين المسلمين كتلة واحدة، بل مجموعات متنوعة ومختلفة. يستتبع المجتمع المتعدد الثقافات تعايش الأفراد، وتبادل الخبرات، والاعتراف المتبادل.

ب- "اتهم المدعي العام لكوبنهاجن والشرطة في منطقة "هفيدوفر" Hvidovre "نيلز كيولر" "المجلس الرئيس للشباب" التابع لـ "حزب الشعب الدنمركي" بالعنصرية، بعد نشر ملصقٍ مسيء للمسلمين: "صورة ثلاثة مسلمين متعطشين للدماء ومقنعين مرفقاً بنص: اغتصاب جماعي، عنف جسيم، انعدام الأمن، زواج قسري، اضطهاد المرأة، جريمة العصابات. هذا ما يقدمه لنا المجتمع المتعددة أعراقه". لم توجه الشرطة أية اتهامات لقيادة حزب "الشعب الدنمركي"، ولم تستجوب أعضاؤه. من الواضح أننا ركزنا اهتمامنا -خلال التحقيق- ما إذا كان هناك متواطئون مع قيادة الحزب للموافقة على الملصق. حصرنا التهمة في سبعة أشخاص"⁽²⁾.

نعين -من هذا القول- أن المتحدث يبين مدى حرص الشرطة الدنمركية على الإنصاف والعدالة في تعاملها مع المواطنين الدنمركيين أيّاً كان لونهم ودينهم وأصلهم. بادرت بالتحقيق في ملصق لما يتضمنه من إساءة إلى المسلمين (متعطشين للدماء، اغتصاب جماعي، عنف جسيم، زواج قسري) بدعوى أنهم يشكلون خطراً على النسيج الاجتماعي الدنمركي. يتضح من النعوت أنّ المتهمين يتوجسون من تعدد الأعراق والجنسيات في مجتمعهم بحجة أنها تهدد هويتهم الأصلية، وتشوبها بشوائب غريبة عنها. وهم بذلك يتبنون الطرح اليميني المتطرف الذي يدافع عن إجلاء المهاجرين لأنهم- في نظره- يمثلون خطراً على "طُهر هويتهم

1- Bhikhu Parekh, "Fornyset multikulturalisme: Kulturel mangfoldighed og politisk teori.etniciteter", *sage journals*, vol.1, Issue 1, 2001,p. 110.

2- Rikke Egelund, "Politikere sigtet for racisme", *Politiken*, 17.5.2001, p.11.

ونقاوتها". وبذلك يبعثون من جديد مزاعم الإثنية المركزية (Ethnocentrisme) التي تبعد الآخر وتقصيه لأنه يهدد كيائها. إن تبثى "حزب الشعب" طرح طرد المهاجرين بمن فيهم المسلمون، سيؤثر سلباً على الدنمرك بفقدان الموظفين والعمال المهرة والمواطنين المندمجين، الذين يساهمون بخبراتهم في تقدمه ورفيه.

ج- يقول إمام دنمركي في السجن بالدنمرك: "يمكن أن يصبح الإسلام لاعباً هاماً في اندماج الشباب من خلفيات عرقية أخرى غير دنمركية. هذا يتطلب تأهيل الأئمة في الدنمرك. ويمكن أن تكون خطوة في الاتجاه الصحيح، تقديم الدعم التعليمي للشباب المسلمين الذين يرغبون في دراسة الإسلام في الجامعات الإسلامية في الخارج ثم استخدام التعليم في الدنمرك"⁽¹⁾.

نلاحظ من خلال هذا القول التركيز على نعوت بعينها: "لاعبا هاما"، الخلفيات العرقية، الاتجاه الصحيح، الجامعات الإسلامية. يبحث الإمام- بحكم تشبعه بالتقاليد الإسلامية- عن حلّ وسط على الحدود لإدماج الشباب في الحياة الجديدة، وتأهيل الأئمة، وحفز الشباب على تلقي التكوين المناسب في الجامعات الإسلامية. يعتبر الكاتب أنّ المسلمين - على عكس المهاجرين الآخرين - يجدون عموماً صعوبة في النجاح بالدنمرك. يرى أنّ "الصراع الثقافي والجريمة والسلوك المنحرف هو بالضبط ما أدخله المسلمون المهاجرون إلى الدنمرك"⁽²⁾.

لا يشكل الإسلام أي عائق للديمقراطية الدنمركية إن طبق وفق مبادئه السمحة الداعية إلى العدل والكرامة والتكافل. في حين يؤدي التطرف فيه إلى معاداة طاعة القانون، والولاء للدولة، وتبادل الثقة والاحترام بين المواطنين. وأحياناً يخلط بين الإسلاميين (الإسلام السمج والثقافي، وسلوكهم، وموقفهم من الوجود. وفي هذا الصدد، يعتقد حزب "الشعب الدنمركي اليميني"، أنه كلما زاد عدد الأشخاص ذوي الخلفية الإسلامية في الدنمرك، زاد الخطر على الهوية والثقافة الدنمركية. وهكذا يستغل اليمين المتطرف في أوروبا قاطبة الإسلام فزاعة

1-Redaktør, "Imamer SU til imamstuderende vil gavne integration", *Politiken*, 16.5.2001, p.9.

2- Frank van Gemert, Dana Peterson, *Street Gangs Migration and Ethnicity*, Publisher Willan, 1st ed, london, 2013, p.204.

لتخويف الناس من المهاجرين المسلمين، وتأليب الرأي العام ضدهم بدعوى أنهم سبب كل المشاكل التي أزمّت وضعية "ذوي الأرومة الأوروبية النقية".

ج- يقول صحافي دنمركي: "سميرة نوى Samira Noi مترجمة عمرها ثلاثة وعشرون عاماً، هي رئيسة "مجلس الشباب الدنمركي الجديد"، وتدرس للحصول على شهادة جامعية في جامعة كوبنهاغن. إنها تجسد الاختراق الحديث الذي تشهده الشابات الدنمركيات الجديديات بالمجتمع الدنمركي في السنوات الأخيرة. لكن وسائل الإعلام لا تثيره"⁽¹⁾.

نلاحظ- من خلال النعوت المضغوطة- أنّ المتحدث يركز على التحول الذي يشهده الدنمرك في العقود الأخيرة. ويتمثل في نسبة اختراق الشابات المهاجرات بما فيهن أمثال سميرة نوى للمجتمع الدنمركي بأدائهن المهمر. وهذا دليل على اندماجهن فيه بالحصول على شهادات عليا، وباستثمار ثقافتهن ومهاراتهن في تطور الدنمرك. يعاتب المتحدث على وسائل الإعلام الدنمركي أنها لا تذكر مثل هذه الإيجابيات، ولا تواكب هذه التحولات الإيجابية.

د- يكتب صحافي عن أداء الصائمين في الشركات الدنمركية الكبرى (من قبيل شركة Dansk Supermarked وشركة Ikea Denmark وشركة Coop وشركة Danish Industry وشركة ISS) التي يشغل فيها المسلمون نسبة كبيرة. تَعوّد رجال الأعمال الدنمركيين على صيام رمضان أو صيام رمضان. إنها أهم وثيقة تصدر من عالم الأعمال تجاه المسلمين. تشهد أماكن العمل والمؤسسات عموماً أن أيام شهر رمضان المبارك تنساب دون معاناة ودون مشاكل. ينساب صيام المسلمين العاملين في شهر رمضان سلساً، علاوة أن الموظفين وأرباب العمل يعاملونهم بمرونة وكياسة"⁽²⁾.

في بداية شهر رمضان من كل عام، يكثر النقاش بين السياسيين الدنمركيين، حول تأثير الصيام على أداء المسلمين في أماكن العمل، وفي المدارس بين الطلاب. ويأتي قول المتحدث باعتماد النتائج المتوصل إليها بحياد وموضوعية دون إدخال النعرات السياسية الضيقة في مناقشة الظاهرة، لإثبات أنّ الصيام لا يؤثر سلباً في أداء المسلمين إبان عملهم، ولا تنتج عنه

1 -Olav-Hergel, "Medierne viger uden om nydanskere som kilder", *Politiken*, 5.1.2012, p.13.

2-Redaktør, "Dansk erhvervsliv har vænnet sig til fastende muslimer", *Politiken*, 6.6.2016, p.8.

أية تبعات سلبية. كما ينوه المتحدث بالأجواء التي تسود أماكن العمل في شهر رمضان بمراعاة نفسية المسلمين وعواطفهم وجهدهم وطبايعهم.

2-2- النعوت الأكسيولوجية:

أ. "ينتمي المجاهدون بشكل رئيسي إلى الجماعات المتطرفة في أكبر المدن الدنمركية. يقال إن العديد منهم انضموا إلى "جماعة جبهة النصرة الإسلامية" المتشددة المرتبطة بـ"تنظيم القاعدة"، والتي نفذت هجمات انتحارية في مناطق عديدة"⁽¹⁾.

ترد في القول نعوت قيمية أو أكسيولوجية تجاه الدنمركيين المجندين في الجماعات الإسلامية المتطرفة. هذه الجماعات التابعة لتنظيم القاعدة نفذت عمليات انتحارية في مختلف مناطق المعمورة؛ ما أصبح يشكل خطراً على استقرار البشرية وطمأنيتها. وفي هذا السياق، بدأ الرأي العام الدنمركي يتوجس من المهاجرين المسلمين بدعوى أنهم يشكلون خطراً على هوية الدنمركيين واستقرارهم. ومن ثم كثر النقاش حول التطرف الإسلامي وتشدده بنوع من التعميم انعكس سلباً على اندماج المسلمين في المجتمع الدنمركي، وزاد من ترسيخ الصورة النمطية عنهم.

تقدر المخابرات الدنماركية PET أن ما لا يقل عن مئة وخمسة وثلاثين دنمركياً سافروا من الدنمرك إلى سوريا والعراق للالتحاق بالجماعات الإسلامية المتطرفة (جماعة "تنظيم القاعدة" وجماعة "النصرة والجهاد"). يتمتع العديد من المقاتلين السوريين الدنمركيين بمستوى عالٍ من التعليم، ويديرون أعمالهم الخاصة، وينشطون في السياسة، أو العمل التطوعي في النوادي الرياضية والجمعيات الخيرية. بالرغم من أن معظمهم يقطنون في المدن الكبرى، إلا أن عدداً منهم يقيم في مدن صغيرة. بحسب وثائق جهاز المخابرات الدنمركية فإن "أحد عشر من المقاتلين السوريين الدنمركيين هم من الدنمركيين العرقيين الذين اعتنقوا الإسلام"⁽²⁾.

1- Morten Skjoldager, "Dansk islamist opfordrer til jihad - også i Danmark", *Politiken*, 27.8, 2013, p.10.

2- Bo Elkjær, "Her er de danske syrienkrigere", *DR.DK*, 15.9.2016, p.3.

ب- "للزعماء الدينيين تأثير كبير على المسلمين. يتحدثون بلسانه في المساجد كل يوم جمعة. على سبيل المثال، إذا كان الأئمة يشاركون في مناقشة الجريمة التي ترتكب المهاجرين الشباب؛ فبإمكانهم التأثير عليهم لخفض نسبها"⁽¹⁾.

يؤكد المتحدث هنا على الدور الذي يقوم به الأئمة المسلمون في الدنمرك. فهم لسان حال المسلمين، يتحدثون باسمهم في المساجد، وخاصة يوم الجمعة لإرشادهم إلى الطريق السوي، والتشبيث بحبل الله. على الأئمة - بحسب المتحدث- أن يساعدوا المجتمع الدنمركي على خفض مستوى الجريمة المتفاقمة بين الجاليات المهاجرة. لا يجب- في نظره- على خطب الجمعة أن تركز على الجانب الديني فحسب، بل عليها أن تهتم بالجانب الدنيوي بالتركيز على تصحيح مكامن الضعف والقصور، والنهي عن المنكر (استفحال الجريمة)، وتعزيز الوفاق الاجتماعي والسلم المستديم.

د- في خطاب ألقاه "موجينز كامر Camre Mogens" عضو البرلمان الدنمركي عن "حزب الشعب اليميني" ساوى بين الإسلام والنازية كما يلي:

"إن الآثار المدمرة للأصولية الإسلامية على المجتمع، لا تقل خطورة عن آثار النازية. إن مواجهة العالم الغربي مع الإسلام هي استمرار لمواجهتنا مع النازية. بغض النظر عن الوجوه العديدة للإسلام، فمن الحقائق أنه لا يوجد مجتمع مسلم في العالم متطور أو ديمقراطي. لن يصبح الإسلام مُروّضاً وسليماً وديمقراطياً. بعض المسلمين أناس مسالمون، لكن الإيديولوجية والدين لا يمتان بصلة إلى ذلك بحجة أنهما يعرقلان المسار الديمقراطي"⁽²⁾.

يشبه بعض السياسيين الدنمركيين اليمينيين- لأسباب سياسية انتخابية - الإسلام المتشدد بالنازية. يرون أن كلا المصطلحين يشيران إلى أيديولوجيتين فاشيتين، لا تؤمنان بالديمقراطية. إن مساواة الإسلام مع النازية تبعث على الخوف في المجتمع الدنمركي، ويغذي خطاب التطرف بإثارة عواطف المسلمين، وحفزهم على الرد بمختلف الطرق والوسائل، وتخلق البلبلة والفرقة بين المواطنين ذوي الخلفيات الثقافية المتعددة. ما يثير في قول

1- Claus Thomsen, "Islam med dansk præg", *Politiken*, 10.3.2001, p.7.

2- Redaktør, "Camre Lighed mellem islam og nazisme", *Politiken*, 5.6.2001, p.4.

المتحدث هو إصدار الأحكام القيمية المضغوطة في حق الإسلام السمح بدعوى أنه لا يتلاءم والديمقراطية، ويغفل بالمقابل الدور الذي قامت به "الأحزاب الديمقراطية المسيحية" في تطوير التقاليد الديمقراطية في أوروبا باعتماد المعايير العلمانية التي تنأى عن استخدام الدين لأغراض سياسية أو إيديولوجية.

يذكر المتحدث الدنمركي عموماً بعض الأمثلة التي تؤكد أن الإسلام لا يتوافق مع الديمقراطية. ومن ضمنها أنه لا توجد دولة واحدة في العالم الإسلامي يمكن اعتبارها ديمقراطية، بتبني حرية التعبير وسيادة القانون. ويشير آخرون إلى تركيا بأنها مثال على "الديمقراطية الإسلامية" وهي دولة تقوم باستمرار على اعتقال الصحفيين والمعارضين السياسيين والأشخاص الذين يُزعم أنهم "انتهكوا عرض" الرئيس أردوغان أو "الإسلام" أو "الأمة".

المثال الآخر إن المسلمين -في أوروبا- يصوتون بشكل جماعي. حيث تظهر الدراسات أن "الكتلة الحمراء والخضراء" تحصل على ما بين 80-90% من أصوات المسلمين.

2-3- النعوت العاطفية:

أ- "في الفكر الإسلامي، بذلت محاولات عديدة على مدى قرون للتوفيق بين الفلسفة والإيمان. كان ابن رشد (1200) واستناداً إلى فكر أرسطو، قد حدد الله بالقوة التي أبقت الكون مستمراً. كانت وجهة نظر متفجرة، فتحت إمكانية التبرير المعقلن للإيمان"⁽¹⁾.

يركز المتحدث هنا على قيم العقلانية التي استأثرت باهتمام الفلاسفة المسلمين؛ وفي مقدمتهم ابن رشد سعياً إلى التوفيق بين الفلسفة والإيمان، بين مقتضيات الدين ومتطلبات الواقع. يقدم هذا النوع من التفكير وجهة نظر متفجرة في الفكر الإسلامي، لا تكتفي بالتأويل الوحيد للدين، ولا تستديم الأفكار الماضوية بحكم تطور المجتمع الإسلامي وتعدد بنياته.

1- Steffen Heiberg, "Bevægeren Bo", *Politiken*, 14.4.2001, p.7,

ما يلفت النظر- علاوة على ذلك- هو أن المتحدث يثير الوجه الإيجابي في الثقافة العربية الإسلامية بالتركيز على المحاولات العقلانية التي سعت إلى التوفيق بين الإيمان والفلسفة. وهذا على نقيض ما نعاينه في الآراء الأخرى التي تركز على الجوانب السلبية في الثقافة العربية الإسلامية لبواعث سياسية وأحيانا عنصرية.

د . "راما ونور معمورة طالبتان مسلمتان، لكنهما التحقتا بمدرسة ما بعد الثانوية المسيحية. هنا تقام الصلاة ويقرأ الكتاب المقدس كل يوم. استبدلتا المسيحيين بالرفاق المسلمين، كما استبدلتا اللغة العربية بالدنمركية. ومع ذلك تشعر الشقيقتان أنهما تقتربان من الله، لأنه على الرغم من اختلاف أديان الطلاب وشعائهم، إلا أن الرغبة في إيجاد طريق إلى الله واحدة. تجلس راما معمورة بعيون مغلقة وأيدي مطوية وتصلي لعائلتها في سوريا التي مزقتها الحرب. راما واحدة من خمسة طلاب مسلمين. تقول إنها أصبحت مسلمة وتفقّت نفسيتها بالروح الدنمركية أكثر من الدنمركيين بمداومة التعليم التبشيري"⁽¹⁾.

تقلل المدرسة عموماً من أهمية الاختلافات - الاجتماعية والعرقية والدينية، وتركز في التدريس على حقيقة مفادها أن التلاميذ جميعهم على قدم المساواة. ترسل بعض العائلات المسلمة أطفالها أحيانا إلى المدارس المسيحية المجانية، بدعوى أن المعتقد السماوي أفضل من عدمه حرصا على تهذيبهم وإرشادهم إلى الصراط المستقيم. وعندما تصلي الشقيقتان المسلمتان؛ فهما تقومان بذلك إيمانا منهما بوحدة الأديان السماوية في مرامها البعيدة، وبالتخشع والترهب لله الواحد القهار لإسعاف بلدهما سوريا في الخروج عالي الرأس من الحروب التي دمرته وشتّتت ساكنته ومزقته إربا إربا. وإن كانت راما (مثال من أمثلة عديدة) متشبثة بهويتها الأصلية، فهي تعد نفسها أكثر دنمركية من الدنمركيين أنفسهم بدعوى مداومتها على التعليم التبشيري بانتظام، وعدم تكريسها للتمييز السليبي بين الأديان مادامت تدعو إلى محبة الله وإلى السلم والوئام المستديمين.

هـ- "يتم ترهيب الدنمركيين بدعوى انتشار الإسلام في بلدهم، واختلاف لون البشرة والسلوك والثقافة واللغة بين ظهرانيهم: كل ما يخالف المعتاد بالنسبة للدنمركيين، هو أصل

1-Mette-Dalgaard, "Muslimske elever på kristne skoler", *Politiken*, 14.9.2017, p.8.

المشاكل المعقدة. إن كان العديد من المهاجرين في الدنمرك من الهند، ستكون الهندوسية هي السبب. ولو كانوا من إيطاليا لكانت الكاثوليكية. نحن لا نفعل شيئاً لمحاولة فهم جوهر الإسلام، سواء أخرج المرء بعد ذلك بنتيجة إيجابية أم سلبية، لا يساهم هذا الأمر في التفاهم والتسامح، بل يسلط الضوء على الجوانب السيئة تجاه الآخر"⁽¹⁾.

إن حملة ترهيب الدنمركيين بالمهاجرين المسلمين على وجه الخصوص، تتزامن دوماً وتزايدت نسبة الهجرة من بلدان غير غربية، وكذا التخوف من أن يصبح المسلمون أغلبية في الدنمرك. يركز بعض السياسيين الدنمركيين وبعض وسائل الإعلام على قضايا إشكالية تخص تهديد الشريعة الإسلامية للهوية الدنمركية وقيمها.

دون شك، إن عدداً من المشكلات -التي تصب في فشل اندماج المهاجرين واللاجئين المنحدرين من أصول إسلامية خاصة- ترجع إلى قلة معرفة المسلمين بالأوضاع الدنمركية من جهة، وافتقار الدنمركيين إلى المعرفة الكافية بالإسلام والمسلمين من جهة ثانية. وما يهم الدنمركيين - علاوة على تزايد أعداد المهاجرين وتأثيرهم في النسيج الاجتماعي - هو عدم فهم الإسلام على حقيقته، والخلط بينه وبين الإسلاموية. وهو ما يقتضي البحث عن أفق جديد للتفاهم والتواصل، وتفادي الصور النمطية والعنف اللغوي، والتفكير في صيغ جديدة لإشراك المهاجرين المسلمين في الحياة العامة وإدماجهم حتى يشعروا بكرامتهم ومواطنتهم، ويستثمروا قدراتهم ومؤهلاتهم وخبراتهم داخل المجتمع وليس على حدوده (ما يصطلح عليه بالفضاء الثالث أو المنطقة البيئية). وفي هذا الصدد يستلهم هومي بابا الاستعارة المعمارية من رونييه كرين (Renee Green) لبيان كيف يلتقي سكان العمارة (المهاجرون) ذوي الجنسيات والبشرات المختلفة في الممر (على الحدود) لتبادل خبراتهم وثقافتهم. فإما تعزز تفاهمهم على قدم المساواة (التهجين الثقافي واللغوي والهوياتي) وإما تدفع كل طرف إلى الانكماش على ذاته ومعاداة غيره (الهوية الطاهرة والقاتلة). "إن بئر السلم بوصفه فضاء حدياً، فيما بين الهويات المحددة، يغدو سيرورة من التفاعل الرمزي، نسيجا ضاماً يبني الاختلاف بين الأعلى والأدنى، والأسود والأبيض، فالاقتراب من بئر السلم والابتعاد عنه، وما

1- Morten warmind., "Islamisk tolerance", *politiken*, 9.11.2001, p.8.

يتيحها من حركة ومروور مؤقتين وعابرين، يمنع الهويتين الواقعتين في طرفيه من أن يستقرا في قطبين أصليين. فهذا الممر الخلالي [الفضاء الثالث أو البيئي] بين تعيينات ثابتة يكشف عن إمكانية هُجْنة ثقافية تصون الاختلاف دون ترابنية مزعومة أو مفروضة⁽¹⁾.

و- "لم يكن توظيف الأشخاص ذوي الخلفية الدينية يثير مشكلة في الشركات الدنمركية التي لا تمنع توظيف النساء المحجبات. فقد أظهرت دراسة جديدة أن قاعة الصلاة وارتداء الحجاب والاحتفال بالأعياد الدينية، ليست مشكلة في أماكن العمل الدنمركية، لكن ارتداء النقاب والبرقع من السلوكيات المحظورة"⁽²⁾.

يثير المتحدث مشكلا في المجتمع الدنمركي هو تخوف الدنمركيين من انتشار الإسلام في الدنمرك بسبب التساهل مع المسلمين في ممارسة شعائهم الدينية بحرية. وبالمقابل، ينشر المسلمون مزاعم بالتحريض على مقاطعة الفنادق والمقاهي والمطاعم الدنمركية بدعوى أنها تبيع شرب الخمر وأكل لحم الخنزير، وعلى عدم الاشتغال في سياقة سيارات الأجرة لأنه من الإثم نقل الركاب إلى الحانات التي تقدم الكحول.

يرد القول السابق لتفنيد مزاعم هذا الطرف وذاك، مبينا أن معايير التوظيف لا تقيم وزنا للاختلافات الدينية والعرقية، بل تركز على الكفاءة والخبرة أيا كان لون المرشح وديانته. فضلا عن ذلك توفر الشركات للمسلمين شروطا مناسبة لممارسة شعائهم الدينية حرصا على التعدد الثقافي، دون أن يؤدي ذلك إلى الإثارة والتمييز (ارتداء البرقع والنقاب) المخالفين للقانون المعمول به. يمنع القانون الدنمركي ارتداء النقاب والبرقع وأي لباس يوحي بالتمييز الديني أو العرقي لأنه يناقض الأسس العلمانية التي تعد من ثوابت الدولة الدنمركية.

ورد في كتاب أصدره "المركز القومي للبحوث للرعاية الاجتماعية" بعنوان "وضع المهاجرين وأحفادهم في سوق العمل لدنمركي" أنه:

1- هومي. ك. بايا، موقع الثقافة، تر. نائديب، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006، ص.42.

2- Redaktør, "Virksomheder: Ja til tørklæder, men nej til burka" *politiken*, 13.2.2008, p.10.

"منذ عام 1997 إلى عام 2012 أصبح المُتحدِّرون من أصول غير غربية أكثر تشابهاً مع الدنمركيين من حيث تقاسم المناصب. إن عدداً أقل من المهاجرين لديهم وظائف في أسفل التسلسل الهرمي للوظائف، ولديهم وظائف أكثر في أعلى التسلسل الهرمي للوظائف"⁽¹⁾.

وهذا ما يزي تكافؤ الفرص بين المواطنين في الدنمرك بالنظر إلى كفاءتهم وخبرتهم. استطاع وفق ذلك كثير من المهاجرين وخاصة المسلمين أن يثبتوا جدارتهم في المجتمع الدنمركي، وهو ما أهلهم للوصول إلى المناصب العليا.

مما تقدم أخلص إلى ما يلي:

أ- تتسم النعوت الملتصقة بالمسلمين والمهاجرين- في الشواهد-بالجوانب السلبية والإيجابية على حد سواء وفق مقصد المتحدث وأغراضه. لاحظنا -في بعض العينات-أن الدنمركيين يحملون صورا إيجابية عن المسلمين والإسلام، بالرغم من وجود الموقف المتشدد لليمين الدنمركي تجاههم. يبدو أن الدنمركيين -عموما- يشاطرون اليمين موقفه لتوجسهم وخوفهم من الهالة المضروبة على الإسلاموية لما تحمل من أخطار على سلامتهم واستقرارهم، وعلى هويتهم الأصلية. ما يخيف الدنمركيين أساساً ليس الإسلام في حد ذاته بل طريقة تديره واستغلاله لأهداف سياسية وخاصة بعد تنامي ظاهرة التطرف الإسلامي. فهم يحرصون- انسجاما مع توجههم الليبرالي والعلماني- على أن يوفرُوا للمهاجرين ما يحتاجونه لممارسة ثقافتهم التي تندرج في عداد التعدد الثقافي دون اللجوء إلى أساليب العنف والتطرف والتمييز التي تؤثر سلبا في النقاش العمومي، وفي لحمة النسيج الاجتماعي.

ب- لا يمارس المجتمع الدنمركي التمييز السلبي في توظيف الأجانب. يُختار أفضل المرشحين باعتماد معايير الكفاءة والنزاهة بغض الطرف عن انتماءاتهم القطرية ومشاريتهم الإيديولوجية وعقائدهم الدينية. وبفضل هذه المعايير والمقاييس استطاع كثير من المهاجرين أن يشغلوا وظائف محترمة إن لم نقل سامية. وهو ما يسر اندماجهم في المجتمع الدنمركي من جهة، ويساهم في تحسين صورتهم من جهة ثانية. لكن الرأي العام- الذي تصنعه وسائل

1- Cedric Gorinas& Jakobsen Vibike, *Indvandreteres og efterkommeres placering på det Danske arbejdsmarked*, SFI, nationale forskningscenter for velfærd, 1.ud, København, 2015, p.68.

الإعلام الموجهة- ما فتئ متوجساً من الصورة النمطية للمسلم، والتي تكرست أكثر مع تزايد أعداد المهاجرين، وتعرضهم للكراهية والازدراء والإقصاء لتشبثهم بعاداتهم وتقاليدهم، وصعوبة اندماجهم في الفضاء الجديد.

ج- يحرص المتحدث الدنمركي على استخدام النعوت الموضوعية تجاه المسلم لتفادي الأحكام القيمية، والتعامل معه كما لو كان طرفاً من المجتمع الدنمركي إن هو امتثل للقوانين الديمقراطية والعلمانية المعمول بها. وتفرض المنطقة البينية (الفضاء الثالث، استعارة "بئر السلم") على المهاجر أياً كان موقعه الثقافي ولونه وانتماؤه الديني أن يحسن التفاوض⁽¹⁾ لاكتساب ثقافة ورؤية جديدتين (الهوية المكتسبة)، والاندماج في المجتمع الدنمركي لتغيير الصورة النمطية الملصقة ببني جنسه لاعتبارات سياسية وانتخابية أساساً، والتخلي عن العنف والعنف المضاد بسبب التشبث بمقوماته الأصلية ومعاداة غيرها (الهوية الأصلية النقية).

3- محور الأفعال الذاتية

3-1- الأفعال الذاتية التثمينية:

أ- يقول رئيس حزب الشعب الاشتراكي "فيلي سفندال" Villy Søvndt بصدد انتماء المهاجرين إلى الدنمرك، بعد الأزمة التي أعقبت نشر الرسوم عن الرسول صلعم، وحرق الأعلام والسفارات الدنمركية في عدد من الدول الإسلامية. "جاء الكثير من اللاجئين والمهاجرين إلى الدنمرك لأن الأنظمة الدينية مثل إيران أو أنظمة علمانية مثل النظام العراقي طردتهم. أشعر بإهانة شديدة لرؤية علم بلادي وسفاراته تحترق. أمني النفس بأن ينأى المسلمون في الدنمرك عن تكرار مثل هذا الحدث. لا أفهم تماماً لم لا تلعب حرية التعبير دوراً رئيساً بالنسبة لهم"⁽²⁾.

1- فيما يخص التفاوض انظر هومي. ك. بايا، موقع الثقافة، م. سا. "التفاوض هو أن يحاول المرء تعديل شيء فرض عليه، لأنه مرغى على الإبقاء على تلك البنى ولا يستطيع قطعها تماماً"، ص- ص. 38-39.

2- Redaktør, "Khader er skuffet over manglende loyalitet", *Politiken*, 13.3.2006, p.7.

يعتبر الدنمركيون أن القدرة على التفكير والتعبير عن الذات بحرية، أمراً أساسياً لتكامل الشخص وتطوره، فضلاً عن دوره في رفاهية المجتمع. يرون أيضاً أنه على المسلمين مواجهة الظلم والتعبير عن القضايا المجتمعية، بشكل نقدي وموضوعي. وعلى المسلمين الدنمركيين احترام حرية التعبير في تواصلهم مع الآخرين، وممارسة النقد، والرد على الأزدراء والسخرية بالرحمة والتسامح.

يستخدم المتحدث الدنمركي عينة من الأفعال الذاتية التي تشف عن موقفه المنفعل والمُثَمَّن إزاء تصرفات المسلمين بعد نشر الرسوم المسيئة للرسول صلعم: أشعر بالإهانة/ أمني النفس/ لا أفهم. فعلاوة على شعوره بالإهانة وهو يرى رموز بلاده "تحترق"، يبدو مصدوما لعدم سوغ الآخر المسلم حرية التعبير التي تجيز في نظره السخرية من كل شيء على وجه البسيطة؛ ومن ضمنها الرموز والمقدسات الدينية. لحرية التعبير حدود لا ينبغي تجاوزها، كما أنّ القوانين المعمول بها تجرم العبث بالمقدسات والاستهزاء بها، وتحضُّ بالمقابل على احترام معتقدات الآخر، وعدم تبخيسها وتحقيرها.

ب- "إذا كان الدنمركيون الجدد يريدون أن تحظى تجربة المواطنة -التي تتخطى الحدود العرقية والاجتماعية- بالشرعية والقبول، فهذا يتطلب منهم أن يشعروا بأنهم جزء من المجتمع أسوة بباقي السكان. لكن وسائل الإعلام تحول دون ذلك"⁽¹⁾.

ركز المتحدث على الفعل العاطفي "يشعروا" لبيان العوائق النفسية التي تعيق اندماج الدنمركيين الجدد في المجتمع، وتحول دون تمتعهم بالحقوق وبالمواطنة على غرار أندادهم. وما يعمق الجروح الرمزية في طويتهم هو إصرار وسائل الإعلام على ترويج الصور النمطية عنهم لتكريس تبعيتهم ودونيتهن، وتأليب الرأي عليهم لبواعث عرقية وسياسية، ولحسابات انتخابية.

تعد وسائل الإعلام أحياناً الثقافة الإسلامية عائفاً يحول دون تمثيل القيم الدنمركية والاندماج في الحياة العامة. يعرض المسلمون عن النساء الدنمركيات المتحررات، ويعلون من شأن المسلمات المحجبات والقابعات في منازلهن. وبهذه الطريقة يظل المهاجرون جُلهم -ومن

1- Olav Hergel, "Medierne viger uden om nydanskere som kilder", *Politiken*, 5.1.2012, p.9.

ضمنهم المسلمون- على الحدود لصعوبة تخليهم عن مقومات ثقافتهم الأصلية، والانخراط في صلب المجتمع الجديد.

ترك الصحف الدنمركية- بصورة عامة – انطباعاً مفاده أن الشيء المثير في الإسلام هو أنه ينشر الرعب، وينشر الإرهاب، ويظلم المرأة، ويشل العقل والحس النقدي، ويتعارض مع الديمقراطية وحقوق الإنسان، ويهدد الثقافة الدنمركية.

ج- "يجب أن تتعرّف وسائل الإعلام أنّ هناك الكثير من الناس يقرؤون ويشاهدون التلفزيون. تُقدّم صورةً ممجوجةً عن المهاجرين من خلال قصص الجريمة والعنف، ومن خلال الإسلاموية، هذه هي الصورة التي تُشكّل وتُروّج عنهم. لا يتصرف المسلمون على هذا النحو. لديهم مواقف تجاه أشياء أخرى باستثناء التكامل والاندماج. الدنمركي الجديد أكثر من أن يُختزل في مشكلة الاندماج، وفي كونه مسلماً"⁽¹⁾.

تستخدم وسائل الإعلام الدنمركية الصور النمطية عن المهاجرين والمسلمين، بارتداء البرقع، أو الملابس السوداء الطويلة، أو اللحي الكثيفة، أو القبضات المرفوعة عالياً، أو الوجوه المتجهمة. يستخدم المتحدث- عكس ذلك- النفي (لا يتصرفون) لبيان أن المسلمين لا تنطبق عليهم اعتباراً قصص الإجرام والعنف (الصورة النمطية)، بل يسهمون – كغيرهم من المواطنين- في تقدم الدنمرك وازدهاره بفضل خبراتهم ومؤهلاتهم المهنية، واستعداداتهم للاندماج في المجتمع والانخراط في مشاريعه المفيدة والمنتجة.

نشرت مجلة Journalisten التي تصدر عن "اتحاد الصحفيين الدنمركيين" مقالاً بعنوان "المهاجرون يشتررون المنازل أيضاً"⁽²⁾ مصحوباً بصور لا تناسب المقال، بل تعزز الصورة النمطية عن المرأة التي ترتدي البرقع وهي تدفع عربة أطفال.

علاوة على ذلك تُستثمر الأقليات العرقية بصفتها مواد لقصاص الجريمة. إنّ المواطنين ذوي البشرة السمراء يشغلون المكانة العليا في إحصاءات الجريمة. وهذا بالطبع واقع يجب استنطاقه واستجلاؤه سعياً إلى فهم حيثياته وأسبابه ثم تغييره. لا تكمن المشكلة في هذا

1- Olav Hergel, "Medierne viger uden om nydanskere som kilder", *Politiken*, 5.1.2012, p.9.

2- Lotte Rosdahl, "Indvandrere køber også huse", *Journalisten*, 21.6.2016, p.18.

المستوى، بل تتجاوزه بحثاً عن المغيّب والمخفي. لم لا تعتمد الصورة الإعلامية إلى إبراز الوجه الآخر من القصص، وهو المتعلق أساساً بنجاح المهاجرين في الحياة العامة، وبأدائهم المبرر، وبانخراطهم في سوق الشغل، وبانضباطهم للقانون الدنمركي، وبتسديد الضرائب أسوة بنظرائهم الدنمركيين. وفي هذا تُستحضر صورة الفريق الفرنسي الذي أحرز مرتين كأس العالم (خلال عام 1998 بفرنسا، وعام 2018 بروسيا). وإن كان معظمهم من السود الفرنسيين، هناك من يسعى إلى التنغيص عليهم بالبحث عن أصولهم الأفريقية. وهو ما صرح به علانية جون-ماري لوبين "أمين الجبهة الوطنية". "هؤلاء ليسوا فرنسيين. خليط من الأفارقة الذين لا يستظهرون النشيد الوطني".

هـ- يقول الصحافي والمؤلف الدنمركي "أيدين سوي Aydin Soei" رئيس جمعية الصحافة المسؤولة: "كثيراً ما نسمع أن الشباب من أصول مهاجرة لا يريدون التحدث إلى وسائل الإعلام لأن الصحفيين متحيزون. كلّ الصحف التي تتحدث عنهم تتظاهر بحسن النية، وهو ما يؤدي إلى الحلقة المفرغة. عدم الثقة تولد عدم الثقة. عندما لا يشعر 70% من الأقليات العرقية بالثقة في وسائل الإعلام؛ فذلك يعني أنهم يمثلون مجموعة ترجح قول لا، خاصة عندما يسألهم الصحفيون عما إذا كانوا يريدون التحدث علانية"⁽¹⁾.

يؤكد المتحدث فعل "التظاهر" لبيان أن الصحافة الدنمركية تتعامل بمنطق الظهور والكينونة مع المهاجرين. تظهر لهم أشياء كما لو كانت حقيقية، في حين تخفي عنهم الوجه الآخر من الحقيقة. إنّ ثقة المهاجرين في وسائل الإعلام أقل من ثقة السكان ذوي الأرومة الدنمركية. وبالتالي فإن نسبة 70٪ من الدنمركيين الجدد لديهم ثقة محدودة في وسائل الإعلام. وهذا راجع إلى حقيقة مفادها أن العديد من الأقليات العرقية لا تعرف بصورتها الحقيقية التي شوّهت لبواعث سياسية وإيديولوجية وحتى عنصرية. نادراً ما تستخدم وسائل الإعلام الأقليات كمصادر إخبارية إيجابية، في منأى عن الصور النمطية التي تقدم المهاجرين كمثال عن الجريمة، والبطالة، وعدم الاندماج، والعنف.

1- Olav Hergel, "Medierne viger uden om nydanskere som kilder", *Politiken*, op.cit.,p.9.

2-3- الأفعال الذاتية العاطفية:

أ- يقول وزير شؤون الكنيسة الدنمركي يوهانس ليبيش Johannes Liebich رداً على مطالبة اليسار الراديكالي الدنمركي المملكة العربية السعودية بوقف انتهاكات حقوق الإنسان: "لن أتوجه إلى المنصة، كما دُعيت في مؤتمر هدفه العمل من أجل التسامح الديني والحوار والتفاهم، ثم أدين بعض المشاركين. سيكون خطابي حول كيفية إدراكنا في الدنمرك لمفهومي حرية التدين والتسامح"⁽¹⁾.

ما يهمنا من قول المتحدث هو التركيز على التباين الحاصل في تقييم مفهومي حرية التدين والتسامح بين الدول الغربية والدول الإسلامية. تنطلق الأولى من تصور علماني يفصل بين الدين والدولة، وينشد حرية التدين وممارسة الشعائر الدينية دون ضغط أو ميز سلبي. في حين لا زالت معظم الدول الإسلامية تحرم الأقليات من ممارسة شعائرها الدينية، وتتوجس من حرية التعبد والتدين؛ وتعزز ذلك أكثر مع تنامي المد الإسلامي المتطرف الذي يدافع عن الفكر الأحادي، ولا يقيم وزناً للآراء الأخرى بدعوى أنها بدعة وهرطقة. يستخدم المتحدث فعل "الإدانة" المشحون بالعاطفة للدفاع عن القيم الدنمركية التي تقوم على مفهومي حرية التدين والتسامح، ومُحاجة الطرف الآخر (المملكة العربية السعودية) الذي ينظم مؤتمراً دولياً حول التسامح الديني، في حين يخرق مبادئ حقوق الإنسان.

ب- يدعو -ممثل المواطنين- في مجلس بلدية كوبنهاغن "ولايث خان" Wallait Khan -عدداً من الأئمة المسلمين، ورؤساء الجمعيات والمنظمات الإسلامية إلى اجتماع يهدف إلى تحسين اندماج المسلمين في المجتمع الدنمركي: "يوجد لدينا اليوم العديد من التفسيرات المتضاربة حول الإسلام. يجب أن يكون المجلس مفيداً في تقديم المعلومات الموحدة حول الإسلام، حتى لا نعاني من سوء الفهم اليوم. سيكون هناك ممثلون من جنسيات مختلفة أتراك، وباكستانيون، وصوماليون، وعرب. سوف نعمل على تطوير المجالس حتى تستوعب الدنمركيين جميعهم"⁽²⁾.

1- Claus Thomsen, "Radikal støtte til ghettoer", *Politiken*, 3.3.2001, p.5.

2-Trine- Reitz, "Bjerregaard", *Islamisk råd på vej*, *Politiken*, 16.4.2001, p.9.

يركز المتحدث على أفعال ذاتية (يهدف، لا نعاني، نعمل على) لتبديد الصورة النمطية عن المسلمين، بالحرص على التفاهم والتعاون بين مختلف الحساسيات الدنمركية وأنماطها وشرائحها. ولذا ينادي المتحدث- وهو فاعل سياسي- بعقد اجتماعات وتنظيم مجالس مشتركة من أجل تبادل وجهات النظر، والتفكير في اقتراح صيغ فعالة للتوافق والعيش المشتركين، وتوحيد النظرة في تدبير الشأين السياسي والديني، وتعزيز سبل الاندماج الاجتماعي.

ج- يقول إبراهيم رمضان أمين صندوق جمعية المسلمين الديمقراطيين وعضو مجلس الإدارة: "ليس الوحيد الذي تلقى تهديداً. لقد تلقى العديد من أعضاء المسلمين الديمقراطيين تهديدات بالقتل، وبصق عليهم إخوانهم المسلمون، وتعرضوا للتهديد بمقاطعتهم في مجتمعاتهم الإسلامية الداخلية، إذا لم ينأوا بأنفسهم عن ترويج أفكار مُهرطقة حول المسلمين والإسلام"(1).

علاوة على سوء الفهم بين المسلمين والدنمركيين، يوجد سوء تفاهم آخر لا يقل عنه أهمية، وهو ما يحدث بين المسلمين أنفسهم: بين من يعمل في المؤسسات الدنمركية، وبين من هو خارجها. يضطر الطرف الأول إلى الانضباط لأفكار المؤسسة وإرغاماتها، ويحرص على التواصل إيجاباً مع الدنمركيين في إطار العيش المشترك. في حين يتمرّد عليها الطرف الآخر باعتبارها سبباً في تهميشه وإبعاده وإذلاله، ولذا يتهم كلّ من يتعامل معها بالخيانة والخنوع والتبعية العمياء. وهو من بين المظاهر الاجتماعية المعقدة التي تصعب من مأمورية الاندماج والتلاحم الاجتماعيّ، وتزكي الصورة النمطية عن المسلم بسبب سوء التفاهم، وتبادل التهم المغرضة، وانعدام الثقة.

من خلال ما تقدم يتضح ما يلي:

أ- يستخدم المتحدث الدنمركي عينة من الأفعال الذاتية التثمينيّة والانفعالية تجاه المسلمين لغرابة تصرفهم (حرق علم الدنمرك)، وذرههم الملح في جراحهم الرمزية، وترويج الصور النمطية عنهم للحط من شأنهم (قصص الإجرام والعنف والإرهاب).

1- M Anne Sørensen, "Dødstrusler mod Demokratiske Muslimer", *Politiken*, 31.3.2006, p.8.

ب- يحرص متحدثون آخرون على محو الصور النمطية التي تعيق التفاهم مع الآخر المختلف (المسلم)، وتكرس تبعيته ودونيته، ولا تكثر بمؤهلاته كمواطن يؤدي واجباته ويتمتع بحقوقه كباقي المواطنين دون تمييز أو إقصاء أو تهميش.

4- أفعال الجهات

"تعبّر أفعال الجهات (verbes de modalités) - بحسب شارل بايي Charles Bally - عن موقف الذات إزاء تمثيل افتراضي"، وتجسد- بحسب روسيل Roussel - تصرف عامل ما حيال موضوع. مثلاً: يخشى فلان أن يأتي رفيقه. قدوم الرفيق يعد شيئاً مفرعاً بالنسبة إلى فلان⁽¹⁾. سأحلل عينة من هذه الأفعال في علاقتها بمجالي الذاتية في اللغة والصوريات لإبراز كيف ينظر المتحدث الدنمركي إلى الإنسان المسلم في منأى عن الأحكام القيمة والانطباعة.

أ- تدافع وزيرة الاندماج "ريكي هفيلشوج" Rikke Hvilshøj عن حق النساء المسلمات في ارتداء الحجاب، ولا تتفق مع "سورين كراروب" Søren Krarups المتحدث باسم "حزب الشعب الدنمركي" في مقارنة الصليب المعقوف النازي بالحجاب.

"لا أريد أن أصبح قاضياً لما يقوله سورين كراروب. لا أتفق معه في الرأي. أحترم المسلمين في الدنمرك بدعوى لديهم تفسيرات مختلفة لديهم. أنا أحترم الحجاب، ولا أوافق على وجهة نظر "حزب الشعب". أنا أعلم أنّ هناك العديد من المسلمين في الدنمرك يمكنهم التوفيق بين دينهم والمجتمع الدنمركي والديمقراطية الدنمركية"⁽²⁾.

تستخدم المتحدثة أفعالاً جبهة للتعبير عن موقف رسمي تجاه ظاهرة مثيرة للجدل وحساسة في أوروبا قاطبة، وهي ارتداء المسلمات الحجاب في الفضاءات والمرافق العمومية. لا تمنع في ذلك، ولا تشاطر الرأي المتطرف الذي يتبناه "حزب الشعب الدنمركي" تفادياً

1-Catherine kerbrat Orecchioni, *l'énonciation de la subjectivité dans le Langage*, Armand Colin, 1980, p.102.

2- Nilas Heinskou, "Hvilshøj Krarup bruger bare sin ytringsfrihed i hagekors-sag", *politiken*, 19.4.2007, p.6.

لإثارة البلبلة حرصاً على حفز المسلمات على التوفيق بين معتقدهن ومتطلبات المجتمع الديمقراطي.

وفي هذا الصدد، تعتبر السيدة الوزيرة بصفتها ناطقة باسم الحكومة الدنمركية أن مسألة الحجاب تندرج ضمن الحريات الشخصية في حدود اللباقة والاحترام، ولا تؤثر في دينامية المجتمع الدنمركي ولحمته. فما تحرص عليه أساساً بالنفي (لا أريد/ لا أتفق) وبالتأكيد (أحترم/ أعلم) في الآن نفسه هو استبعاد الوازع الديني من محاكمة المسلمين وإقصائهم ما داموا يمارسون شعائرهم الدينية في إطار ما يسمح به القانون المنظم لحريات الاعتقاد الديني، ويسهمون بما أوتوا من طاقات ومؤهلات في تنمية المجتمع الدنمركي وتقدمه.

ب- شن ناصر خضر القيادي في "الحزب الراديكالي الدنمركي" حملة ضدّ منى الشيخ الشابة والعضو في الحزب نفسه، على خلفية انتمائها إلى منظمة إسلامية تدعى "منهج القرآن"، وتتبنى عقوبة الإعدام. يتمهما خضر بأنها عضو في منظمة تضطهد المرأة، فيما اعتبر كاتب المقال أن ما يحصل هو جريمة قتل الصحافية منى الشيخ:

"أنا أعلم أنّها ولدت ونشأت في الدنمرك من أسرة باكستانية. وأعلم أنّها انضمت إلى "رابطة شباب النساء"، وتدرس العلوم السياسية في الجامعة، وهي تنشط بحماسة في أعمال الاندماج، وأنا متأكد أن مظهرها الخارجي يتعارض تماماً مع النموذج غير المتعلم والمخيف للمرأة الإسلامية الأصولية. أعتقد أنّ الاتهامات الموجهة إلى منى هي جريمة لقتل الصحافية"⁽¹⁾.

يستخدم المتحدث أفعالاً جبهة من قبيل التوكيد للدفاع عن منى الشيخ (عضو في "الحزب الراديكالي"، وفي منظمة إسلامية تدعى "منهج القرآن") التي تواجه حكم الإعدام المعنوي بتهمة الانتماء إلى منظمة تضطهد المرأة. ويستثمر المتحدث حججاً لإبراز مدى براءتها. ومن ضمن هذه الحجج أنّ هندامها يختلف عن هندام المرأة الأصولية (الحجاب، اللباس الساتر، الدشداشة)، كما تلقت تعليماً عصرياً في الجامعة الدنمركية، وتنشط في إطار المجتمع المدني لإدماج المهاجرين والحدب عليهم. يؤيد القيادي في "الحزب الراديكالي" تنفيذ

1- Søren Nielsen, "Historien om et forudsigeligt medie-mord", *Politiken*, 26.5.2001, p.10.

عقوبة الإعدام في حقها، في حين يطلب المتحدث التريث لتفادي ارتكاب جريمة في حق الصحافية من جهة، ولتعزيز حرية التعبير والرأي والنقاش في المجتمع الديمقراطي من جهة ثانية.

ج- "لا يُضْطَرُّ إلى تعليم الإسلام في الدنمرك باللغة الدنمركية، ولا يُعلَّم وفق الظروف الدنمركية، لذلك لا يُتاح للمسلمين وضع الإسلام في السياق الدنمركي. من الضروري إنشاء تعليم ديني إسلامي في الدنمرك، بهدف تأهيل أئمة دنمركيين مسلمين، يقدمون إجابات عن سبل عيش المسلم في الدنمرك"⁽¹⁾.

يستعمل المتحدث فعلا جهيا (الاضطرار) وجهة (الضرورة) لاستحداث تعليم ديني إسلامي في الدنمرك يُلقَّن باللغة الدنمركية. والغرض من ذلك هو تعليم الدين الإسلامي للناشئة من أبناء المهاجرين بالطرائق البيداغوجية الحديثة والفعالة من جهة، وتأهيل أئمة المسلمين والرقى بمستواهم العلمي والثقافي حتى يساعدوا المسلمين في الدنمرك على الاندماج، وحلّ مشاكلهم الاجتماعية.

د- "أشعر بإهانة شديدة لرؤية علي وسفاراتي يحترقان. أعتقد أنه من الأهمية بمكان أن ينأى المهاجرون المسلمون في الدنمرك بأنفسهم عن الحدث دون التحفظ. أنا قلق بشكل خاص من عدم فهم المسلمين الدنمركيين لحرية التعبير"⁽²⁾.

يوظف المتحدث فعلا من أفعال التعبير (أشعر) للدلالة على امتعاضه من قيام المهاجرين المسلمين بحرق علم الدنمرك وسفارتها احتجاجا على دعم الدنمرك "للرسوم المسيئة للرسول (صلعم)" باعتبارها عملا فنيا يدخل في إطار حرية التعبير. يناصر المتحدث هذا التعليل معاتباً المسلمين لعدم فهمهم لحرية التعبير. استنكر شيخ الأزهر أحمد الطيب الرسوم المسيئة التي أعادت نشرها صحيفة "شارلي إيبدو" الفرنسية الساخرة، ووصفها بأنها "جريمة في حق الإنسانية". وأضاف أن "تبرير ذلك بدعوى حماية حرية التعبير هو فهم قاصر

1- Claus Thomsen, "Islam med dansk præg", *Politiken*, 10.3.2001, p.9.

2- Redaktør, "Muslimer overvejer retssag mod kvindedemonstration", *Politiken*, 28.4.2001, p.10.

للفرق بين الحق الإنساني في الحرية وبين الجريمة في حق الإنسانية باسم حماية الحريات.⁽¹⁾

هـ- "أشعر بخيبة الأمل حين تكتب وسائل الإعلام عن المسلمين والمهاجرين، لأنها لا تزال تدور في الغالب حول مواضيع الجريمة والمزايا الاجتماعية والزواج القسري. ونادراً ما تمنح لهم فرصة الظهور في المقالات والبرامج المتلفزة"⁽²⁾.

يشعر المتحدث بخيبة الأمل إزاء ما يروج عن المسلمين من أفعال بشعة (من قبيل الجريمة والزواج القسري) للحطّ من قدرهم وشأنهم، وتأليب الرأي العام ضدهم. ونادراً ما تتاح لهم فرصة التعبير عن آرائهم ومواقفهم في الإعلام المرئي والمكتوب. وهذا ما يبين ما سبق لنا أن أثّرنا من قبل حول الميز السلبي بين المواطنين ذوي "الأرومة الدنمركية" و"مواطني الأوراق" (Citoyens de papier) أو بين المواطنين من الدرجة الأولى ومواطنين من الدرجة الثانية. وهذا ما يزيد من التوتر على الحدود (المنطقة البيئية)، ويسهم في تأجيج مشاعر الكراهية والحقد بين الطرفين، وفي ممارسة العنف والعنف المضاد، ويعزز استقرار الهويتين المتباينتين في قطبين أصليين (طهر الهوية ونقاوتها على نقيض الهجنة الثقافية التي تصون الاختلاف دون تراتبية مزعومة أو مفروضة: عادة ما تحرك بين تحديدات عرقية وتحديدات مستمدة من الفيزياء أو غير ذلك من التحديدات الرمزية. وجميع هذه الأشياء تغدو ضبابية على نحو من الأنحاء... إنّ إبراز جينالوجيا الطريقة التي تعمل بها المناطق الملونة وغير الملونة هو أمر مهم وشاق بالنسبة لي"⁽³⁾.

1- محرر الجزيرة "بعد الرسوم الفرنسية وتصريحات ماكرون شيخ الأزهر يرد على الإساءة للرسول الكريم" على إثر تعمد المجلة الفرنسية "شارل إيبدو" نشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، أدلى شيخ الأزهر أحمد الطيب بتصريح باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية في مواقع التواصل لإبراز أنّ "الإساءة لجناحه الأعظم ليست حرية رأي بل دعوة صريحة للكراهية والعنف وانفلات من كل القيم الإنسانية والحضارية". منشور بتاريخ 3-9-2020 على الموقع الآتي لقناة الجزيرة: <https://www.aljazeera.net/politics> (تاريخ الزيارة 1 مارس 2022)

2-Olav Hergel, "Medierne viger uden om nydanskere som kilder", *Politiken*, op.cit.p.9.

3- هومي. ك.بابا، موقع الثقافة، م.سا، ص.ص. 43-42.

و- "أعلم أنّ الكثير من اللاجئين والمهاجرين في الدنمرك جاؤوا مُلاحقين أو متابعين من أنظمة دينية مثل إيران أو أنظمة علمانية مثل النظام العراقي. أعتقد أننا بحاجة إلى إتاحة فسحة من الوقت لهم لحفزهم على التفكير في مساهمهم ومآلهم. أشعر باستغراب أن حرية التعبير لا تحظى باهتمامهم"⁽¹⁾.

تستثمر رئيسة "الحزب الاشتراكي الديمقراطي" هيلي ثورنينغشميدت (Helle Thorning-Schmidt) فعلا جهيا (أعلم) لإثبات خبر مطلع مفاده أنّ كثيرا من المهاجرين واللاجئين متابعين من الأنظمة السياسية لبلدانهم بسبب معارضتهم لها. ثم تستخدم فعلا جهيا للاعتقاد حرصاً على خلق المسافة إزاء الموضوع دون الحسم فيه بشكل قطعي ونهائي. وعليه، يجب على الدولة الدنمركية أن تتيح لهم مزيداً من الوقت لإعادة النظر في مساهمهم وتصحيحه وفق ما يناسب وضعهم الجديد في بيئة جديدة (علمانية وديمقراطية). وما يؤلم المتحدثة (أشعر بالاستغراب) أنّ هؤلاء المهاجرين لا يولون أهمية لحرية التعبير في سلوكهم وموقفهم من الوجود. وهو ما يعسر اندماجهم في المجتمع الدنمركي، ويثير حساسيتهم من بعض المواقف أو السلوكيات التي يعدها الدنمركيون في عداد "حرية التعبير".

مما تقدم، يتضح أنّ الأفعال الجبهة تسعف على إبراز مواقف المتحدثين على اختلاف أطيافهم ومشاربهم من المسلمين لما تتسم به من صبغة ذاتية (الانفعال، الشعور، الاعتقاد، التوكيد، النهي) ومن تشكيلة إيديولوجية (الحط من المسلم أو معاملته بكياسة وظرف). ينزع اليمين المتطرف إلى إشعال فتيل الكراهية ضد المهاجرين عموماً والمسلمين خصوصاً بدعوى أنهم سبب المشاكل التي يعاني منها المجتمع الدنمركي؛ ولذا يجب إجلأؤهم إلى بلدانهم حرصاً على استعادة أمجاد الماضي، والحفاظ على الطُّهر الهوياتي. في حين يحرص أغلب المتحدثين على تفادي التهم الجرافية ضد المسلمين باعتبارهم مكوناً من مكونات المجتمع الدنمركي. وتستدعي هذه النظرة الإيجابية إعادة تأهيلهم وتكوينهم حتى يسهل عليهم الاندماج في البيئة الجديدة والتأقلم مع أجوائها.

1-Redaktør "Danske muslimer forstår Muhammed-protester", *Politiken*, 12.3.2006, p.8.

5. العدة الحجاجية

وإن تنوعت الوسائل الحجاجية، وأضحت معقدة في سياقات مختلفة، ف "خاصيتها الأساسية تكمن في استخدام البرهنة في وضعية محددة"⁽¹⁾، لإقناع المتلقي بقضية ما، وتغيير معتقداته. سأركز -جريا على ما تناولته في الفصل التطبيقي الأول- على الحجج التي يستخدمها المتحدث الدنمركي في تعامله مع المسلم (صورة المسلم).

أ- يقول يورغن بيك سيمونسن من جامعة كوبنهاغن Jürgen Peek Simonsen عن المؤتمر الإسلامي الذي نظّمته المملكة العربية السعودية في الدنمرك عام 2001: "سيكون هناك خلاف كبير في المؤتمر، وسيكون أيضا جدال ومناقشة ووجهات نظر متعددة. وبالتالي سيكون المؤتمر رداً على تصورات الكثيرين عن الإسلام باعتباره ديناً غير قابل للتجدد، وأنه حركة موحدة جامدة تحوم حول الهدف نفسه. ليس هذا صحيحاً"⁽²⁾.

غالباً ما يُدرجُ الإسلامُ في السياقات الأيديولوجية لتبرير الانفصال الثقافي عن المجتمع الدنمركي؛ وهكذا يُعاملُ مع الإسلام بصفته نظاماً سياسياً وقانونياً، ومعتقداً للأفراد: يتجسد النظام السياسي في الخلافة، ويتجلى النظام القانوني في الشريعة، ويُعبّر عن المستوى الشخصي للإيمان بالتخشع والترهب والعبادة. لا تتسامح الثقافة الدنمركية مع "الممارسات الإسلامية المختلفة"، والتي تعد مسيئة للإنسان؛ ومن ضمنها: اضطهاد المرأة، وختان الإناث، والاستعباد الجنسي، والزواج المبكر، وتعدد الزوجات، وجرائم الشرف، ورجم الزناة، وما إلى ذلك من المزاغم التي يهولها الإعلام لبواعث سياسية. لا يُرحّبُ في الدنمرك بالجوانب السياسية والقانونية للإسلام، بينما تُحترم عقيدة الفرد بموجب مبدأ حرية العبادة والمساواة أمام القانون.

يأتي المؤتمر الإسلامي- الذي نُظّم في الدنمرك- لإثارة جملة من النقاشات حول كيفية تلقي الدنمركيين الإسلام، وخاصة بعدما ترسخت في أذهانهم الصورة السلبية عنه (التزمت، ومقاومة التجديد، والانغلاق، والجمود، والفكر الأحادي). ويفند الأستاذ الجامعي يورغن

1-Philippe Breton, *L'argumentation dans la communication*, La Découverte& Syros, Paris, pour la nouvelle édition, 2001,p.3

2- Bjørn Bredal, "Hellig forvirring", *Politiken*, 11.9.2004, p.11.

بيك سيمونسن هذا الطرح بدعوى عدم صحته. والمضمن في قوله إنّ الإسلام يتسم بكثير من الإيجابيات على عكس ما يروج عنه. وبذلك يمكن أن تحل الحجج المضادة لتصحيح الصورة النمطية التي يحملها الدنمركي عموماً عن الإسلام بسبب ما تروجه وسائل الإعلام عنه.

ب- صرح موجينز كامر Mogens Camre القيادي في "حزب الشعب الدنمركي" اليميني وعضو البرلمان الأوروبي، بما يلي بصدد ترشيح الشابة الدنمركية المسلمة أسماء عبد الحميد للانتخابات البرلمانية:

إنها فكرة مريضة وغير طبيعية على الإطلاق فيما يخص رغبة أصولية ترتدي الحجاب في أن تصبح عضواً في برلماننا الديمقراطي. بادر الاشتراكيون الديمقراطيون- في البرلمان الأوروبي- بإدانة تصريحات موجينز كامري حول المسلمين في البرلمان⁽¹⁾.

تسبب ترشح الشابة المسلمة "أسماء عبد الحميد Asmaa Abdel Hamid" لعضوية البرلمان الدنمركي، في انتخابات عام 2007، عن "حزب القائمة الموحدة"، في نقاش واسع بين الساسة الدنمركيين، وأحدث انقساماً بينهم لتباين آرائهم واختلافها.

نعاين الصبغة الانفعالية في ملفوظ موجينز كامر، واستخدامه ألفاظاً مستفزة وجارحة (فكرة مريضة على الإطلاق) لأنه لم يستسغ أن تترشح فتاة مسلمة إلى البرلمان الدنمركي. وما يثير في هذا الموقف المنفعل هو تبئير الاهتمام على لباس الشابة (الحجاب)، وعدم الاكتراث بكفاءاتها ومؤهلاتها. وعلاوة على أن الملفوظ يؤدي دوراً تحدّثياً (الميز السلبي بين الفتاتين السافرة والمحتجبة)، ينهض أيضاً بمهمة التأثير في المتلقي لحفزه على عدم التصويت على حزب القائمة الموحدة لأنه رشح -ضمن قائمة مرشحيه- فتيات يتميزن ظاهرياً عن غيرهن بارتداء الزي الإسلامي. يقول المثل السائر "اللباس لا يصنع الراهب"، لتأكيد زيف المظاهر وقدرتها على مغالطة الآخرين. وهو ما يعني أنه لا يجب الحكم على نوايا الفرد من خلال لباسه. فأعماله هي الكفيلة وحدها بتعرّف مؤهلاته، وتأهيل مكانته، وإصدار الحكم المناسب عنه.

1-Redaktør, "Ingen enighed om at fordømme Camre", *Politiken*, 24.4.2007, p.6.

تبنت الأحزاب السياسية ووسائل الإعلام سياسة التنقيص من قيمة الإسلام لتحويل الرأي العام، وتخويفه، ومغالطته، ونهيه عن التصويت لفائدة المرشحين المسلمين. وإذا كانت بعض الأحزاب تنساق وراء هذا النوع من الدعاية لدغدغة كتلتها الناجية، فهناك أحزاب أخرى (على نحو الاشتراكيين الديمقراطيين) تفند الأطاريح اليمينية التي تقوم على تمايزات جنسية وعرقية، وتدافع عن تساوي المواطنين جميعهم في حقوق المواطنة وواجباتها.

ج- "إذا افترضنا الآن أنَّ الإسلام هو مجرد دين وليس سياسة، فلماذا يدعو الأئمة جميع إخوانهم المؤمنين إلى التصويت على "قائمة الوحدة"؟ أسبب أنهم أصبحوا جميعاً في يوم واحد اشتراكيين وشيوعيين يساريين؟ أم بسبب أسماء مسلمة؟ بالطبع التفسير الأخير هو التفسير الصحيح"⁽¹⁾.

ينقسم المسلمون حول المشاركة أو عدمها في الانتخابات البرلمانية التي تُجرى في الدنمرك. هل يجب على المسلمين التصويت في الانتخابات البرلمانية؟ هذا سؤال يطرح نفسه تقريباً في كل مرة تُجرى فيها انتخابات في الدنمرك.

يرفض "حزب التحرير" المشاركة في الانتخابات البرلمانية، ويعارض شكل الحكم الديمقراطي في حدّ ذاته. يعتبر الحزب أن الديمقراطية- في جوهرها الأساس- تتعارض مع الإسلام. وبالمقابل، يرى بعض الأئمة أن القرآن لا يمنع المسلمين من التصويت في الانتخابات البرلمانية ما دام ليس هناك دليل شرعي يعزز ذلك.

بالرغم من أن لدى العديد من المسلمين رغبة قوية في الديمقراطية، هناك من يحاول أن يصدّهم عن ذلك بدعوى أن المشرع الوحيد هو الله فحسب. لذا فإن المجالس التشريعية التي لا تستند إلى المرجع الديني هي "لاغية ومخالفة للشرع"، ومنافية للعلمانية. وهذا ما يدعمه "حزب التحرير"، وبعض الاتجاهات الإسلامية. وفي هذا الصدد تعرضت أسماء عبد الحميد لانتقادات شديدة أثناء حملتها الانتخابية، من قبل اليمين الدنمركي. في حين تلقت دعماً من الأئمة المسلمين.

1- Rune Larsen, "DF radikaliserer partiets anti-muslimske strategi", *Politiken*, 296.2007, p.9.

د- "نعتقد أنّ لدى مجموعات من الدنمركيين رغبة في الرد على المهاجرين، كما وقع في ألمانيا الشرقية، حيث شوهدت اعتداءات عنيفة على المهاجرين، بدعوى أنّ المواطنين الأصليين مهددون بالبطالة بعد انهيار الجدار، وبالتالي يشعرون أنّ المهاجرين واللاجئين يعترضون سبيلهم. ليس مثل الوضع في الدنمرك؛ إذ يتعلق الأمر أكثر بالخوف من الغرباء"⁽¹⁾.

تلعب وسائل الإعلام دوراً هاماً في صناعة الخوف من الغرباء والمهاجرين، وتنهج سياسة صارمة لبناء الحاجز بينهم وبين الدنمركيين. وإن كانت للدنمرك سعة محدودة لاستقبال اللاجئين والمهاجرين، فهي تتعاون مع الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة لمساعدة اللاجئين في المناطق المجاورة وأوروبا، وتسهم-بصفتها دولة الرفاهية- في رعاية الأعداد المتزايدة منهم. لدى الدنمركيين شعور بأن ثقافتهم الأصلية آخذة في الاندثار بسبب الشوائب التي علفت بها من جراء احتكاكها بثقافات مخالفة؛ وهذا ما يقتضي - في نظرهم- دعم المبادرات الثقافية البناءة التي تدعو إلى العيش المشترك في منأى عن أساليب الميز والكرهية والعنصرية.

تزايد الخوف من المهاجرين في أوروبا قاطبة إما بحجة أنهم السبب في استفحال البطالة، وإما بحجة الخوف من الصورة النمطية المروجة عنهم. لم تعمل الحدود الوهمية بين أبناء الوطن الواحد إلا على تعزيز تفرقتهم، وإذكاء مشاعر الكراهية بينهم. وهذا ما يقتضي - بحسب المتحدث- أن تُتبنى المبادرات الثقافية التي تعزز مكانتها، وتحسن صورتها دولياً بتقديم المساعدات للاجئين، وإدماج المهاجرين، والحرص على كرامتهم وسؤددهم.

يستغل اليمين هذا الوضع المتوتر لإدراج- في برنامجه السياسي والانتخابي- قضية حساسة؛ مفادها أن استفحال المشاكل سببه الهجرة المتزايدة إلى أوروبا. ولذا يدعو إلى طرد المهاجرين لاستعادة الأمجاد السالفة، والحفاظ على طُهر الهوية الأصلية. لا تخلو هذه الدعوات من مسحة عنصرية لكونها مبنية على الفروق العرقية (تفوق الأبيض على السود والملونين، تفوق الجنس الآري على الجنس السامي) والميز السلبي، وهو ما يؤدي إلى العُنفين

1- Claus Thomsen, "Indvandrerne rystede", *Politiken*, 9.3.2001, p.6.

اللفظي (الكلام الجارح Hurtful speech) أو الجسدي (الاعتداءات، والسجن، والطرْد). وهذا ما يحول دون البحث عن أفق مغاير للتفاهم والتواصل.

هـ- "طُرد شاب مسلم عمره سبعة عشر عاماً، يعمل في أحد متاجر "بيلكا" Bilka لأنه دافع عن الإسلام في حوار على الانترنت. محمد الجويري طالب مسلم في المرحلة الثانوية، مولود في الدنمرك، يعمل بشكل جزئي في أحد متاجر "بيلكا" Bilka.

"قام مدير بيلكا بطرد محمد الجويري Mohamad Al Jawerheri من عمله بعد نقاش على فيسبوك شارك فيه العديد من زبائن بيلكا، واشتكوا من تصرفه. قبل عيد الميلاد، انخرط محمد في نقاش حول الإسلام في مجموعة الفايسبوك العامة الدنمركية (نعم للحرية - لا للإسلام). تطور النقاش ليصبح محمد الجويري متهماً بتأييد الإرهاب، وتلقى تهديدات على بريده الخاص. كتب أحد المستخدمين-على سبيل المثال- ما يلي: أنا منزعج لأن لدينا كائنات مسلمة مثلك في المجتمع. أنت سخي، وأحد أسباب عدم رضا السكان الدنمركيين عن المسلمين"⁽¹⁾.

يخرج النقاش العمومي عن مجراه الطبيعي بسبب الحماسة الدينية أو العرقية؛ مما يؤدي إلى العنف والعنف المضاد، وتبادل التهم الجارحة. لو كان النقاش عقلانياً وهادئاً لأدى إلى تفاهم الطرفين وتواصلهما بحثاً عن حلول مناسبة لضمان العيش المشترك. على العكس من ذلك، يتخذ الحوار بينهما صبغة إيديولوجانية (idéologiste) تعزيز الاستعلائية الكولونيالية (ما يبعث الألم الاستعماري في نفسية المهاجر المسلم) من جهة والإسلاموفوبيا (ما يجعل الدنمركي يتوجس من كل شيء له علاقة بالإسلام) من جهة ثانية. وفي سياق الحجج والحجج المضادة تتقوى مشاعر الكراهية بين الطرفين، عوض أن يتفاهما على تنسيق مصالحهما المشتركة (سبل العيش المشترك).

مما تقدم نعين ما يأتي:

أ- ينقسم المتحدث الدنمركي إلى فئتين: فئة تستخدم الحجج لمغالطة الرأي العام، وصناعة الخوف تجاه المهاجرين عموماً والمسلمين خصوصاً (عدم قابلية الإسلام إلى

1- Redaktør, "17årige Mohamad En internetdebat fik mig fyret fra Bilka", *Politiken*, 29.12.2015, p.8.

التجديد، التوجس من وصول المواطنين المسلمين إلى قبة البرلمان، اضطهاد المرأة، تعدد الزوجات)، وفئة أخرى تستخدم الحجج المضادة لإبعاد التهم والشبهات عن الإسلام، والدعوة إلى توسيع مجال الحريات العقائدية حتى يمارس كل فرد عقيدته دون قيد أو تمييز أو عنصرية.

ب- لا تقوم حجج الفئة الأولى على أسس عقلانية وتواصلية (تبادل الرأي، التفاهم اللغوي، الإقناع والافتناع) بل تمارس "عنفا ذهنيا" إن لم نقل -بتعبير استعاري- "اغتصابا جماعيا"⁽¹⁾. "يعمد المتحدث إلى تحويل الحجة لتشتيت انتباه المتلقي.. يعتقد هذا الأخير أن الأمر يتعلق بحجة تترك له هامشا من الحرية للتعامل معها، في حين يواجه ملفوظا تطويعيا لا علاقة له بالحجة إلا ظاهريا"⁽²⁾.

وفي هذا السياق، يُستخدم التطويع النفسي والمعرفي لتأليب الرأي العام ضدّ المسلمين خوفاً من وصولهم إلى البرلمان وتكاثر عددهم بالدمرك، وامتعاضا من طريقة أكلهم ولباسهم وعبادتهم. وهذا ما يسهم في توسع الهوة بين ذوي الأرومة الدنمركية والمهاجرين، ويحول دون تفاهمهم وتنسيق مصالحهم المشتركة.

ج- تبين لنا-مما أثرناه من قبل حول "الاستعارة المعمارية" لرونيه جرين-أن الدنمركيين يحتكون يوميا بالمهاجرين والمنفيين في الممر نفسه (بئر القفص/ الفضاء الثالث). من جراء التوتر، وتبادل التهم، وممارسة العنف والعنف المضاد تزداد الهوة عمقا بين الطرفين، ويتعذر تفاهمهم وتواصلهم وانخراطهم في برامج مشتركة (التهجين الثقافي والهوياتي)، وينزاح كل طرف إلى عرينه أو قطبه الأصلي، ويقطع الصلة بالآخر لأنه يشكل خطرا عليه (الهوية الطاهرة والقاتلة).

1- Philippe Breton, *L'argumentation dans la communication*, op.cit., p5.

2- *Ibid*, p.50.

خاتمة

بعد أن حللت صورة الآنأ والآخري في صحيفة "السياسة" باعتماد أمثلة دالة أخلص إلى ما يلي:

1- يتضح- من خلال صورة الدنمركي إلى ذاته- أنه إنسان واثق من نفسه ومؤهلاته، وحريص على كل ما يغذي هويته وثقافته وموقفه من الوجود (التعدد الثقافي واللغوي). يميل الدنمركيون جلهم إلى فكرة إدماج المهاجرين أيا كان لونهم ودينهم وأصلهم حتى يسهموا جميعا في تماسك بلدهم وتقدمه.

يشعر الدنمركي بتميز أسلوبه في الحياة (الدنمركية أو النموذج الدنمركي)، ويعيشه في دولة الرفاهية (نظام تعليمي وصحي وبيئي وطاقى وضريبي في غاية التطور والإنصاف)؛ وهذا ما يجعله يشعر بالنخوة والارتياح من جهة، وبالتميز والتواضع من جهة ثانية، ويرتاب من أي سلوك يهدد طمأنينته وراحته، ولا يساير وتيرة عيشه وطريقته في الدعابة واللباقة.

2- نعاين من خلال النعوت أنّ الدنمركيين يعيشون مخاضاً عسيراً في هويتهم وسلوكهم وموقفهم من الوجود بسبب المصاعب التي تعترض سبيلهم في تدبير الاختلاف الثقافي على الحدود الرمزية (الفضاء الثالث). استطاعت فئة من أبناء المهاجرين أن تتأقلم مع البيئة الجديدة في اللباس، وارتياح الفضاءات العمومية، وتلقي المعارف والعلوم العصرية، والتدرج في المناصب العليا. في حين ما زالت الغالبية من المهاجرين المسلمين خصوصاً تعيش توتراً نفسياً واجتماعياً على الحدود دون التخلي عن العادات والأفكار المتوارثة عن بلدانهم الأصلية. وهذا ما يجعلهم عرضة للنقد والتعنيف والتقريع بأبشع الصفات من قبل الإعلام الموجه واليمين المتطرف للضغط عليهم، وتكدير عيشهم، وعودتهم من حيث أتوا.

تخف حدة النقد في النعوت الموضوعية التي يُحرص فيها (خاصة من قبل الاشتراكيين الديمقراطيين) على التعامل مع المسلم بصفته مواطناً دنمركياً يحظى بالحقوق كلها إن هو أدى واجباته كما ينبغي، وامتنثل للضوابط المعمول بها في مجتمع ديمقراطي وعلماني.

3- تتسم الأفعال الذاتية والعُدَّة الحجاجية بالصبغة الذاتية (الانفعال، والنهي، والتوكيد، والجدل، والتطويع) وبالتشكيلة الإيديولوجية (توظيف اللغة لأهداف إيديولوجية وسياسية) وفق مقصد المتحدث وتوجهه وغايته. وعمدت- منذ الباب المهجي- إلى دراسة صورة المتحدث الدنمركي للمسلم في الدنمرك- أيا كان موقعه الثقافي والاجتماعي (مهاجر أو له جنسية مزدوجة)- من خلال الصحافة الدنمركية ممثلة في صحيفتين سبق لي أن شرحت بواعث اختياري لهما دون غيرهما. إن المتحدث الدنمركي- عموما- ينقسم في صحيفة "السياسية" إلى ثلاث فئات: فئة اليمين المتطرف والإعلام الموجه الذي يستعمل خطابا منفعلا وتطويعيا لإجلاء المسلمين وغيرهم من الجنسيات بدعوى أنهم يشكلون خطرا على هوية الدنمرك وتطلعاتها العلمانية والديمقراطية ورفاهيتها وطمأنيتها، ثم فئة الاشتراكيين الديمقراطيون والمثقفين الحداثيين الذي يحرصون على التفاعل والتهجين الثقافي للتأثير إيجابا في الهوية المتحركة وتنقيتها من كل العناصر والشوائب التي ترتد بها إلى "القطبين الأصليين" (الهوية الطاهرة والنقية)، ثم فئة المتحدثين الرسميين (أعضاء الحكومة) الذين يسعون إلى التوفيق بين المساعي المتناقضة بالتركيز على أهمية إدماج "مواطني الأوراق" وتأهيلهم عوض تأجيج مشاعر الكراهية والحقد ضدهم.

الفصل الرابع:
مقارنة خطابي "المتحدثين الدنمركيين"
الأول والثاني

تقديم

سأقارن- في هذا الفصل- بين الصحيفتين المعتمدتين لتبيان مواطن التشابه والاختلاف فيما بينهما، ومعرفة كيف يجسدان الذات الدنمركية، وتعرّف صورة المسلمين باعتماد الغُدّة التلفظية المناسبة، وإبراز طبيعة العلاقة التي تجمع بين المهاجرين (وفي طليعتهم المسلمون) والدنمركيين في "الفضاء الثالث" إمّا بحثًا عن أفق مشترك وإما لفظا وإبعادا لهم لأنهم يشكلون تهديدا لاستقرار الذات الدنمركية وتطورها.

اعتمدت المنهج التلفظي لتحليل صورة المسلمين في الصحف الدنمركية في منأى عن الآراء المسبقة والمزايدات السياسية. أفادني هذا المنهج في استخراج المؤشرات التلفظية التي يستخدمها المتحدث الدنمركي في التعبير عن ذاته والإعلاء من شأنها، واتخاذ مواقف معينة إزاء الآخر المسلم. استثمرت أدوات المنهج التلفظي ومفاهيمه في إطار مجال أرحب ألا وهو الصوريات سعيا إلى فهم الصورتين الذاتية والغيرية باعتماد مؤشرات ملموسة وعيانية.

1- الذات الدنمركية في الصحيفتين

أختزل الصورة الذاتية للمتحدث الدنمركي فيما يلي:

أ - تظهر الذات الدنمركية في خطاب المتحدثين الدنمركيين متشابهة إلى حدّ ما. تحتفي بالمكاسب التي راكمتها باعتماد اللغة الوطنية الموحدة، والحرص على المساواة بين الجنسين، والاعتزاز بمجتمع الرفاهية، وسيادة القانون والعدالة الاجتماعية، وإيثار العمل التطوعي، والالتزام بالحريات العامة ومبادئ حقوق الإنسان والقواعد الديمقراطية والقيم العلمانية.

ب - يعتر "المتحدث الدنمركي" بهويته الدنمركية، وبانتمائه إلى الثقافة الدنمركية، ويفتخر بكون الدنمرك دولة عصرية وثرية، تقدم المساعدات للبلدان النامية. وهي أيضا دولة تدعو

إلى السلام، وتتمتع بحياة ثقافية مرفهة، وينعم فيها معظم الدنمركيين بطيب العيش، وبحياة هادئة وميسرة.

يفخر كلا المتحدثين بنموذج نمط الحياة في المجتمع الدنمركي؛ إذ تسعى الحكومة المنتخبة ديمقراطياً إلى خلق ظروف معيشية أفضل للمواطنين، وتفرض عليهم ضرائب مرتفعة لتعزيز التكافل الاجتماعي، وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية الجيدة، ودعم القطاع الثقافي، وتوفير سبل ولوج الممارسات الثقافية.

ينظر الدنمركيون عموماً بعين الرضا إلى الطريقة التي تدبر بها الحكومات المتعاقبة حياتهم. تُوزَّعُ الثروة بشكل متساوٍ نسبياً بين المواطنين؛ إذ قلما نعين الفوارق الطبقيّة بين الأغنياء والمحتاجين. علاوة على ذلك يتمتع الرجال والنساء بالمساواة أمام القانون، وبالخدمات العمومية، وبالحق في التعليم، وفي ولوج الثقافة، وبنظام التكافل الاجتماعي.

ج- ما يجعل المتحدث الدنمركي معترفاً بالذات الدنمركية رغم انطوائه على ذاته هو توافر جملة من المميزات التي قلما توجد مجتمعة في أغلب مجتمعات المعمورة (الرفاهية، جودة خدمات الرعاية الاجتماعية والصحية والتعليمية والثقافية، إتقان لغات متعددة، ارتفاع نسبة المتعلمين والمثقفين، الحرص على السفر للتسرية والترويج على النفس). وقد لخص السفير البريطاني السابق في الدنمرك "بيتر أونوين" Peter Unwin في كتابه "نهج البلطيق" Baltic approaches انطباعاته عن الشعب الدنمركي: "إنهم مرتاحون وفخورون بذواتهم. قبل استفتاء توحيد أوروبا عام 1993، كان الدنمركيون متناقضين بشكل واضح بشأن مكانهم في أوروبا وبتأثير أوروبا عليهم. بالنسبة لي، يبدو متحفظين، وربما مرتبكين، وأكثر انطوائية على أنفسهم من البريطانيين. وفي الوقت نفسه هم مواطنون متعدّدو اللغات، ومعتادون على السفر، ومثقفون، وشعب يتمتع بوعي عالمي، ويقدمون المساعدات المالية إلى الآخرين في المناطق النائية للتخفيف من معاناتهم"⁽¹⁾.

أصبحت الذات الدنمركية مضطربة في العقود الأخيرة بسبب الإرهاب الذي اجتاحت بعض الدول الأوروبية؛ وهو ما جعل كثيراً من الدول تتخذ موقفاً من الإسلام بصفة عامة دون

1- Peter Unwin, *Baltic approaches*, Michael Russell Norwich, UK, 2.edi, London, 1998, p.208.

التمييز بين المسلمين الخُلص والمتطرفين في الإسلام. لم تسلم الدنمرك- بحكم الجالية المسلمة وتوافد المهاجرين المسلمين إليها- من خوض النقاش العمومي الذي ينصب عموماً حول خطر الإسلام على استقرارها وأمنها.

نشير فيما يلي إلى ما يميز المتحدثين الأول والثاني في تمثيل المسلم إما باعتباره عنصراً يهدد هوية الدنمركيين، وإما بصفته مواطناً دنمركياً يمكن إشراكه في تنمية البلاد وتقديمها.

أ- أظهر المتحدث الأول تخوفاً من الآخر المسلم بدعوى أن الثقافة الإسلامية تشكل خطراً على أمن الدنمرك واستقرارها وتماسكها الهوياتي. بينما دعا المتحدث الثاني إلى احترام الأديان، وضمان حرية الانتماء، وفتح حوار بناء مع المهاجرين وفي مقدمتهم المسلمون لفهم مشاكلهم، وتقديم حلول مناسبة لهما، وتيسير اندماجهم في الحياة العامة.

ب - يعتبر المتحدث الأول الثقافة الإسلامية متعارضة مع القيم الغربية، ومع نمط الحياة السائد في الدنمرك ومع موقف مواطنيها من الوجود. في حين حرص المتحدث الثاني على تعايش المسلمين مع الدنمركيين الأصلاء، وتوافقهم وتقاربهم في أداء واجباتهم والتمتع بحقوقهم، ويعد التعدد الثقافي مصدراً لتقدم الدنمرك وازدهارها إن هي أحسنت تدبيره بالاستفادة من مختلف الكفاءات في الحياة العملية، وباحترام عادات الأقليات ولغاتها وأساليبها في العيش.

ج- أبدى المتحدث الأول تخوفاً من تزايد أعداد المسلمين في الدنمرك، بدعوى أنه يشكل خطراً على الهوية الدنمركية، ويؤدي إلى ارتفاع نسبة الجريمة والبطالة، ويتسبب في قلاقل ومشاكل لتفاقم ظاهرة التهجين على مستوى العادة واللغة ونمط العيش. تحفظ المتحدث الثاني من الإحصائيات التي تستخدمها بعض وسائل الإعلام لدعم الطرح اليميني المشدد من الهجرة، وتألّيب الرأي العام ضدّ المهاجرين؛ وفي طليعتهم المسلمون.

د- يستوعب خطاب المتحدث الأول أصوات الأحزاب السياسية الدنمركية (خاصة حزب "الشعب المحافظ اليميني") المنشغلة أساساً بالتأثير السلبي للإسلام على الحياة العامة في الدنمرك، في حين يستقطب خطاب المتحدث الثاني أصوات الباحثين والأكاديميين والنقابيين والمنتمين إلى "حزب اليسار" الذين يدافعون عن حرية الاعتقاد، وحرية التعبير،

والاندماج الاجتماعي بحثاً عن أنجع السبل للعيش المشترك والوفاق الاجتماعي. علاوة على ذلك لا يسايرون الطرح الذي يدعو إلى إجلاء المهاجرين من الدنمرك بل يرون أن مصلحة الوطن تستدعي الاحتفاظ بهم والاستفادة من خبراتهم ومؤهلاتهم. وفي هذا المنحى، يرى عالم الاقتصاد الدنمركي بنت فلاي فيبيج Bent Flyvbjerg أن الدنمرك "بحاجة ماسة إلى المزيد من المهاجرين- ليس لتعزيز صورتنا لأنفسنا بكوننا نساعد الآخرين- ولكن لأسباب اقتصادية إنسانية محضة. نحن بحاجة إلى المساعدة التي يمكن أن يقدمها لنا المهاجرون"⁽¹⁾.

ه-تتقاسم الذات الوطنية، والثقافة السياسية الدنماركية الحديثة العديد من السمات مع أنماط القومية المتكاملة والمتجذرة في بلدان أوروبا الشرقية، التي حصلت على استقلالها بعد انتهاء الحرب الباردة. هناك أيضاً جملة من السمات القومية الوطنية التي تجعل الدنمرك قطعة من دول أوروبا الغربية. يُفسّرُ هذا التناقض الظاهري بكون "الدنمرك تنتهي إلى كلتا العائلتين"⁽²⁾.

ج- يقترن الإدراك الدنمركي للذات تاريخياً بصورة دولة صغيرة لكنها قوية ومزدهرة. يشعر فيها الجميع بأنهم متفوقون بفضل التماسك الاجتماعي والقيم والأداء العملي والإبداع. تبرز هذه الصورة بصفة خاصة عندما تقارن الديمقراطية الدنماركية بديمقراطيات الدول الأوروبية الأخرى.

د- تستحوذ ألفاظ "الأمة" و"القومية" و"الهوية الدنمركية" على النقاش العمومي حرصاً على حماية الوطن من الشوائب التي يمكن أن تهدد كيانه وهويته، وتسعفه على حمايته من مخاطر الهجرة والتهجين والتطرف الديني. نلاحظ- في خطاب المتحدث الأول- تحفظاً من الهجرة لأنها تشكل- بارتفاع نسبها بمرور الوقت- خطراً على مستقبل الدنمرك. في حين يقلل المتحدث الثاني من المهاجرين في حال إدماجهم في المجتمع الدنمركي، وتمتعهم بمواطنتهم دون ميز أو إقصاء. أكثر من ذلك، بدأت تتلاشى- في المجتمع الجديد- كثير من العادات والتقاليد والصور المتوارثة أبا عن جد، بفضل تطور المجتمع، وظهور جيل جديد يبعد

1- Bent Flyvbjerg, "It lugter af karry", *Politiken*, 9.8.2004, p.9.

2- Christian Albrekt Larsen., *Den danske republik Forandringer i danskernes nationale forestillinger*, Hans Reitzels Forlag, 1.ud, København, 2016, p

الفروق الثقافية والعرقية من اهتماماته، ويعد المهاجرين مواطنين دنمركيين. ب"التخلص تدريجيا من المفاهيم المحافظة والوطنية للثقافة الدنمركية الأصيلة. من الواضح أن الأجيال الشابة لا تركز كثيرا على العوامل الثقافية والعرقية. تضاعف عدد السكان الدنمركيين الذين يتعاملون مع المهاجرين واللاجئين بصفتهن دنمركيين حقيقيين"⁽¹⁾.

2- الآخر المسلم:

يحظى الإسلام بحيز كبير في النقاش العمومي للأسباب التي أشرت إليها سابقا. وهكذا أصبح عدد كبير من المتحدثين في المنابر الإعلامية يستخدمون الثنائية المانوية "نحن" في مواجهة "هم". كما عاينا من قبل، تستقطب "نحن" كل المواصفات التي تنمي الحس الوطني، وتعزز التماسك الهوياتي، في حين يُنعت الآخرون بالمواصفات التي لا تنعهم الغرباء على المجتمع فحسب بل بالأجلاف الذين يسعون إلى تهجين المجتمع الدنمركي إن لم نقل "أسلمته". إنهم بذلك يشكلون "تهديدا أمنيا للدنمرك، وللذات وللثقافة الدنمركيتين"⁽²⁾.

سبق أن أكدنا ما مرة إلى أن المتحدثين الأول والثاني يختلفان في النظر إلى المسلم. ونجمل اختلاف مواقفهما فيما يلي:

أ- يتضح من خطاب المتحدث الأول أن الهوية الدنمركية تعرضت إلى التهجين بسبب ارتفاع نسبة المهاجرين؛ وفي مقدمتهم المسلمون. رغم تلقيهم تعليما جيدا، وتحسن ظروفهم الاجتماعية، وحصولهم على فرص الشغل لم يندمجوا في الحياة الدنمركية، من جهة، ولا يعترف بثقافتهم من جهة ثانية. وما زال كثير من الدنمركيين لا يعترفون بالمسلمين كمواطنين دنمركيين بسبب دينهم.

ب- يحتكر المتحدث الأول المنابر الإعلامية لإبداء موقفه من الإسلام دون إتاحة للمسلم فرصة التعبير عن رأيه. يُتحدث باسمه لتعنيفه وتقريعه وتأليب الرأي العام ضده بدعوى أنه

1- *Ibid*, p.67.

2- Henrik Iskov Christensen "Sikkerhedsliggørelsen af islam De syv landsdækkende avisers fremstilling", *Religion*, nr. 1. København, 2006, p.61.

أصل المشاكل والقلق التي تعرفها الدنمرك وأدت إلى تهجينه واختلاطه وتعدد لغاته وعاداته. وفي الإطار نفسه، يرفض المتحدث الأول ترشيح الأحزاب اليسارية للشباب المسلم في الانتخابات البلدية والبرلمانية توجسا من انتشار الإسلام في الدنمرك، وتخلي الدنمركيين عن هويتهم المتوارثة، وفقدان أرومتهم الأصلية. في حين لا يرى المتحدث الثاني مانعا من ترشحهم تطلعا إلى إدماجهم في الحياة السياسية، وتمرينهم على تدبير الشأن العام وحل مشاكلهم ومشاكل غيرهم، وتعويدهم على نمط الحياة الجديدة. وفي حال ارتكابهم مخالفات لا يهول الأمر أو يستغله لمآرب سياسية بل يعتبره حالة مفردة أو مسؤولية شخصية لا ينبغي أن تُعمم بطريقة متعسفة على الجميع، كما يفعل المتحدث الأول الذي يصف المسلمين بأنهم "جواسيس، وأشخاص ذوو وجوه متعددة ومقاصد مبيتة. يعتنقون دينًا يقوم على وجهة نظر غير إنسانية، ويريدون إدخال أسلوب الحياة المتخلف إلى المجتمع الدنمركي"⁽¹⁾.

3- النعوت

يتضمن خطاب المتحدثين الأول والثاني نعوتا تبين أيضا تمثيلاتهما للمسلمين، واستعنا في هذا الصدد بكتاب كاترين كربرات أوكيوني "تلفظ الذاتية في اللغة" لتبيان نوعية النعوت الموظفة والأغراض المتوخاة منها.

3-1- النعوت العاطفية:

من خلال جرد النعوت المرتبطة بالمسلمين والمهاجرين في خطاب المتحدثين الأول والثاني نلاحظ ما يلي:

أ- بالعودة إلى الفصل الأول يتبين لي أن النعوت العاطفية الأكثر استخداماً هي ما يدل على الغضب والعنف. يعتبر المتحدث الأول أن المسلمين الذين ولدوا ونشأوا في الدنمرك يعتنقون الدين الإسلامي، ويتسمون بالعنف أكثر من أسلافهم في عداد الجيل الأول لرفضهم

1- Peter Hervik, *Mediernes muslimer*; Nævnet for Etnisk Ligestilling, 1.ud, København, 2002, p.99.

تدخل الغرب في شؤون بلدانهم الأصلية، ولتشبثهم بالهوية الإسلامية. ينضم بعضهم إلى الجماعات الإرهابية بسبب معاناتهم من التهميش والتمييز. يخفف المتحدث الثاني من النعوت القاتمة تجاه المسلمين، ويطالب بالتركيز على التربية لإدماجهم في البيئة الجديدة، وتمثل القيم الحداثية في الدنمرك، ويستخدم نعتاً عاطفية إيجابية باستلهاهم الفكر العقلاني لأبن رشد للقطع مع السلفية والجمود والتطرف، وللتوفيق بين الدين والفلسفة أو بين الإيمان والعقل.

2-3- النعوت الأكسيولوجية

وردت- في خطاب المتحدث الأول- نعوتٌ من قبيل "مسعورين" و"إرهابيين" توجسا من المسلمين في الدنمرك، وسعيا إلى تأليب الرأي العام ضدهم بوصفهم مجموعة خطيرة تهدد أمن الدنمرك واستقراره، وتجد مصاعب في تمثيل القيم الدنمركية لمغالاتها في التشبث بهويتها الأصلية. وهذا ما تكذبه التقارير الأمنية التي تقرّ بأن أقلية من المسلمين هي المعروفة بتطرفها ودعمها للعمليات الإرهابية، في حين أنّ غالبية المسلمين معتدلون في تدينهم ومواقفهم السياسية.

ينظر الرأي العام إلى المسلمين كما لو كانوا "إرهابيين محتملين"، وهو ما ينفي مشاعر الكراهية، وعدم الثقة، والخوف، والتفرقة في المجتمع، وما يستغله اليمين المتطرف للدعوة إلى إجلاء المهاجرين من التراب الدنمركي. والحالة هكذا يشعر المسلمون جميعهم بأنهم مستهدفون وضحية حملة إعلامية لتشويه صورتهم، وإحباط نفسياتهم، وحضهم على العودة إلى بلدانهم الأصلية.

استخدم المتحدث الثاني نعوتا من قبيل "غير ديمقراطي" و"متشدد" لإبراز الخطر الذي تشكله الجماعات الإسلامية المتطرفة على أمن الدنمرك وطمأنينتها. وهو - على عكس المتحدث الأول- لا يهول الأمر لأغراض سياسية وإيديولوجية، بل يدعو إلى تربية المسلمين على القيم الديمقراطية لتيسير اندماجهم في المجتمع الدنمركي، ولا يغتاز من ممارسة شعائهم

الدينية أسوة بأرباب الديانات الأخرى. فالدين-بالنسبة له- مسألة فردية وشأن جماعي يندرج في إطار حريات التعبد والاعتقاد مع احترام قوانين البلاد وتوجهاتها العامة.

3-3- النعوت الموضوعية:

ركز المتحدث الأول على صفات تقوم على الثنائيات المانوية (متزوج/ غير متزوج، ذكر/ أنثى، ديمقراطي/ غير ديمقراطي، مسلم/ غير مسلم/ دنمركي/ غير دنمركي) لإبراز الخطر الذي يدهم الدنمرك بدعوى استقواء الثقافة "المختلفة" في الدنمرك. وهو ما يثير نقاشات حادة لحد من أخطار الهجرة المتزايدة؛ وما يترتب عليها من قضايا حساسة نذكر منها: ارتداء الحجاب في الفضاءات والمرافق العمومية، والإمساك عن الشراب والطعام في مقرات العمل طيلة شهر رمضان المبارك، والزواج المختلط، والهجرة السرية. يستثمر المتحدث الأول هذه القضايا للضرب على الوتر الحساس للدنمركيين الأصلاء، وتوسيع إشعاع اليمين المتطرف بدعوى الحفاظ على "نقاوة الدم" و"طهر الهوية".

بالمقابل، يوظف المتحدث الثاني صنفا آخر من النعوت الموضوعية (فقير والشاب والعصري) للتركيز على ما يلي:

- إن الوسط الاجتماعي-الذي ترعرع فيه المسلمون- يشعرهم بدونتهم ونقصهم. ولهذا يدعو المتحدث الثاني إلى تحسين وضعهم الاجتماعي حتى يتيسر لهم الاندماج في البيئة الجديدة، ويفلتوا بجلدهم من برائن التطرف والإرهاب.
- بدأت الفتيات اليافاعات والشابات يرتدن منذ عقود المقاهي والمطاعم، ويلبسن الألبسة العصرية، ويؤثرن نمط العيش الحداثي، ولا يتورعن من الاختلاط بالذكور في الفضاءات العمومية.
- يمزج الشباب المسلم في عاداته بين الأسلوبين الأصيل والحداثي. وهو لا يشكل خطرا لا عليه ولا على المجتمع الدنمركي ما دام الشاب يمارس شعائره الدينية وأنشطته العصرية دون المساس بالقانون أو إثارة حساسيات الطوائف الدينية التي تؤدي

أنشطتها على قدم وساق في مجتمع يؤمن بالتعدد الثقافي والعرقى، ويحترم الحريات الشخصية بما فيها حرية الاعتقاد والتدين.

4- الجهات

بالعودة إلى الفصل التطبيقي الأول، يتضح أن المتحدث الأول يوظف الأفعال الجبهية بصيغة الوجوب لمخاطبة الآخر لإملاء عليه ما يجب القيام به والانصياع له، ولإجبار الذات على اتخاذ ما يلزم من التدابير للحد من الآثار السلبية للهجرة. "يجب وضع قائمة بالدعاة المسلمين الأجانب" بهدف منعهم من دخول الدنمرك. وقوله "يجب أن نفعل شيئاً في موضوع اضطهاد المرأة" و"يجب قبول المثل والقيم الدنمركية".

وهكذا ينطلق المتحدث الأول من اختلاق الصراع الثقافي بين الدنمركيين الأصلاء والدنمركيين الدخلاء بمن فيهم المسلمون أكانوا متجنسين بالجنسية الدنمركية أم مهاجرين أم لاجئين. ولا يشمل هذا الصراع أتباع الإسلام السياسي فحسب بل المسلمين جميعهم لأنهم- في نظر المتحدث الأول- يستخدمون وسائل ناعمة لنشر الإسلام في الدنمرك، ويرسخون عادات وتقاليد جديدة لا تمت إلى "الدنمركية" بصلة.

بمرور الوقت تراجعت المصالح الطبقية التي كانت تجمع الطبقة العمالية بمختلف أطيافها وأجناسها وأعراقها للدفاع عن مطالبها النضالية المشروعة، وتقوى عضد المصالح الثقافية والعرقية التي أصبح كل مواطن بمقتضاها يبحث عن "موقع ثقافي" مناسب على الحدود بالتشبه بهويته وتقاليده أو بالتفريط فيها أو بالاستفادة من مكاسب الهوية المتحركة. وغالبا ما تتحول المعركة على الحدود (الفضاء الثالث) إلى معركة ثقافية وعرقية بدعوى أن كل طرف ينفي الآخر ويبعده معتبرا إياه مصدر القلق ومدعاة للاختلاف الوحشي (الانفصال الزائف الذي يبعد الآخر خارج المطلق، ويؤدي إلى ضلال الهويات المجنونة (الثقافية، والتاريخية، والقومية، والتزمتية الوطنية، والعرقية)⁽¹⁾.

1- عبد الكبير الخطيبي، النقد المزدوج، دار العودة، ط1، 1980، ص.14.

حين يطالب المتحدث الأول المهاجرين المسلمين بـ"جوب" قبول القيم الدنمركية، فهو يخاطب الرأي العام الدنمركي لدغدغة مشاعره، وتحريضه على إجلالهم من التراب الدنمركي أو عدم تسوية وضعيتهم القانونية بدعوى أنهم سبب ومصدر كل ما يحدث في البلاد من فضائح ومصائب (تفاقم الجريمة، وإساءة استخدام نظام الرعاية الاجتماعية، وتكاثر جرائم الشرف، وختان الفتيات، وعدم احترام المهاجرين للمرأة، ورفضهم المثلية الجنسية، وهتك الثقافة الدنمركية).

لاحظت -بالعودة إلى الفصل التطبيقي الثاني- أنّ المتحدث يكثر استعمال جهة المعرفة "أعلم". على سبيل المثال: "أعلم أنّ هناك العديد من المسلمين في الدنمرك يمكنهم التوفيق بين دينهم والمجتمع الدنماركي والديمقراطية الدنماركية"، "أنا أعلم أنها ولدت ونشأت في الدنمرك وأعلم أنها انضمت إلى "رابطة شباب النساء"، وتدرس العلوم السياسية في الجامعة، وهي تنشط بحماسة في أعمال الاندماج"، "أعلم أن الكثير من اللاجئين والمهاجرين في الدنمرك جاؤوا ملاحقين أو متابعين من أنظمة دينية". يتضح من هذه الأمثلة أن المتحدث الثاني يحرص على معرفة الظاهرة أو المعطى قبل إصدار الحكم وتعليقه. ومن ثم يفند انطباعات المتحدث الأول ومغالطاته بدعوى أن المرأة المسلمة العصرية والمتقنة مُندمجة في المجتمع الدنمركي، ومؤديةً عملها بفاعلية ونجاح، وأن اللاجئين والمهاجرين- الذين فروا من بطش الأنظمة الدينية المستبدة- يسعون إلى التوفيق بين الدين الإسلامي والديمقراطية الغربية، ويحترمون قيم المجتمع الدنمركي، ويحاربون الأفكار والسلوكيات المتطرفة بحثاً عن سبل العيش المشترك.

5- الحجاج

توسل المتكلم الدنمركي بعدة حجائية مناسبة للدفاع عن طرحه السياسي إزاء المسلم. ومن بين القضايا التي استأثرت باهتمام المتحدثين معا هو تزايد عدد المسلمين في الدنمرك. يستعمل المتحدث الأول حجج التهويل والمبالغة بتضخيم عدد المهاجرين المسلمين في الدنمرك، والتنبيه من الدور الذي يمكن أن يؤديه في حال فوز نسبة كبيرة منهم في

الانتخابات البلدية والبرلمانية. يقرن المتحدث المشاكل الاجتماعية المتفاقمة إلى تزايد أعداد المهاجرين في التراب الدنمركي؛ ولذا يدعو إلى تقنين الهجرة بوضع مقاييس وشروط صارمة، وتقييد طلبات اللجوء السياسي، وإلغاء تصاريح إقامة اللاجئين حتى يعودوا إلى بلدانهم.

يعلل المتحدث الدنمركي الأول فشل سياسة إدماج المسلمين على وجه الخصوص بكون الثقافة الإسلامية لا تتعارض مع الثقافة الدنمركية فحسب، بل تتصادم معها؛ مما يعمق الفجوة بينهما. وهذا ما يستدعي إجلاءهم لصعوبة اندماجهم في النسيج الاجتماعي الدنمركي، ولتشبههم بهويتهم وتقاليدهم، وعدم سوغهم القيم الدنمركية الحديثة والعلمانية.

يستند المتحدث الدنمركي الثاني إلى الحجج المضادة باعتماد عينة من المهاجرين الناجحين في حياتهم العملية بفضل كفاءتهم، وقدرتهم على التواصل، ومستواهم التعليمي والثقافي؛ ومن ضمنهم النساء المسلمات اللواتي انتزعن الاعتراف بمؤهلاتهن وأدائهن المهني. وهو ما يبرر الابتعاد عن تسييس الاندماج لبواعث عرقية وعنصرية وانتخابية، واتخاذ وسيلة لتدبير الصراعات والمشاكل الاجتماعية على أساس الكفاءة والمردودية.

سبق لي أن أشرت من قبل أن المتحدثين يختلفان في تأطير المعطيات بالتركيز على بعضها وإبعاد أخرى بالنظر إلى خلفياتهما الثقافية والسياسية. وهكذا يعمل المتحدث الأول على تضخيم أي حدث طارئ (الجرائم، ارتداء الحجاب والصوم والصلاة في مقرات العمل أو في الفضاءات العمومية، الاختلاط) للضرب على الوتر الحساس (الرهاب الإسلامي أو الإسلاموفوبيا)، وإبراز الخطر الذي يشكله الإسلام على الثقافة والهوية الدنمركيتين. ما يؤرق المتحدث هو أن الشباب المسلم يحتج على الوضع بالعودة إلى الأصول، والتباهي بالتميز عن المجتمع في اللباس والعادة والتصرف. وعليه أصبح "الدين علامة اجتماعية وسياسية مهمة - خاصة بالنسبة للشباب"⁽¹⁾.

بالمقابل، يستعين المتحدث الدنمركي الثاني بالحجج المنطقية والمعززة بالمعطيات والإحصائيات لدحض طروحات المتكلم الدنمركي الأول التي يوظفها اليمين المتطرف في حملاته السياسية والانتخابية لتأليب الرأي العام ضد المهاجرين عموما والمسلمين خصوصا.

1- Flemming Mikkelsen, *Indvandring og Integration*, København akademisk Forlag, 1.ud, 2008, p.47.

لا يرى المتحدث أي مانع يحول دون ممارسة المسلمين لشعائهم. فهم – في نظره- يتمتعون أسوة بباقي المواطنين - أيا كانت نحلهم وأقطارهم ودياناتهم- بحق التعبد، وبالحرية الدينية، وبإظهار دينهم ومعتقداتهم، وباحترام الديانات الأخرى، وبالامتثال لدولة الحق والقانون.

ما يصعب على المسلمين اندماجهم في الحياة العامة هو- بحسب وجهة نظر المتحدث الدنمركي الثاني- تشبثهم بهويتهم الأصلية، وإيثارهم العيش على الحدود دون تقديم تنازلات لتمثل القيم الجديدة، وتوسيع الرؤية إلى العالم؛ مع العلم أن هناك أقلية منهم استطاعت – بحكم المستوى الثقافي والموقع الاجتماعي- أن تندمج في الحياة الجديدة، وتتبنى سلوكيات حديثة دون التفريط في مقوماتها الأصلية (أصحاب الهوية المتحركة).

خاتمة

مما تقدم يتضح احتكام المتحدثين إلى خلفيات سياسية وثقافية عامة أجملها في القضايا الآتية:

أ. تفاقم الرهاب الإسلامي (الإسلاموفوبيا) في أوروبا عموما والدنمرك خصوصا من جراء عوامل كثيرة لعل أهمها: تنامي الهجرة إلى أوروبا، وتزايد الخوف من تأثير الأقليات المهاجرة في الثقافات المهيمنة، ودخول الجماعات الإسلامية المتطرفة (تنظيم القاعدة، وتنظيم النصرة) في حرب مع الغرب بشن حملات إرهابية على مصالحه ومرافقه الحيوية، واستفحال الأزمة الاقتصادية عام 2007، واستقواء الحركات الوطنية الشعبوية واليمينية ووصولها إلى الحكم لتدبير الشأن العام. وعليه أصبح الإسلام مستهدفا بدعوى "تجفيف منابع الإرهاب"، و"الحدّ من خطر الثقافة الإسلامية"، ومقاومة "أسلمة أوروبا"، وتفاذي "الانحرافات الاجتماعية".

ب. أخفقت السياسات الحكومية في ضمان الحقوق للمواطنين جميعهم؛ مما أدى إلى استفحال مظاهر اجتماعية (البطالة، الإقصاء، التهميش) في صفوف المهاجرين، وإلى استبعاد جلهم من الحياة المدنية والسياسية. ورغم المصاعب التي تعترض سبيلهم على الحدود بين الثقافتين المتناقضتين، استطاعت ثلة منهم أن تفرض نفسها، وتعطي الدليل- بفضل مؤهلاتها المهنية والتعليمية- على استعدادها للتكيف مع البيئة الجديدة سلوكا ولغة وأداء. ومع ذلك ما فتئت غالبية المهاجرين (ومن ضمنهم المسلمون) يعيشون في الضواحي أو في الأحياء المهمشة، ويعانون من الدونية والإقصاء والعنصرية بسبب لون بشرتهم وأسلوبهم في التعبّد والحياة.

ج. يتضح أن خطاب المتحدث الأول جرح ولاذع وسلطوي لأنه ينصب نفسه ناطقا باسم الشعب عامة لمحاربة من يعاديه أو يخدش كرامته وسؤدده بسيف الكلام (هشاشة اللغة أو الألفاظ الجارحة والمؤذية). وفي هذا الصدد لا يتحمل المتكلم مسؤولية ما يصدع به، ولكنه مسؤول فقط عن تكراره وترداده، فما يقوله مضمن في لغة تسبقه

وتتجاوزوه؛ أي في لغة تنهض تاريخيتها على إدماج الماضي في الحاضر"⁽¹⁾. ومن ثم فما يصدر عن المتكلم الأول يصبح ملكا مشاعا بين الناس يتداولونه فيما بينهم ليس بهدف إغاطة المخاطب المسلم بل لوضعه في مرتبة دنيا حتى يظل تابعا وخاضعا للمركزية الغربية. ما يميز المتحدث الثاني عن المتحدث الأول هو حرصه على معاتبة الذات والمسلم في الآن نفسه دون استعمال الألفاظ التي تجرح المخاطب وتنغص عيشه وتذله. وإن كان هو الآخر مشمئزا من تكاثر عدد المسلمين في الدنمرك وخطورتهم على القيم الدنمركية لا ينساق وراء طردهم وإبعادهم من الدنمرك بدعوى ملائمة إدماجهم بطرائق مرنة ومضيافة، والاستفادة من خبراتهم المهنية، وتقدير مؤهلاتهم لإثراء التعدد الثقافي وحسن تدبيره.

د. نعاين في خطاب المتحدثين مؤشرات تلفظية تستمد فاعليتها من موقعهما الثقافي والتلفظي، وتعيد إنتاج الثنائيات المانوية التي كرسها الاختلاف الثقافي لإدامة هيمنة الغرب وتبعية الشرق. وهذا ما يستدعي تخلص الترجمة الكولونيالية من حملتها الاستعلائية والعرقية، ومساءلة الحداثة المفروضة والأمرة التي تستعمل "الكلمات في غير ما وضعت له"⁽²⁾، وتغيير "شروط التلفظ على مستوى الدال (موطن تشكل المجال بين-الذاتي)... وإقامة رموز جديدة للهوية أو "صور إيجابية" جديدة، تغذي "سياسات الهوية الجامدة المتصلبة"⁽³⁾، والتفاوض بشأن ما تراكم مع مراعاة انشطار الحداثة بين ما كرسه عهد سابق وما يحدث اليوم، والتماهي مع مثال الإنسان الإنساني كما دعا إليه فرانز فانون⁽⁴⁾. ولن تتغير شروط التلفظ إلا بتفكيك خطاب الآخر والحد من استبداده (سلطة الخطاب الغربي)، وبنقد الذات، والوعي بالاختلاف الثقافي الكامن في قلب الحداثة، والبحث عن أشكال وأساليب جديدة للحياة والتنمية والازدهار.

1- قول لجوديت باتلر مقتطف من، محمد الداوي، "الهوية وأعطاب الذاكرة"، الهوية والأدب، المؤتمر الدولي النقدي الأول لنادي أمها الأدبي، نادي أمها الأدبي والانتشار العربي، ط1، 2017، ص.288.

2- هومي.ك.بابا، موقع الثقافة، ترجمة ثايرديب، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006، ص.406.

3- المصدر نفسه، ص. 407.

4- "كلّ ما أردته هو أن أكون إنسانا بين الأناس الآخرين، أردت أن أجيء رشيقا وفتيّا إلى عالم يكون لنا وبنينا سويا"، المصدر نفسه، ص. 394.

الخاتمة العامة

بالرجوع إلى الفرضيات الثلاث التي سبق لي أن صغتها في المقدمة أخلص إلى ما يلي:

1- تأثر خطاب المتكلمين -بتفاوت طبعاً- بالتحويلات الجيوسياسية التي شهدتها العالم اعتباراً من الأحداث الإرهابية في قلب الولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ 11 سبتمبر 2001، وبتنامي مشاعر الكراهية تجاه المهاجرين المسلمين في الغرب. وفي هذا الصدد، نلاحظ أنّ المتكلم الدنمركي الأول- في صحيفة "يولاندس بوستن" (Jyllands Posten) - يحمل صورة نمطية عن المسلمين باعتماد عدة تلفظية تستمد مؤشراتنا من خطاب اليمين المتطرف، ويتحدث بصيغ الوجوب والمبالغة والتهويل والتعميم وبعبارات جارحة (المتخلفون، الأنانيون، العدوانيون، المسعورون، الإرهابيون) لتأليب الرأي العام الدنمركي ضدهم، والدعوة إلى إجلائهم، ووضع مقاييس صارمة لولوج المهاجرين المنتقن التراب الدنمركي.

تنخفض حدة الكراهية في خطاب المتحدث الثاني (متن صحيفة "السياسة" Politiken) بدعوته إلى تعدد الثقافات والأعراق، وتمتع المواطنين جميعهم بالمواطنة الدنمركية، وتعزيز القيم الديمقراطية والعلمانية بغض النظر عن اللون والدين والأصل واللغة. لا يرى المتحدث الحل في طرد المهاجرين أو إبعادهم أو إقصائهم بل في إدماجهم وتربيتهم على العيش المشترك والمبادئ العامة للدنمرك. وهو رهان صعب بسبب تشبث المسلم بمقومات هويته وعاداته، والتمثيلات المسبقة الراسخة عنه في وجدان معظم الدنمركيين.

وكلا المتحدثين ينوهان بالذات الدنمركية، ويعتزان بها أيما اعتزاز، ويتخوفان -بسبب التغيرات الديمغرافية- من تفسخ الهوية الدنمركية، وأسلمة المجتمع الدنمركي.

2- من بين القضايا المحورية في خطاب اليمين المتطرف هي قضية الهجرة المتزايدة وغير المنظمة لما أحدثته من مشاكل اجتماعية، ومن تصادمات واستفزازات في الفضاءات العمومية من جراء بروز عادات وتقاليد غريبة على المجتمع الدنمركي. وفي هذا الصدد عمد المتحدث الأول بتأطير جملة من الحجج والوسائل التلفظية لبيان الفرق بين النحن والآخرين على مستوى السلوك والتصرف والاندماج، والتركيز على عدم استعداد المسلمين خصوصاً

الانخراط في المجتمع الدنمركي لتخلفهم، ومعاداتهم للنساء الغربيات السافرات، وقيامهم بتصرفات استفزازية في الفضاءات العمومية أو المرافق العمومية.

يرى المتحدث الثاني أن الدنمركيين والمهاجرين ينهجان حياتين متوازيتين قلما تتقاطعان؛ ولذا يركز- في خطابه- على تحسين تدابير الإدماج حتى يتعود المهاجر أيا كان أصله ودينه ولونه على القيم الدنمركية الحديثة. لا يعتبر الإسلام - في نظر المتحدث الثاني- عائقا أمام اندماج المسلمين مادامت شعائره تمارس في إطار القانون الذي يسري على جميع المواطنين، ويضمن حرية التعبد وحرية التعبير. وهكذا يمكن للمسلمين أن يصبحوا مواطنين متساوين مع أندادهم في القيام بواجباتهم والتمتع بحقوقهم، والإسهام في تنمية البلاد ونموها وتماسكها.

يركز المتحدث الأول على مفاهيم من قبيل "الأمة القومية الدنمركية"، و"الأمة الثقافية التقليدية" و"الهوية الدنمركية النقية" للفصل بين "النحن والآخرين"، والدعوة إلى إجلاء المهاجرين لأنهم يهددون الثقافة الدنمركية الأصيلة. بالمقابل يعتمد المتحدث الثاني على "قيم المجتمع الديمقراطي" و"المواطنة الدنمركية"، و"التعدد والاختلاف الثقافي" حرصاً على إدماج المهاجرين، والاستفادة من خبراتهم، وتعزيز مكان "الهوية المتحركة" التي تتغذى من روافد ثقافية وقيم إنسانية متعددة.

3- يروج المتحدث الأول عبارة "أسلمة الدنمرك" توجساً من انخفاض نسبة الولادة في الأسر الدنمركية، وارتفاع نسبة الولادة في الأسر غير الدنمركية، وانتشار الإسلام في الدنمرك بطرائق مختلفة. وهو ما يجعل اليمين المتطرف يشن حملة على ما يسميه مؤامرة تنذر بانهييار أوروبا واستيلاء المسلمين عليها. علاوة على ذلك استطاع اليمين المتطرف أن يقنع المواطنين أنّ سبب تفاقم مشاكلهم الاجتماعية وعدم استقرارهم النفسي هو توافد المهاجرين إلى الدنمرك؛ لذلك يدعو إلى إجلائهم حتى يستعيد الاقتصاد عافيته، وتقل القلاقل الاجتماعية، وينعم الجميع بالرفاهية والأمن والاستقرار.

تجلى الآثار التلفظية للمتحدث الثاني أن الغالبية العظمى من المسلمين في العالم يدعمون الديمقراطية باعتبارها الشكل الأمثل للحكم، ويدننون الإرهاب والتطرف، وينشدون المحبة والوئام والتعاون سيرا على نهج دينهم السمح. كما يميز- في خطابه- بين الدين الإسلامي

والأيديولوجية الإسلامية السياسية (الإسلاموية)، ويدعم حق المسلمين في ممارسة شعائهم، ومعاملتهم بالمساواة والإنصاف ما داموا يمثلون للضوابط القانونية في الدنمرك. لاحظت-في المنحى نفسه- أن المتحدث الثاني يتعامل مع المسلمين والمهاجرين بأنهم مواطنون متساوون في أداء الواجبات والتمتع بالحقوق، ويرفض فكرة اليمين التي تنادي بأنّ "الدنمرك للدنمركيين"، ويؤكد أنّ الدنمرك لم تعد دولة قومية، بل دولة متعددة الأعراق والثقافات والأديان. لا يطلب المتحدث المهاجرين أن يصبحوا جزءاً من الثقافة العرقية الدنماركية، بل يدعو إلى تطوير شكل جديد من الانتماء ومن المواطنة، ينأى عن التمايزات الدينية والجنسية والعرقية والثقافية، ويقوم على المردودية في أداء الواجب الوطني، واحترام القيم الديمقراطية ودولة الحق والقانون.

الببليوغرافيا

أ- المتن:

- . صحيفة "جولاند بوستن" (Jyllands-Posten)
- . صحيفة "السياسة" (Politiken)

ب- الوثائق الرسمية:

- مملكة الدنمرك، وزارة الداخلية والإسكان، تقرير أنجزته (دورته لارسن) بعنوان "المهاجرون والأحفاد" صدر عام 2018 عن هيئة الإحصاء الدنمركية.
- Kongeriget Danmark - Indenrigs- og Boligministeriet - *Danmarks Statistik*: Dorthe Larsen, "Indvandrere og efterkommere", *Danmarksstatistik*, 2018.
- تقرير رقم 1214 بعنوان "إحصائيات أفضل عن اللاجئين والمهاجرين" صادر عن هيئة الإحصاء الدنمركية، بالتعاون مع جامعة كوبنهاغن عام 1991.
- *Danmarks Statistik*, "Bedre statistik om flygtninge og indvandrere", Betænkning nr. 1214, Københavns Universitet, københavn, 1991.
- مملكة الدنمرك، تقرير رقم (FOROK2) بعنوان "كم عدد المهاجرين في الدنمارك" صادر عن وزارة الهجرة والاندماج الدنمركية عام 2020.
- Kongeriget Danmark - Udlændinge-og Integrationsministeriet- Udlændinge- og Integrationsministeriet "Hvor mange og hvem er indvandrere i Danmark", *integrationsbarometer.dk*, FOROK2, 1.1.2020. <https://cutt.us/tRlRW>
- مملكة الدنمرك، دستور المملكة الدنماركية 1849، 1866، 1915، 1953، نقله هينينغ كوخ، كريستيان فيدت، دار النشر كريستيان إيلرس، طبعته الثانية، كوبنهاغن، 2000.

- Kongeriget Danmark -Danmarks Riges Grundlov- Danmarks Riges Grundlov, Henning Koch, Kristian Hvidt, Danmarks Riges grundlove 1849, 1866, 1915, 1953 i parallel opsætning, Udgiver Christian Ejlers, 2. ud, københavn, 2000.

ج- المصادر باللغة العربية:

- أوليري (دولاسي)، الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1972.
- آن بافو (ماري) وجورج إليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى: من النحو المقارن إلى الذرائعية، ترجمة محمد الراضي. المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2012.
- بابا (هومي كارشدجي)، موقع الثقافة، تر. ثائر ديب، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006.
- البكري، (محمد بن الرافة)، التحليل اللساني للخطاب السياسي، ج1، المندوبية السامية للقدمات المقاومين، ط1، الرباط، 2018.
- البنا (ياسر)، صورة تركيا في الصحف اليومية الفلسطينية، دراسة تحليلية مقارنة، الجامعة الإسلامية في غزة، كلية الآداب، قسم الصحافة، ط1، 2015.
- حمودة (ماجدة)، صورة الآخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 2010.
- حلیم (بركات) وآخرون، العقلانية العربية والمشروع الحضاري، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، ط1، الرباط، 1992.
- الخليل (سمير)، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2016.
- الداھي (محمد)، صورة الأنا والآخر في السرد، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2013.

- دي لاسي (أوليري)، الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1972.
- ريفارا (رونيه)، لغة القصّة: مدخل إلى السرديات التلفظية، ترجمة محمد نجيب العمامي، منشورات البحث العلمي، ط1، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، 2015.
- سعيد (إدوارد)، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، طبعة ثانية مزيّدة، القاهرة، 2006.
- سليم (حنان) وسلامة (حسام)، صورة الغرب كما يعكسها الإعلام العربي، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، ط1، 2002.
- شبّاك (أبو، علي)، صورة إيران في الصحف العربية اليومية، منشورات الجامعة الإسلامية في غزة، ط1، 2016.
- العتوم (نبيل)، صورة العرب في الكتب المدرسية الإيرانية، مركز العصر للدراسات الاستراتيجية، دار الدراسات العلمية للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 2015.

د- المصادر باللغة الأجنبية:

- Anderson (Yanique), *Terrorists Created? The Radicalization of Muslims in Denmark*. Senior Theses, Trinity College, Hartford, CT. 2015.
- Berntsen (Anna) & Thorup (Anna), Os og dem, *Integration og kategorisering i Danmark*, Roskilde Universitet, 1.ud, 2019.
- Breton (Philippe), *L'argumentation dans la communication*, La Découverte & Syros, Paris, pour la nouvelle édition, 2001.
- Bæk (Laura) & Bahadir (Kübra), *Multicultural Literature in Denmark*, Roskilde University, 1. ud, 2019.

- Böss (Michael), Nationalitet, *Forlag Århus Universitetsforlag*, 1ed, københavn 2019.
- Collin (Finn), et al, Derfor: *Bogen om argumentation*, *Forlag Gyldendal*, ud.6, København, 2010.
- -Erdem. (Adil), *Som en dråbe i Norden*, *Udgiver Åløkke*, 1ud, københavn,1.ud, 1991.
- Johansson (Thomas), *Billeder af selvet – hverdagslivets forandring i det senmoderne samfund*, *Forlaget Klim*, 2ed, København 2006.
- Hervik (Peter), *Mediernes muslimer, Nævnet for Etnisk Ligestilling*, 1.ud, København, 2002.
- Kerbrat Orecchion (Catherine), *L'énonciation de la subjectivité dans le langage*, *Armand Colin*, Paris, 1980.
- Mahmoud (Abdel Aziz) , *Hvor taler du flot dansk*, *Politikens Forlag* 2016. 1.ud, 2016.
- Michelsen (Anna), og Andet, *Integration af flygtninge i Danmark*, *Roskilde Universitet*, 2016.
- Mikkelsen (Flemming), *Indvandring og Integration*, *København akademisk Forlag*, 1.ud, 2008.
- Mørck (Yvonne), *Bindestregsdanskere- fortællinger om køn, generationer og etnicitet*, *Forlag: Samfundslitteratur*, ud1, københavn 2001.
- Lagermann colding (Laila), *Det ved vi om børn, unge og etnicitet i skolen*, *Forlag Dafolo*, 1.ud københavn, 2017.
- Rasmussen (Nielsen) & Perkersen (Jamil), *identitet og etnicitet i superdiversiteten*, *Thas rørbeck nørreby*, ud1, københavn 2012, Københavns Universitet.

- Soei (Aydin), Omar - og de andre, *Kvalificerede analyser af et af vort samfunds mest komplekse problemer*. Gads forlag, 1. ud, 2018.

هـ- المراجع باللغة العربية:

- تورين(الآن)، نقد الحداثة، ترجمة أنور غيث، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 1997.
- الخطيبي (عبد الكبير)، النقد المزدوج، دار العودة، ط1، 1980.
- الدا هي (محمد)، "الهوية وأعطاب الذاكرة"، الهوية والأدب، المؤتمر الدولي النقدي الأول لنادي أبها الأدبي، نادي أبها الأدبي والانتشار العربي، ط1، 2017.
- الدا هي (محمد)، دينامية الإقراء: أوراق عبد الله العروي مثالا، دار ويلي، مراكش، ط1، 1997.
- الدا هي (محمد)، سيميائية الكلام الروائي، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2006م.
- الغابي (زهير)، الإنسان والطبيعة في شعرية ابن خفاجة والرومانسيين الفرنسيين، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 2002.
- كونراد (جوزيف)، قلب الظلام، ترجمة محمد شاهين، دار المصير للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 2004.
- المسدي (عبد السلام)، اللسانيات من خلال النصوص، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1984.

و- المراجع باللغة الأجنبية:

- Alfonso (María), *How does the concept immigrant function within debates about national identities in Denmark*, Roskilde University, 1ud, 2016.

- Anderson (Benedict), *Imagined Communities Reflections on the Origin and Spread of Nationalism*. VERS. London, Revised Ed 2006.
- Andrew (Clark), *Economic Satisfaction and Income Rank in Small Neighbourhoods*, IZA, Institute of Labor Economics, University of Bonn, 1.edi, 2008.
- Austin. Langshaw (John), *How to do things with words*, University Press, 2edi, Oxford, 1962.
- Benveniste (Emile), *problèmes de linguistique générale*, T 2, Gallimard, paris 1974.
- Bourdieu (Pierre), *Distinction: a social critique of the judgement of taste*. Cambridge, MA. Harvard University Press, 1sted, 1984.
- Christensen Holm (Lisa), Christensen Zola (Robert), *Dansk grammatik*, University of Southern Denmark, 4ud, Købemhavn, 2019.
- Engmann. Stenholt (Theis), *Fakta om indvandrere og efterkommere i Danmark*, Danmarksstatistik, ud1, københavn, 2019.
- Eriksen (Gerhardt), *Hvis De vil vide mere*, Morgenavisen Jyllands-Posten, København, 1.ud, 1996.
- Gemert. Van (Frank), *Dana Peterson, Street Gangs Migration and Ethnicity*, Publisher Willan, 1st ed, london, 2013.
- Gertsen. Cardel (Martine), *Global Collaboration Intercultural Experiences and Learning*, Palgrave MacMillan UK, 2.ed, London, E-book, 2012.
- Gorinas (Cedric)& Jakobsen Vibike, *Indvandreres og efterkommeres placering på det Danske arbejdsmarked*, SFI, nationale forskningscenter for velfærd, 1.ud, København, 2015.

- Israeli (Alina), *Semantics and Pragmatics of the Reflexive Verbs in Russian*, Slavistische Beiträge, Band 349. Erlag Otto Sagner München · Berlin · Washington D.C, 1. ud, 1997.
- Koch (Henning) & Hvidt (Kristian), *Danmarks Riges grundlove 1849, 1866, 1915, 1953 i parallel opsætning*, Udgiver Christian Ejlers, 2. ud, københavn, 2000.
- Larsen. Albrekt (Christian), *Den danske republik Forandringer i danskernes nationale forestillinger*, Hans Reitzels Forlag, 1. ud, København, 2016.
- Lundquist (Lita), *Humorsocialisering, Forlag Samfundslitteratur*, 1. ud, København, 2020.
- Mouffe (Chantal), *Hegemony, Radical Democracy, and the Political*, Edi. James Martin, 1sted, 2013.
- Unwin (Peter), *Baltic approaches*, Michael Russell Norwich, UK, 2. edi, London, 1998.

ز- الدوريات باللغة العربية

- الجابري (محمد عابد)، "الغرب والإسلام، الأنا والآخر، أو مسألة الغيرية"، *فكر ونقد*، العدد 2، 1997.
- جاك مارك (مورا)، "الصورولوجيا الأدبية"، ترجمة عبد النبي ذاكر، دراسات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، العدد 8، 1998.
- الجاسور (ناظم عبد الواحد)، "صورة العربي المسلم في الرؤية الغربية"، *المجلة الدولية والسياسية، الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية، العدد 4، بغداد، 2006.*

- الداهي (محمد)، "قضايا منهجية في دينامية النص الروائي"، البيان، العدد 374، 1998.
- ذاكر (عبد النبي)، "أفق الصورولوجيا نحو تجديد المنهج"، علامات في النقد، العدد 51، جدة، 2001.
- الحمداني (نوافل يونس)، "الصورولوجيا في السرد الروائي عند مهدي الصقر"، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، العدد 55، 2012.

ح- الدوريات باللغة الأجنبية:

- Ahmed. (Sara), "Affective Economics". Edi: Stefano Harney, Duke University Press 2004. *Social Text*, Vol 22, N°. 2, 2004.
- Cooper (Kent), "The Story of the News Agency Epoch" *The American Historical Review*, Vol 48, No 4, July 1943, New York, Farrar, and Rinehart.
- Iskov Christensen (Henrik), "Sikkerhedsliggørelsen af islam De syv landsdækkende avisers fremstilling", *Religion*, nr. 1. København, 2006
- Jenkins. (Richard), "Categorization and Power. Rethinking Ethnicity", *Journal Ethnic and Racial Studies*, Vol 17, No 2. 1994.
- Hall (Stuart), "Culture, community, nation". *Journal Cultural Studies*, Vol 7, No 3. 1993.
- Mookherjee (Monica), "Affective citizenship: feminism postcolonialism and the politics of recognition", *Critical Review of International Social and Political Philosophy*, Vol. 8, No. 1, 2005.
- Parekh (Bhikhu), "Fornyet multikulturalisme: Kulturel mangfoldighed og politisk teori.etniciteter", *sage journals*, vol.1, Issue 1, 2001.

- Schmidt (Garbi), "Muslimer og muslimsk praksis i København 1863-1915 På sporet af en forsvundet historie", *Scandinavian Journal of Islamic Studies*, Vol.15, No.1, 2021.

ط- قاموس باللغة العربية:

- ديكرو (أوزوالد)، شايفر (جان ماري)، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط 2، 2007م.

ي- قاموس باللغة الأجنبية:

- Cardwell (Mike), *The dictionary of psychology*, Chicago, Fitzroy Dearborn Publishers, London, 1996.

ك- المواقع الإلكترونية:

- Atzen Dahlgren (Stig), "Avisernes læsertal: Politiken oplever ikke samme nedgang som andre aviser", *illbunker.dk*, 2019. (<https://cutt.us/EexHN>, (Retrieved 4.11.2019)).
- Elkjær (Bo), "Her er de danske syrienkrigere", *DR.DK*, 15.9.2016. (<https://cutt.us/KLVgt>, (Retrieved 8.6.2020)).
- Jørgensen (Dan), "Hvis man er imod demokrati, hvad laver man så i Danmark", *socialdemokratiet*, 6.6.2015. (<https://cutt.us/1LXG3>, (Retrieved 9.1.2021)).
- Kristensen (Nikolaj), "Hvor mange muslimer er der i Danmark?" *Tjekdet.mm.dk*, 24.4.2020, (<https://cutt.us/Ax2Ke>. (Retrieved 2.5.2020)).
- Pedersen (Birthe), "Da danske aviser gav diktatorer medvind", *kristeligt dagblad* 19.10.2018, (<https://cutt.us/XiVKI>. (Retrieved 4.11.2019)).

- Petersen. Aasbjerg (Jan), "Sproglig analyse Argumentation Argumenttyper", *Dansk i gymnasiet*, (<https://cutt.us/pEEPW>, (Retrieved 30.9.2021).
- Rosdahl (Lotte), "Indvandrere køber også huse", *Journalisten*, 21.6.2016. (<https://cutt.us/d1hl4>, (Retrieved 7.10.2021).
- Smith (Matthew), "Majority of Brits can't tell if the UK flag is being flown upside down", *yougov.co.uk*, <https://cutt.us/2RJ4a>, (Retrieve 7.5.2022).
- Winther (Bent), "Læserne vælger avis efter partifarve", *BERLINGSKE*, 30.05.2011. <https://cutt.us/FKnlt>. (Retrieved 2.12.2019) .

ثبت المصطلحات

الانجليزية	الفرنسية	الدنمركية	العربية
Acquired identity	Identité acquise	Erhvervet identitet	الهوية المكتسبة
Adjectives (objective, subjective, affective, evaluative and axiological)	Adjectifs (objectifs, subjectifs, affectifs, évaluatifs et axiologiques)	Adjektiver (objektive, subjektive, affektive, evaluerende og aksiologiske)	النعوت (الموضوعية، الذاتية، العاطفية، الترميمية، الأكسيولوجية)
Assimilation	Assimilation	Assimilering	الاستيعاب
Authentic identity.	Identité authentique	Autentisk identitet	الهوية الأصيلة
Auto-image	Auto-image	Andensbillede	الصورة الغيرية
Auto-image (Self image)	Auto-image	Selvbillede	الصورة الذاتية
Consolidation	Consolidation	Konsolidering	الانصهار) (التكامل)
Constative	Constatif	Konstativ	التصريحي
Cultural antagonism	Antagonisme culturel	Kultur konflikt	الصراع الثقافي
Cultural hybridity	Hybridité culturelle	Kulturel hybriditet	التهجين الثقافي
Danish philosophy of life	Philosophie de vie à la danoise	Hvgge Danmark (Dansker)	الدنمركية (فلسفة الحياة على الطريقة الدنمركية): مكان مريح، نمط عيش راق، المودة

			الاجتماعية، البجوحة، السعادة
Danish speaker (speaker)	Locuteur (énonciateur) danois	Dansktalende (taler)	المتكلم (المتلفظ) الدنمركي
Deixis	Deixis	Deixis	المُعَيِّنَات (مايعين تاريخا أو زمنا أو مكانا بالنظر إلى وضعية التلفظ)
Distinction	Distinction	Forskelsbehandling	التمييز
Editor	Editorialiste	Redaktør	المحرر(رئيس التحرير)
Editorial direction	Ligne éditoriale	Redaktion elretning	الخط التحريرى
Enonce	Enoncé	Udtalt	الملفوظ
Enunciative traces	Traces énonciatives	enunciation virkninger	الآثار التلفظية
Ethnic	Ethnie	Etniske	العرق
Ethnic group	Groupe ethnique	Etniskegruppe	الجماعة العرقية
Exercitives	Exercitifs	Øvelser	التنفيذية (الأفعال)
forfeiture of nationality	Déchéance nationalité	Ophæ vstatsborgerskabet	إسقاط الجنسية
Imagology	Imagologie	Imagologi	الصوريات

Integrated enunciation (utterance)	Enonciation intégrée	Integreret udtale	التلفظ المُدمَج
Integration	Intégration	Integration	الاندماج
Language	Langage	Sprog	اللغة
Linguistic vulnerability	Vulnérabilité linguistique	Sproglig sårbarhed	الهشاشة اللغوية
Method	Méthode	Metode	المنهج
Methodology	Méthodologie	Methodologie	المنهجية
Modality	Modalités	Modalitet	الجهات
Moving identity	Identité mouvante	Bevægende identitet	الهوية المتحركة
Other's image	Hétéro-image	Andensbillede	الصورة الغريبة
Performative	Performatif	Performativ	الإنجازي
Pluralistist integration	Intégration pluraliste	Pluralistiske integratie	الاندماج التعددي
Racial discrimination	Discrimination raciale	Forskelsbehandling racist	التمييز العنصري
Racial segregation	Ségrégation raciale	Raceadskillelse	الميز العنصري
Racism	Racisme	Racisme	العنصرية
Reconnaissance	Reconnaissance	Rekognoscering	الاعتراف
Representation(s)	Représentation(s)	Repræsentation(er)	التمثيل (التمثيلات)
Representations	Représentations	Repræsentationer	تمثيلات
Segregation	Ségrégation	Adskillelse	الميز
Speech	Parole	Tale	الكلام

Speech acts	Actes de parole	Talehandler	أفعال الكلام
Subjective Verbs	Verbes subjectifs	Subjektive verber	الأفعال الذاتية
Subjectivity	Subjectivité	Subjektivitet	الذاتية
Third space	Tiers espace	Tredje mellemrum	الفضاء الثالث

الفهرس

5	❖ الإهداء.....
7	❖ تقديم.....
13	❖ المقدمة العامة.....
23	❖ الفصل الأول: المهاد النظري.....
25	تمهيد.....
26	أولاً-الصوريات.....
31	ثانياً- الدراسات السابقة.....
49	ثالثاً- المنهج التلغظي.....
52	رابعاً- عينة البحث.....
53	1- صحيفة السياسة (Politiken).....
54	2- صحيفة يولاند بوستن (Jyllandsposten).....
56	خامساً- المسلمون في الدنمرك.....
60	خاتمة.....
	❖ الفصل الثاني: تمثيلات "المتحدث الدنمركي" في صحيفة يولاندس بوستن
61	(Jyllands-posten).....
63	مقدمة.....
63	1- محور الذات.....
64	1-1- الذات الدنمركية.....
64	2-1- الأشخاص من أصل دنمركي.....
66	3-1- لفظ الدنمرك في صحيفة "يولاندس بوستن".....
67	4-1- تجليات "الذات".....
75	2- مفهوم الآخر.....
75	1-2- من هو الآخر.....
76	2-2- تجليات الإسلام والمسلمين.....
78	3- مواصفات المسلم.....
78	1-3- النعوت.....
80	1-1-3- النعوت العاطفية.....

82	2-1-3- النعوت الأكسيولوجية.....
85	3-1-3 النعوت الموضوعية.....
87	4- الأفعال الذاتية.....
88	1-4- الأفعال الذاتية التثمينية.....
91	2-4- الأفعال الذاتية العاطفية.....
92	3-4- الأفعال الذاتية مؤقتاً.....
94	5- أفعال الكلام.....
98	6- الحجاج.....
98	1-6- حجة الخبرة.....
99	2-6- حجة التهويل.....
100	3-6- حجة التأطير.....
101	4-6- حجة الميز.....
102	5-6- حجة التعميم.....
104	6-6- حجة المقارنة.....
105	خاتمة.....
	« الفصل الثالث: تمثيلات "المتحدث الدنمركي" في صحيفة السياسة
107	(Politiken).....
109	تقديم.....
109	1- محور الذات.....
109	1-1- الذات الدنمركية.....
115	2- الآخر المسلم.....
115	1-2- النعوت الموضوعية.....
120	2-2- النعوت الأكسيولوجية.....
122	3-2- النعوت العاطفية.....
127	3- محور الأفعال الذاتية.....
127	1-1-3- الأفعال الذاتية التثمينية.....
131	2-3- الأفعال الذاتية العاطفية.....
133	4- أفعال الجهات.....

138.....	5- العُدّة الحجاجية.....
144.....	خاتمة.....
147.....	﴿ الفصل الرابع: مقارنة خطابي "المتحدثين الدنمركيين" الأول والثاني ﴾
149.....	تقديم.....
149.....	1- الذات الدنمركية في الصحيفتين.....
153.....	2- الآخر المسلم.....
154.....	3- النعوت.....
154.....	1-3- النعوت العاطفية.....
155.....	2-3- النعوت الأكسيولوجية.....
156.....	3-3- النعوت الموضوعية.....
157.....	4- الجهات.....
158.....	5- الحجاج.....
161.....	خاتمة.....
163.....	❖ الخاتمة العامة.....
169.....	❖ الببليوغرافيا.....
181.....	❖ ثبت المصطلحات.....

